كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الخامس

القسم ١٧ - ٢٠

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٦

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

PJ
7631
A163
1955
V.5

B917116
55

VPK

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الخامس

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الخامس
من كتاب الاغاني

ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره

والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر

نسبه وكنيته :

هو – على ما ذكر أبو عمرو الشيبانيّ والقَحذَميّ، وهو الصحيح – حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس – وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح – ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . هذا النسب الذي عليه الناس اليومَ مجتمعون . وقد روى ابن الكلبيّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرُهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا، فمنها أن ابن الكلبيّ ذكر عن أبيه أن خَصَفة الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عَيلان ليس كما قالوا، وأن عِكْرِمة ابنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمه، وهي امرأة من أهل هَجَر . وقيل : بل هي حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرِمة صغير

فربته حتى كبر، وكان قومه يقولون: هذا عكرمة بن خَصَفة، فبقيت عليه؛ ومن لا يعلم يقول: عكرمة بن خَصَفة بن قيس، كما يقال خِندِف، وإنما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر. وقالوا في صَعصَعة بن معاوية: إن الناقية[1] بنت عامر ابن مالك، وهو الناقم، سُمِّي بذلك لأنه انتقم بلطمةٍ لُطِمها، وهو ابن سعد بن جَدّان بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هوازن فمات عنها أو طلّقها وهي نسء[2]، فتزوّجها سعد بن زيد مَناة بن تميم، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية، ثم ولدت هُبَيرة ونَجْدة وجُنادة؛ فلما مات سعد أقتسم بنوه الميراثَ وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفعوه عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانيّ فشكا اليه ما لقِي، فزوّجه بنتَ أخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب، وأبوها عامر الذي يقال له: ذو الحِلْم؛ وعَمْرة ابنته هذه هي التي كانت تقرَع له العصا إذا سها في الحكم؛ وله يقول الشاعر:

لذي الحِلْم قبلَ اليومِ ما تُقرَع العصا   وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلَما

قال: وكانت عَمْرة يوم زوّجها عمُّها نسئا من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافِق بن العاصي الأزديّ، والمُلك يومئذٍ في الأزْد، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة، فسمّاه صعصعةُ عامراً بجدّه عامر بن الظَّرِب. وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن:

أزعمتَ أنّ الغافقيّ أبوكمُ   نسبٌ لَعَمْرُ أبيك غيرُ مُفَنَّدِ[3]
وأبوكمُ ملكٌ يُنتِّف بأسته   هَلْباء[4] عافيةً كعُرف الهُدهُدِ
جَنَحتْ عجوزُكُمُ إليه فردّها   نسئاً بعامركم ولمّا يُويدِ

(١) الناقية هي رقاش بنت عامر وبنوها بطن من عبد القيس نسبوا الى أمهم.

(٢) النسء (بالتثليث): المرأة المظنون بها الحمل، وقيل: التي ظهر حملها.

(٣) مفند: مكذب.

(٤) هلباء: كثيرة الشعر.

ويكنى النابغةُ أبا ليلى.

وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سلّام قال:

هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقال ابن الأعرابيّ: هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة، ووافق ابنَ سلّام في باقي نسبه. وهذا وَهْمٌ ممن قال: إن اسمه قيس؛ وليس يُشكّ في أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح ابن قيس، وهو الذي قتله بنو أسد؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِخْنة الأسديّ.

سبب لقبه النابغة:

وإنما سمّي النابغةَ لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبغَ فقاله.

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على القَحْذميّ:

قال الجعديّ الشعرَ في الجاهلية ثم أجبَلَ[١] دهراً ثم نبَغ بعدُ في الشعر في الإسلام.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلّم بالشعر.

عمره وشعره فيه:

قال القَحذميّ في رواية حمّاد عنه: كان الجعديّ أسنّ من نابغة بني ذُبيان.

(١) أجبل الشاعر: صعب عليه القول.

قال ابن سلّام في رواية أبي خليفة عنه : كان الجعديّ النابغةُ قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان اكبر من الذُّبياني؛ ويدلّ على ذلك قولُه :

ومن يكُ سائلاً عنّي فإنّي   من الفِتيان أيامَ الخُنانِ[1]
أتت مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه   وعَشرٌ بعد ذاك وحِجّتانِ
فقد أبقتْ خطوبُ الدّهر منّي   كما أبقتْ من السيفِ اليَماني

قال وعُمّر بعد ذلك عُمراً طويلاً . سُئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان ما هي؟ فقال : وقعةٌ لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوّهم : خُنُّوهم[2] بالرماح، فسُمّيَ ذلك العامُ الخُنانَ . ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبيانيّ أنه عُمّر مع المُنذر بن المُحرّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانيّ مع النعمان بن المنذر وفي عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْدي، ولم يُدرِك الإسلام . والجعديّ الذي يقول :

تَذكّرتُ شيئاً قد مضى لسبيلِهِ   ومِنْ عادةِ المحزونِ أن يَتذكّرا
نَداماي عند المُنذر بنِ مُحرّقٍ   أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا
كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وجوهَهم   دنانيرُ مِمّا شِيفَ[3] في أرضِ قيصَرا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمّن كان يأخذ العلمَ عنه ولم يُسمّ إليّ أحداً في هذا : أن النابغة عُمّر مائة وثمانين سنة، وهو القائل :

لبِستُ أُناساً فأفنيتُهم   وأفنيتُ بعد أناسٍ أناسا

---

(١) الخنان (كغراب) : داء يأخذ الطير في حلوقها وفي العين وزكام للابل .

(٢) خنوهم : اقطعوهم .

(٣) « سيق » بالسين والقاف، وهو تحريف .

ثلاثــة أهلينَ أفنيتُهم وكان الإله هُوَ المُستآسا[1]

وهي قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء :

صوت

وكنتُ غلاماً أقاسي الحرو بَ يَلقى المُقاسون منّي مِراسا
فلمّا دَنَوْنا لجرْسِ[2] النُّبـا حِ لم نعرفِ الحيَّ إلا التماسا
أضاءتْ لنـا النّارُ وجهاً أغرّ مُلتبساً بالفُـؤادِ التباسا

غنّى في هذه الثلاثة الأبيات فُليح بن أبي العَوْراء خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى.

رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة :

قال : وقال أيضاً :

ألا زعمتْ بنو سعـدٍ بأنّي — ألا كذَبوا — كبيرُ السنّ فاني
أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه وعشرٌ بعـد ذاك وحِجّتانِ

قال : وأنشد عمرَ بنَ الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياتَه التي يقول فيها :

ثلاثة أهلين أفنيتُهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : كم لبثتَ مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة :

سمع اعجمي شعره فقال انه مشؤوم :

وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دُريد عن عبـد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال :

(١) المستآس : المستعاض والمستعان، من الأوس، وهو العوض والعطية .

(٢) جرس النباح : صوت نباح الكلاب .

أنشد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعديّ :

لبستُ أناساً فأفنيتُهم وأفنيتُ بعد أناس أناسا

قيل انه عاش ٢٢٠ سنة :

وفسّر له ، فقال : « بدين شان بود » أي هذا رجل مشؤوم . وأما ابن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان . وما ذاك بمُنكَر ؛ لأنه قال لعمر رضي الله تعالى عنه : إنه أفنى ثلاثة قرون كلّ قرن ستون سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون ، ثم عُمِّر بعده فمكث بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد ، وقدِم على عبد الله بن الزُّبير بمكة وقد دعا لنفسه ، فاستماحه ومدَحه ؛ وبين عبد الله بن الزُّبير وبين عمر نحوٌ مما ذكر ابن قتيبة ؛ بل لا أشك أنه قد بلغ هذه السنّ وهاجى أوْسَ بن مَغراء بحضرة الأخطل والعَجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ وكان مُغَلَّباً[١] .

انشد النبي شعراً فدعا فيه :

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القطّان المعروف بابن زَنْجُوَيْهِ قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله السكّريّ قال حدّثنا يَعلى بن الأشدق العُقَيليّ قال حدّثني نابغة بني جَعدة قال :

أنشدتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم هذا الشعرَ فأُعجب به :

بلغنا السماء مَجدُنا وجدودُنا وإنا لنَبْغي فوق ذلك مَظهَرا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « فأين المَظهَرُ يا أبا ليلى » ؛ فقلت : الجنة ؛ فقال : « قل إن شاء الله » ؛ فقلت : إن شاء الله .

---

(١) يقال : شاعر مغلب أي كثيراً ما يغلب .

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوادِرُ تَحمي صَفوَه أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حَليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أصدَرا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «أَجدْتَ لا يَفضُضِ الله فاك» ؛ قال : فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضّ مِن فِيه سِنّ .

هجر الازلام :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبيدة قال :

كان النابغة الجعديّ ممن فكّر في الجاهلية وأنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل ، وهجر الأزلام[١] والأوثان[٢] ، وقال في الجاهلية كلمته التي أوّلها :

الحمد لله لا شريكَ لهُ من لم يقلْها فنفسَه ظَلَمَا

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ويستغفر ، ويتوقّى أشياء لعواقبها . ووفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال :

وفد على النبي واسلم :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى ويتلو كتاباً كالمَجرّة[٣] نَيّرَا
وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومن معي سُهَيلًا إذا ما لاح ثُمّتَ غَوّرَا

---

(١) الأزلام : قداح كانت في الجاهلية مكتوب عليها الأمر والنهي : افعل ولا تفعل كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فاذا أراد أمراً مهماً من سفر أو زواج، أدخل يده فأخرج منها زلماً (الزلم بفتحتين أو بضم ففتح) فان خرج الامر مضى لشأنه، وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله .

(٢) الوثن : الصنم .

(٣) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء .

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنتُ مِنَ النار المَخوفة أوْجَرا [١]

وحسن إسلامُه، وأنشد النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له: «لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ»؛ وشهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صِفِّينَ. وقد ذُكِر خبره مع عمر رضي الله عنه؛ وأما خبره مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال مَسلمة بن مُحارِب:

استأذن عثمان في سكنى البادية:

دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك اللهَ يا أمير المؤمنين؛ قال: وأين تريد يا أبا ليلى؟ قال: ألحقُ بإبلي فأشرَبُ من ألبانها فإني مُنكِر لنفسي؛ فقال: أتعَرُّباً [٢] بعد الهجرة يا أبا ليلى! أما علمتَ أن ذلك مكروه؟! قال: ما علمتُه، وما كنت لأخرجَ حتى أُعلِمَك. قال: فأذِن له، وأجّل له في ذلك أجلًا؛ فدخل على الحسن والحسين ابني عليّ فودّعهما؛ فقالا له: أنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى؛ فأنشدهما:

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ من لم يقُلْها فنفسه ظَلَمَا

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نروي هذا الشعرَ إلا لأميَّة بن أبي الصَّلت؛ فقال: يابني رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لصاحبُ هذا الشعر وأوّل من قاله، وإن السَّروق لمن سرَق شعرَ أميَّة.

قال أبو زيد عمرُ بن شبَّة في خبره:

---

(١) أوجر: خائف، يقال: وجر من الشيء اذا خاف، وبابه كفرح، والوصف منه وجر وأوجر.

(٢) التعرّب بعد الهجرة وهو أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً.

كان مغلباً ما هاجى قط الا غلب :

كان النابغة شاعراً متقدِّماً ، وكان مغلَّباً ما هاجى قطّ إلا غُلِب ، هاجى أوسَ ابن مَغْراء وليلى الأخيليَّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعاً .

مهاجاته اوس بن مغراء :

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : كان بدء حديث النابغة وأوس بن مغراء أنّ معاوية لما وجّه بُسْرَ بن أرطاة الفِهْريّ لقتل شيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قام اليه معنُ بن يزيد بن الأخنس السُّلَميّ وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو ابن رَبيعة بن جعدة ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، نسألك بالله وبالرحم ألّا تجعل لبُسْر على قيس سلطاناً ، فيقتل قيساً بمن قتلتْ بنو سُلَيم من بني فِهْر وبني كِنانة يومَ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أمرَ لك على قيس ؛ وسار بسرٌ حتى أتى المدينة ، فقتل ابني عبيد الله بن العبّاس ، وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرّة (حرّةَ بني سُلَيم) . ثم سار بُسر حتى أتى الطائف ؛ فقالت له ثَقيف : ما لك علينا سلطان ، نحن من قيس ؛ فسار حتى أتى هَمدان وهم في جبل لهم يقال له شِبام ، فتحصَّنت فيه همدان ، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن همدان وهذا شِبام ، فلم يلتفت اليهم ؛ حتى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم ، أغار عليهم فقتل وسبي نساءهم ؛ فكنّ أوّلَ مسلمات سُبينَ في الإسلام . ومرّ بحيّ من بني سعد نُزولٍ بين ظَهرَيْ بني جَعدة بالفَلَج[1] ، فأغار بُسر على الحيّ السعديين فقتل منهم وأسرَ ؛ فقال أوْس بن مَغراء في ذلك :

مُشِرّين ترعَوْن النَّجيل وقد غدتْ بأوصال قتلاكم كِلابُ مُزاحِمِ

---

(١) الفلج (بالتحريك) : موضع لبني جعدة بن قيس بنجد ، وهو في أعلى بلاد قيس . (راجع معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧١٤) .

– المُشِرّ : الذي قد بسط ثوبه في الشمس . والنجيل : جنس من الحَمض – فقال النابغة يجيبه :

متى أكلتْ لُحومَكمُ كِلابي أكلتَ يديك من جَرَبٍ تَهامِ[1]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب مما أجاز لنا روايتَه عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلّام الجُمحيّ عن أبي الغرّاف ، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر ، قالا حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن سلّام عن أبي الغرّاف :

أن النابغة هاجى أوسَ بن مَغراء ؛ قال : ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر ؛ فقال النابغة : إني وإياه لَنبتَدِر بيتاً ، أيُّنا سبق اليه غلب صاحبه ؛ فلما بلغه قولُ أوس :

لَعَمْرُكَ ما تَبلى سَرابيلُ عامرٍ من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُها

قال النابغة : هذا البيت الذي كنا نَبتدِر اليه . فغُلِب أوسٌ عليه .

قال أبو زيد : فحدّثني المدائنيّ أنهما اجتمعا في المِرْبَد[2] فتنافرا وتهاجيا ، وحضرَهما العجّاجُ والأخطل وكعب بن جُعَيل ، فقال أوْس :

لما رأتْ جَعدةُ منا وِرْدَا[3] ولَّوْا نَعاماً في البلادِ[4] رُبْدَا[5]

إنّ لنا عليكمُ مَعَدّاً[6] كاهلَها وركنَها الأشَدّا

(١) تهام : منسوب الى تهامة .

(٢) المربد (كمنبر) : موضع بالبصرة كان مجتمعاً للقوم سواداً مختلطاً .

(٣) الورد (بالكسر) : الجيش .

(٤) « في الفلاة » .

(٥) ربدا : جمع ربداء وهي من النعام ما كان لونها سواداً مختلطاً .

(٦) معدّ : أبو حيّ من العرب .

فقال العجّاج : كل أمرئٍ يَعدو بما أستعدّ

وقال الأخطل يُعين أوسَ بن مغراء ويحكُمُ له :

وإني لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ وَسعدٍ قضاء بَيّنَ الحقّ فيصلا
أبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه وعَوفُ بن كعبٍ أكرمُ الناس أوّلا

وقال كعبُ بن جُعَيل :

إني لقاضٍ قضاء سوف يتبعه مَن أمَّ قصداً ولم يَعدِل إلى أَوَدِ[1]
فَصلًا من القول تأتمُّ القضاةُ به ولا أُجور ولا أَبغي على أحدِ
ناكت بنو عامرٍ سعداً وشاعرَها كما تَنيك بنو عَبس بني أسدِ

مهاجاته ليلى الأخيلية :

وقال أبو عمرو الشيباني : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعديّ أنّ رجلًا من قُشير – يقال له أبن الحيا (وهي أمه) وأسمه سوّار بن أوفى بن سَبرة – هجاه وسبّ أخواله من أزْد في أمرٍ كان بين قُشير وبين بني جَعدة وهم بأصبهان متجاورون ، فأجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة – سُمّيت بذلك لأنه ذكر فيها مساوئ قُشير وعُقيل وكلّ ما كانوا يُسبُّون به ، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيّين من قُشير وعُقيل – :

جَهلتَ عليّ أبنَ الحيا وظلمتَني وجَمّعت قولًا جاء بيتاً مُضلّلا

وقال في هذه القصة أيضاً قصيدته التي أوّلها :

إمّا تَرَيْ ظُلل الأيّام قد حَسَرَتْ عنّي وشَمّرتُ ذَيلًا كان ذيّالا[2]

---

(١) الأود : العوج .
(٢) ذيل ذيال : طويل .

وهي طويلة ، يقول فيها :

ويومَ مكةَ إذ ماجدتُمْ[١] نَفَراً ... حامَوا[٢] على عُقَد الأحساب أزوالا[٣]
عند النَّجاشيِّ إذ تُعطون أيديَكم[٤] ... مُقرَّنين ولا تَرجُون إرسالا
إذ تَستجِبُونَ عند الخَذل أنَّ لكم ... مِن آلِ جَعدة أعماماً وأخوالا
لو تستطيعون أن تُلقوا جُلودَكمُ ... وتجعلوا جِلدَ عبد الله سِربالا

— يعني عبد الله بن جَعدة بن كعب —

إذاً تسربلتمُ فيه ليُنجيكم ... مما يقولُ ابنُ ذي الجدَّين إذ قالا
حتى وهبتم لعبد الله صاحبَه ... والقولُ فيكم بإذن اللهِ ما قالا
تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ ... شِيباً[٥] بماء فعادا بعدُ أبوالا

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سَقَوا رجلا من جَعدة أدركه في سفر وقد جهد عطشاً لبناً وماء فعاش .

وقال في هذه القصَّة أيضاً قصيدتَه التي أوَّلها :

أبلغ قُشيراً والحَريشَ[٦] فما ... ذا ردَّ في أيديكم شَتْمي

وفخر عليهم بقتل عَلقمة الجُعفيِّ يوم وادي نِساح[٧] وقتل شَراحيل بن الأصهب الجُعفيِّ ، وبيوم رَحرَحان[٨] أيضاً ، فقال فيه :

---

(١) ماجدتم : فاخرتم وسابقتم في المجد .

(٢) حامى عن الشيء اذا دافع عنه، وحامى عليه اذا احتفل له .

(٣) أزوال ; جمع زول، وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد .

(٤) إعطاء اليد : كناية عن الانقياد والمذلة . ومقرَّنين : مشدودين في القرن وهو الحبل.

(٥) شيبا : خلطا .

(٦) وهو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٧) وادي نساح : باليمامة .

(٨) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات .

هَلّا سألتَ بيومَي رَحرحان وقد ظنَّتْ هوازنُ أنّ العِزّ قد زالا

فلماذا ذكر ذلك النابغة قال :

تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبن شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

ففخر بما له وغضّ مما لهم . ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت :

وما كنتُ لو قاذفتُ جلّ عَشيرتي لأذكرَ قَعْبَيْ حازِرٍ[١] قد تَثَمّلا

وهي كلمة . فلما بلغ النابغةَ قولُها قال :

ألا حَيّيا ليلى وقولا لها هَلا[٢] فقد ركِبتْ أيراً أغرّ مُحجّلا
وقد أكلتْ بقلاً وخيماً نباتُه وقد شَرِبتْ من آخر الصيف أيِّلا[٣]

— يعني ألبان الأيّل —

دَعي عنكِ تَهجاء الرجال وأقبِلي على أذلَغيٍّ[٤] يملأ استَكِ فَيشَلا
وكيف أهاجي شاعراً رُمحه استُه خَضيبَ البَنانِ لا يَزال مُكَحَّلا

فردّت عليه ليلى الأخيلية فقالت :

أنابغُ لم تَنبغْ[٥] ولم تكُ أوّلا وكنتَ صُنَيّاً بين صُدّين مَجهلا[٦]

— الصُنَيُّ : شِعب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان —

أنابغُ إن تَنبغ بلؤمك لا تجدْ للؤمك إلّا وَسْط جَعدة مَجعَلا

---

(١) الحازر : اللبن الحامض . وتثمل : صار كتلا من الرغوة ، والثالة : الرغوة .

(٢) هلا : كلمة زجرة، تزجر بها الإناث من الخيل اذا أنزي عليها الفحل لتقر وتسكن .

(٣) الأيل : الذكر من الأوعال .

(٤) الأذلغي : الضخم الطويل من الأيور .

(٥) نبغ في الشعر : أجاده .

(٦) المجهل كمقعد : أرض لا يهتدى فيها ، لا بنى ولا يجمع .

تُعيِّرني داءً بأمِّكَ مثلُه وأيُّ حصانٍ لا يُقال لها هَلا

فغلبتْه . فلما أتى بني جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينّ صاحبَ المدينة ، أو أميرَ المؤمنين ، فليأخذنّ لنا بحقِّنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتمت أعراضنا وافترتْ علينا ، فتهيَّئوا لذلك ؛ وبلغها أنهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت :

أتاني من الأنباء أنّ عشيرةً بشَوْرانَ[١] يُزجون المطيَّ المُذلَّلا
يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ ليَستجلِدوا لي ، ساء ذلكَ مَعْمَلا

وقد أخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبَّة فجاء بها مُختلِطة ، وهذا أوضح وأصحّ .

يوم وادي نساح :

قال أبو عمرو : فأما ما فخر به النابغةُ من الأيام ، فمنها يوم عَلقمةَ الجُعْفيّ ، فإنه غدا في مَذْحِج ومعه زُهَير الجعفيّ ، فأتى بني عُقيل بن كعب فأغار عليهم ، وفي بني عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجلة ، فأصاب سَبياً وإبلاً كثيرة ، ثم انصرف راجعاً بما أصاب ، فاتّبعه بنو كعب ، ولم يلحق به من بني عُقيل إلا عِقالُ ابنُ خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فجعل يأخذ أبعار إبل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُندِّيها ، ثم يلحق ببني كعب فيقول : إيهٍ فِدًى لكم أبواي ، قد لحقتم القومَ ؛ حتى ورَدوا عليهم النخيلَ في يوم قائظ ، ورأسُ زهير في حِجر جارية من سُلَيم من بني بَجلة سباها يومئذ وهي تَفليه ، وهو متوسِّد قطيفةً حمراء وهي تضفِر سَعَفاتِه — أي أعلى رأسه — بهُدْب القطيفة ؛ فلم يشعُروا إلا بالخيل ؛ فكان أوّلُ من لحق زُهيراً ابنَ النهّاضة، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسَر أنفَه، ثم لحقه عِقالُ ابنُ خُوَيلد ، فبعَج بطنَه ، فسال من بطنه بَريرٌ وحَلَب — والبرير : ثمر الأراك .

(١) شوران : جبل في ديار بني جعدة .

والحلب : لئن كان قد أصطبحه – فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أصطبح لبناً حتى آمن من الصَّباح[1]. قال : وهذا اليوم هو يوم وادي نِساح وهو باليمامة .

يوم شراحيل :

قال : وأمّا يوم شَراحيلَ بن الأصهب الجُعْفيّ فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلّها . وكان شَراحيلُ خرج مُغيراً في جمع عظيم من اليمن، وكان قد طال عمره وكثُر تَبَعُه وبعُد صِيتُه واتّصل ظَفَرُه، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغزُوَ العرب مارّاً بهم في بدأته وعودته لا يَعرِض أحدٌ منهم لصاحبه ؛ فخرج غازياً في بعض غزَواته فأبعد، ثم رجع إليهم فمرّ على بني جَعْدة فقَرَوْه ونحرتْ له؛ فعمَد ناس من أصحابه سفهاء فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة الى شراحيل، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما يصنعون ! فقال : إنهم قوم مُغيرون، وقد أساءوا لعَمْري ! وإنما يُقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو – وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد – : دَعْني أذهب الى بني قُشَير – قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب، أمّهما رَيطة بنت قُنفُذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سُلَيم بن منصور – فأدعوهم، واصنع أنت يا هذا لشَراحيل طعاماً حسناً كثيراً، وادْعُه وأدخِله إليك فاقتُله، فإن احتجت إلينا فدخِّنْ، فإني إذا رأيتُ الدّخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا[2] على القوم . فعمَد وردٌ هذا الى طعام فأصلحه، ودعا شَراحيلَ وناساً من أصحابه وأهله وبني عمه، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ، حتى انتصف النهار ؛ فجاء أصحاب شَراحيل

---

(١) الصباح : الغارة صبحاً .

(٢) وضعنا سيوفنا على القوم : ألقينا بها وأسقطناها عليهم أي ضربناهم بها .

يُتبِعُونه، فقال لهم وردٌ : تَرَوَّحوا[١] فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثَمِل وسيرُوح فرجعوا؛ ودخَن وردٌ، وجاءت قُشيرٌ فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرُهم؛ وبلغهم قتلُ شَراحيل، فمرّوا على بني عُقَيل، وهم إخوتهم، فقالوا : لنقتلَنّ مالكَ ابن المُنتفِق؛ فقال لهم مالك : أنا آتيكم بورد؛ فركب ببني عُقيل الى بني جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم وردا؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبّوا عن عُقيل، حتى تفرّق من كان مع شَراحيل . فقال في ذلك بَحِيرُ بن عبد الله بن سَلَمة :

أَحيٌّ يتبعون العيرَ نحراً أحبُّ اليك أم حَياً هِلالِ
لعلك قاتلٌ وَرْداً ولَمّاَ تَساقَ الخيلُ بالأَسَل النِّهالِ[٢]
أَلا يا مالُ وَيحَ سِواكَ أقصِرْ أَمَا ينهاكَ حلمُك عن ضَلالِ

يوما رحرحان :

وأمّا يوما رَحرحان، فأحدُهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثاني، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حَنيفة وبني قَيس بن ثَعلبة على بني الحَريش بن كعب وبني عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بني عَبْس يقال لهم بنو حُذَيفة؛ فركبت بنو جَعدة وبنو أبي بكر بن كِلاب، ولم يشهَد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم .

كعب الفوارس ومقتله :

قال : وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس، فإن كعب الفوارس

(١) تروّح فلان : سار في الرواح، أي العشيّ، مثل راح .

(٢) والأسل : الرماح . والنهال : الريانة، واحدها : ناهل، ويطلق الناهل أيضاً على العطشان، فهو من الاضداد .

– وهو ابن معاوية بن عُبادة بن البَكَّاء – مرّ على بني نَهْد وعليه سلاحه، فحمل عليه رجل من نَهْد يقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه؛ ثم إن خُليفاً بعد ذلك بدَهْر مرّ على بني جَعْدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبَّة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان مُحرِماً فلم يقدِر على قتله، فقال: يا هذا! ألا رقعتَ هذا الخَرْق الذي في جُبَّتك! وجعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلغه بعد دهرٍ أنه مرّ ببني جَعْدة، فركِب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أُخبِر أن خُليفاً مرّ بجَنَباتهم[١]، فأدركه فقتله، ثم قال: بُؤ بكعب. ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة بن البَكَّاء: جَرْماً ونَهْداً، وهم يومئذٍ في بني الحارث، فناداهم بنو البَكَّاء: ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهديّ قتل صاحبنا مُحرِماً؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعاً يومئذٍ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذٍ على فرس وَرْدٍ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذٍ غنيمة عظيمة، وقتلوا قَتلى كثيرة. فقال عبد الله في ذلك:

فسائِلْ بني جَرْمٍ اذا ما لقِيتَهم ... ونَهداً إذا حجّتْ عليك بنو نهدِ
فإن يُخبروك الحقَّ عنا تَجِدْهم ... يقولون أبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

يوم الفلج:

قال: وأما يوم الفَلَج، فإن بكر بن وائل بعثتْ عيناً على بني كعب بن رَبيعة حتى جاء الفَلَجَ – وهو ماء – فوجد النَّعَمَ بعضَه قريباً من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس في النَّعَم إلا من لا طَباخَ[٢] به من راعٍ أو ضعيف؛ فجاءهم عينُهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم، سمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال؛ فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك؟! قال: والله ما أدري، وإن هذا لما لم أعهد، فأرسلوا من يعلَم عِلمَهم؛

(١) جنباتهم: نواحيهم.

(٢) الطباخ: القوّة والسمن.

فرجع فأخبرهم أن الرجال قد رجعوا، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة؛ فكرّوا راجعين من ليلتهم؛ وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتّبعوهم، فأصابوا من أُخرياتهم رجالاً وخيلاً، فرجعوا بها.

قال: وأما قوله:

خداش بن زهير وهبيرة بن عامر:

لو تستطيعون أن تُلقوا جلودكم ... وتجعلوا جِلد عبدِ الله سِربالا

فإن السبب في ذلك أن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشَير، لقي خِداشَ بن زهير البَكّائيّ، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعزّ منك؛ فحكّما في ذلك رجلاً من بني ذي الجَدّين، فقضى بينهما أنّ أعزّهما وأكرمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدةَ نسباً؛ فقال خِداشُ بن زُهَير: أنا أقرب اليه، أمّ عبد الله بن جَعدة عمّتي — وهي أميمة بنت عمرو بن عامر — وإنما أنت أدنى اليه منّي منزلةً بأب؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فلَج[١] هبيرةُ القُشَيريُّ وظفِر.

عبد الله بن جعدة:

قال أبو عمرو: وكان عبد الله بن جَعْدة سيّداً مُطاعاً، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتَى بها، يأتيه بها هذا الحيُّ من الأزْد وغيرُهم؛ فجاء سُمَيرُ بن سَلَمة القُشَيريّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته، فأنزله عنها وجلس مكانه؛ فجاء رِياح بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل — وهو الخليع، سُمّي بذلك لتخلّعه عن الملوك لا يُعطيهم الطاعة — فقال للقشيريّ: ما لكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن

(١) فلج: فاز وغلب.

هاهنا حولَه! فقال القشيريّ: كذبتَ، ما هي له! ثم مدّ القشيريّ رجلَه فقال: هذه رجلي فاَضربها إن كنتَ عزيزاً؛ قال: لا! لعمري لا أضرب رجلَك؛ فقال له القُشيريّ: فامدُدْ لي رجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا؛ فقال: ولا أمدّ لك رجلي، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزُّ لي وأذلّ لك؛ ثم أهوى الى رجل القشيريّ فسحَبه على قفاه ونحّاه، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدةَ مكانَه.

قال: وعبد الله بن جعدة أوّل من صنع الدَّبَّابة[1]؛ وكان السبب في ذلك أنهم انتجعُوا[2] ناحيةَ البحرين، فهجموا على عبدٍ لرجل يقال له كَوْدَن في قصر حَصين، فدخّن العبدُ ودعا النساء والصبيانَ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريداً، حتى اذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها الى القصر، ثم حفروا حتى خرقوه[3]؛ فقتل العبدَ ومن كان معه واَستنقذ صبيانَهم ونساءهم. فذلك قول النابغة:

ويومَ دعا ولِدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ   فخالُوا لدى الدّاعي ثريداً مُفلفلَا
وفي ابنَ زياد وهو عُقبة خيرِكم   هبيرةُ يَنزو في الحديد مُكبَّلَا

يعني هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مرّوا على بني زياد العبسيّين والرجال غَيَبٌ، فأخذوا اَبناً لأنس[4] بن زياد واَنطلقوا به يرجون الفِداء؛ واَنطلق عمُّه عُمارة بن زياد حتى أتى بني كعب، فلقي هُبَيرةَ بن عامر بن سَلمة بن

---

(١) الدبابة: آلة تتخذ من جلود وخشب للحروب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وهم في جوفها فتقيهم ما يرمون به من فوقهم.

(٢) الانتجاع: طلب الكلأ ومساقط الغيث.

(٣) «حفروه».

(٤) هو أنس بن زياد العبسيّ ويسمى أنس الفوارس.

قشير ، فقال له : يا هبيرة إن الناس يقولون : إنك بخيل ؛ قال : مَعاذَ اللهِ ! قال : فهَبْ لي جُبّتك هذه ؛ فأهوى ليخلعها ، فلما وقعت في رأسه وثَب عليه فأسره ، ثم بعث إلى بني قُشير : عليّ وعليّ إن قبلتُ من هُبيرة أقلّ من فِدية حاجبٍ[١] إلا أن يأتوني بأبن أخي الذي في أيدي بني جَعدة ؛ فمشتْ بنو قُشيرٍ إلى بني جعدة ، فأستوهبوه منهم فوهبوه لهم ، فأفتَدَوْا به هُبيرةَ .

وحوح اخو النابغة :

وأما خبرُ وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة ، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سَبياً وأسرى ، فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشُّرَيف[٢] ، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة ، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلًا وردّوهم ؛ ولم يظفروا منهم بشيء . وتعلّقت أمرأة من بني أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطف عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفوان ، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلّصه . وطُعِن يومئذ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعديّ ، فارتُثَّ[٣] في معركة القوم ، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسديّ ؛ وعطف عليه يومئذ أخوه النابغة ، فقال له خالد بن نَضلة : هَلُمَّ إليّ وأنت آمن ؛ فقال له النابغة : لا حاجةَ لي في أمانك ، أنا على فرسي ومعي[٤] سلاحي وأصحابي قريب ، ولكني أُوصيك بما في العوسجة[٥] (يعني أخاه وحوح بن قيس) ؛ فعدَل اليه خالد فأخذه وضمه اليه ومنع مِنْ قتله وداواه حتى فُدي بعد ذلك . قال : ففي ذلك يقول مُدرِك العَبْسيّ :

---

(١) هو حاجب بن زرارة ، وهو من الذين يضرب المثل بفدائهم في الوفرة .

(٢) الشريف : واد بنجد .

(٣) ارتث : ضرب في الحرب فأثخن وحمل وبه رمق .

(٤) « وعليّ سلاحي » .

(٥) العوسجة : واحدة العوسج وهو شجر شائك له ثمر أحمر مدوّر .

أقمتُ على الحفاظِ وغاب فَرْجٌ وفي فَرْجٍ عن الحسب انفراجُ
كذلك فِعْلُنا وجِبالُ عَمي وردنَ بوحوح فَلَجَ(١) الفِلاجُ

شعر للنابغة الجعديّ :

ومما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغُنّي فيه قوله وقد جُمع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة — :

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ من صَمَمِ أم هَلْ برَبْعِ الأنيس من قِدَمِ
أم ما تُنادي من ماثلٍ دَرَجَ السَّيلُ علـيه كالحوض مُنهدمِ
غرّاء كالليـلة المباركة القمــراء تَهـدي أوائلَ الظُّلَمِ
أكني بغيرِ اسمِها وقد علِم الله خَفيّاتِ كلّ مُكتَتَمِ
كأنّ فاهـا إذا تبسّم من طِيبِ مَشَمٍّ وطيبِ(٢) مُبتَسَمِ
يُسَنّ(٣) بالضَّرْوِ من بَراقِشَ أو هَيْلانَ أو ضـامرٍ(٤) من العُتُمِ

عروضه من المنسرح . وفي الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر(٥) ذكره إسحاق ولم ينسُبه إلى أحد ، وذكر ابن المكيّ والهشاميّ أنه لمعبد ، وأظنه من منحول يحيى ، وذكر حبش أنه لإبراهيم .

---

(١) فلج (بالتحريك) : مدينة بأرض اليمامة .

(٢) « وحسن مبتسم » .

(٣) يسنّ (يستاك) . والضرو : شجر يستاك به . وبراقش وهيـلان : مدينتان عاديتان باليمن خربتا .

(٤) « أو ناضر » . والعتم (بضمتين) : شجر الزيتون .

(٥) « في مجرى الخنصر » .

وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر ، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملًا آخر ؛ ولابن مِسجح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ من سبَق إلى الكناية عن اسم من يَعني بغيره في الشعر الجعديّ ، فإنه قال :

أكْني بغير اسمها وقد علم الله خَفيّاتِ كلّ مكتتمِ

فسبَق الناسَ جميعاً اليه واتّبعوه فيه . وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُواس حيث يقول :

أسألُ القادمين من حَكَمانٍ[1] كيف خلّفتمُ أبا عثمانِ
فيقولون لي جِنانٌ كما سرّك في حالها فسَلْ عن جِنانِ
ما لهمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ كيف لم يُغنِ عندهم كِتاني

ذكره الفرزدق وتحدث عن شعره :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال :

ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال : كان صاحبَ خُلقان عنده مُطرَفٌ بألفٍ ، وخِمارٌ[2] بوافٍ ، (يعني درهماً) .

وفد على ابن الزبير ومدحه فوصله :

وحدّثني خبَره مع ابن الزبير جماعةٌ ، منهم حبيبُ بن نصر المهلّبيّ وعمر بن

---

(١) حكمان : اسم لضياع بالبصرة .

(٢) الخمار (بالكسر) : النصيف وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، وقد يطلق على العمامة ، لأن الرجل يغطي بها رأسه كما تغطيه المرأة بخمارها؛ وفي حديث أم سلمة «أنه كان يمسح على الخف والخمار» أي العمامة .

عبد العزيز بن أحمد والحرميّ بن أبي العلاء ووكيع ومحمد بن جرير الطبري حدّثنيه من حِفْظه، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيي بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيي بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله ابن عُروة قال:

أقحمتْ[١] السنةُ نابغةَ بني جعدة، فدخل على ابن الزبيرِ المسجدَ الحرام، فأنشده:

حَكَيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمّا وَلِيتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدِمُ
أتاك أبو ليلى يَجُوب به الدُّجى ... دُجى الليلِ جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ[٢]
لتجبُر منه جانباً زَعزَعت به ... صُروفُ الليالي والزمانُ المُصمِّمُ

فقال له ابن الزبير: هوّن عليك أبا ليلى، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير، وأما عَفوته فإنّ بني أسد بن عبد العزّى تشغلُها عنك وتَيماً معها، ولكن لك في مال الله حقّان: حقّ برؤيتك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وحقّ بشِرْكتك أهلَ الإسلام في فيئهم؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم، فأعطاه قلائصَ[٣] سبعاً وجملاً رَجيلاً[٤]، وأوقر له الإبلَ بُرّاً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً؛ فقال ابن الزبير: ويح أبي ليلى! لقد بلغ به الجَهْدُ؛ فقال النابغة: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما وَلِيتْ قريش فعدَلت واسترُحمت فرَحمتْ وحدّثت فصَدقتْ ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ القاصفين» وقال الحرميّ: «فُرّاطٌ لها ضُمْنٌ». قال الزبيريّ: كتب يحيي بن مَعين هذا الحديث عن أخي.

---

(١) أقحمته: ألقته ورمت به. والسنة: الجدب، أي أخرجه الجدب من البادية وأدخله الريف حيث الخضرة والماء.

(٢) العثمثم: الجمل الشديد الطويل.

(٣) القلائص: جمع قلوص وهي الشابة من الإبل بمنزلة الجارية من النساء.

(٤) الرجيل والرحيل من الإبل: القوي على السير.

ضربه ابو موسى الأشعري اسواطاً فهجاه :

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرّياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عديّ قال :

رَعَتْ بنو عامر بالبصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم، فتصارخوا : يا آلَ عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعديّ ومعه عُصبة له؛ فأُتِيَ به الى أبي موسى الأشعريّ، فقال له : ما أخرجك؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومي؛ قال : فضربه أسواطاً؛ فقال النابغة :

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بني ثمودٍ   وأنت أراكَ بكرَ الأشعرينا
فإن يكُنِ ابنُ عفّانٍ أميناً   فلم يَبعَثْ بكَ البَرَّ الأمينا
فيا قبرَ النبيِّ وصاحِبَيْهِ   ألا يا غَوْثَنا لو تسمعونا
ألا صلّى إلهُكُم عليكم   ولا صلّى على الأُمراء فِينا

خبره مع عليّ ومعاوية :

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب قال :

لما خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه الى صِفّين خرج معه نابغةُ بني جَعْدة؛ فساق به يوماً فقال :

قد علِم المِصْرانِ[1] والعِراقُ   أنّ عليّاً فحلها العُتاقُ[2]

---

(١) المصران : الكوفة والبصرة .

(٢) الخمر الحسنة القديمة .

أبيضُ جَحجاحٌ له رُواقُ وأمّــه غالى بها الصَّداقُ
أكرمُ من شُدَّ به نِطاقُ إنَّ الأُلى جارَوْكَ لا أفاقوا
لهم سِياقٌ ولكم سِياقُ قد علمتْ ذلكُم الرِّفاقُ
سُقتم الى نَهج الهُدى وساقُوا الى التي ليس لهــا عِراقُ (١)
في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ

فلما قَدِم معاويةُ بن أبي سفيان الكوفةَ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تأتِ أهلَ المَشرِقَين رسالتي وأيُّ نَصيح لا يَبيتُ على عَتْبِ
مَلَكتمْ فكان الشرُّ آخرَ عهدِكمْ لئن تَدارَكُكُمْ حُلومُ بني حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب الى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه؛ فدخل النّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان، فأنشده :

مَن راكِبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي على النَّأي والأنباءُ تُنمى وتُجلَبُ
ويُخبِر عنّي مــا أقول ابنَ عامر ونعم الفتى يأوِي اليه المُعصَّبُ (٢)
فإنْ تأخذوا أهــلي ومالي بظِنَّةٍ فإنّي لَحرّابُ الرجالِ مُحرِّبُ (٣)
صَبورٌ عــلى ما يكره المرءُ كلّه سِوى الظلم إني إن ظُلمت سأغضَبُ

فألتفت معاويةُ الى مروان فقال : ما ترى؟ قال : أرى ألّا تردَّ عليه شيئاً؛ فقال : ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليَّ ثم تأخذه العربُ فترويه، أمَا والله إن كنتَ لِمن يرويه! أردُدْ عليه كلَّ شيء أخذتَه منه .

شعره في عقال بن خويلد وسببه :

وهذا الشعر يقوله النابغةُ الجعديُّ لِعقال بن خُوَيلد العُقَيليّ يُحذّره غِبَّ الظلم

---

(١) يريد الى مضلة لا نهاية لها ولا غاية .
(٢) المعصب هو الذي عصبتــه السنون أي أكلت ماله ، والمصعب أيضاً : الذي يعصب بطنه بالخرق من الجوع .
(٣) يريد أن يصف نفسه بأنه شديد الكيد والنكاية .

لمّا أجار بني وائل بن مَعن، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعدة، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

قال أبو عمرو الشَّيباني: كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدةَ أن المُنتشر الباهليّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفَّراً . فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنا له يقال له رِسيدان ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعة ثم في بني جعدة ، فلمّا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على سُبيع في وَجهه ذلك ، فقتل منهم ثلاثةَ نفر ؛ فلما فعل ذلك تصدّعت باهلةُ ، فلحِقت فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقليّ، ولحقتْ فرقة أخرى يقال لهم بنو قُتيبة وعليهم حَجَلُ الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقالُ وائلاً . فلما رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قِتالهم، فقال لهم عِقال : لا تقاتلوهم فقد أجرتُهم، فأمّا أحدُ الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، وأمّا الآخران فعليّ عَقْلُهما[1]؛ فقالوا : لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً[2] (يعني الدية)؛ فقال : لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ ؛ فلم يزل بهم حتى قبِلوا الدية . وانتقلت وائل إلى قومهم . فقال النابغة في ذلك قصيدتَه التي ذكر فيها عِقالا :

فأبلغْ عِقالاً أنّ غايةَ داحسٍ[3] ... بكفّيكَ فاستأخِرْ لها أو تقدّمِ
تُجيرُ علينا وائلاً في دمائنا ... كأنك عمّا نابَ أشياعَنا[4] عَمِ
كُلَيبٌ لَعَمْري كان أكثرَ ناصراً ... وأيسرَ جُرماً منك ضُرّجَ بالدمِ
رَمى ضَرعَ نابٍ[5] فاستمرّ بطَعنةٍ ... كحاشيةِ البُردِ اليَماني المسهَّمِ[6]

---

(١) العقل : الدية .

(٢) الغير : قيل : إنه مفرد جمعه أغيار، وقيل : هو جمع غيرة (بالكسر) وهي الدية .

(٣) داحس : اسم فرس أضيفت اليه حرب كانت بين عبس وذبيان، وهي حرب داحس .

(٤) يكون المعنى على هذه الرواية أن النابغة يهدّد عقالا ويحذره ما أصاب وائلا منهم من بأس .

(٥) الناب : الناقة المسنة .

(٦) المسهم : المخطط بصور على شكل السهام .

وما يَشعُرُ الرمحُ الأصمُّ كعوبُه ... بثَرْوَةِ رَهْطِ الأبلخِ[1] المتظلِّمِ
وقال لجسَّاسٍ أغثني بشربةٍ ... تفضَّلْ بها طَولًا عليَّ وأنعِمِ
فقال تجاوزتَ الأحصَّ[2] وماءَه ... وبطنَ شُبَيْثٍ وهو ذو مُترَسَّمِ[3]

* * *

حرب البسوس.

وكان السببُ في قتل كُليبِ بن ربيعة – فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنان بن مَرثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرثَد أخي بني قيس بن ثَعلبة، ونسختُ بعضه من رواية الكلبيّ، وأخبرنا به محمدُ بن العبَّاس اليزيديّ عن عمه عبيدِ الله عن ابن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل، فجمعتُ من رواياتهم ما احتيجَ الى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى – أنّ كُليباً كان قد عزَّ وسادَ في ربيعة فبغَى بَغياً شديداً، وكان هو الذي يُنزِلهم منازلهم ويرحِّلهم، ولا يَنزِلون ولا يرحلون إلا بأمره. فبلغ من عِزِّه وبغيه أنه اتَّخذ جِرْوَ كلبٍ، فكان إذا نزل منزلًا به كَلأٌ قذف ذلك الجِروَ فيه فيعْوي، فلا يَرعى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحرْبٍ؛ فضرب به المثل في العزّ، فقيل: «أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ». وكان يحمي الصيدَ، ويقولُ: صيدُ ناحية كذا وكذا في جِواري؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً؛ وكان لا يمرّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرُه؛ فقتله جسَّاسُ بنُ مُرَّةَ.

وقال أبو عُبيدةَ: قال أبو برْزَةَ القيسيّ وهو من ولد عمرو بن مَرثَد:

(١) الأبلخ: العظيم في نفسه الجريء على ما أتى من الفجور.
(٢) الأحص: واد، وشبيث: ماء معروف لبني تغلب.
(٣) المترسم: موضع الماء لمن طلبه.

وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكريّ ولا تَغلبيّ أجار رجلًا ولا بعيراً إلا بإذنه ، ولا يحمي حِمًى إلا بأمره ، وكان إذا حَمى حِمًى لا يُقرَب ؛ وكان لمُرّةَ بنِ ذُهلِ بنِ شَيبان بن ثَعلبةَ عشرةُ بنينَ جسّاسٌ أصغرُهم، وكانت أختهم عند كليب . وقال مُقاتِلٌ وفِراسٌ : وأمُّ جسّاسٍ هَيلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمانَ بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَناةَ ، ثم خلف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ ابنِ قيس بن ثعلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهل ؛ فولدتْ له مالكاً وعَوفاً وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَندَق البَسوسيّ : فهي أمّنا . وخالة جسّاس البسوس — وقال أبو بَرْزَةَ : البَسوسيّةُ — وهي التي يُقال لها : « أشأمُ من البسوس » . فجاءت فنزلت على ابن أختها جَسّاس فكانت جارةً لبني مُرّة ، ومعها ابنٌ لهـا ، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ[١] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل :

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ : وقد كان كليب قبل ذلك قال لصاحبته أختِ جسّاس : هل تعلمينَ على الأرض عربياً أمنعَ منّي ذِمّةً ؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة ، فقالت نعم أخي جساسٌ ونَدمانُهُ[٢] بن عمه عمرو[٣] المُزدَلَفُ بنُ أبي ربيعة بن ذُهل بن شَيبان . وزعم مقاتل : أن امرأته كانت أختَ جسّاسٍ ، فبينا هي تَغسلُ رأسَ كليب وتُسرّحه ذات يوم إذ قال : مَنْ أعزُّ وائل ؟ فصمتت[٤] ، فأعاد عليها ؛ فلما أكثر عليها قالت : أخَوايَ جسّاسٌ وهمّامٌ ؛ فنزع رأسه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فيصلَ ناقةِ البسوس خالة جَسّاس وجارةِ بني مُرّة فقتله ؛ فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كليبٌ ابنَ البسوس فقال : ما فعل فيصلُ ناقتكم ؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبنَ أمه ؛ فأغمضوا على هذه أيضاً . ثم إنّ كليباً أعاد على امرأته فقال :

(١) ناقة خوّارة : رقيقة حسنة .

(٢) الندمان : الذي يرافقك وينادمك على الشراب، وقد يكون جمعاً .

(٣) المزدلف لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس بن مرة، لقب به لأنه ألقى برمحه في حرب فقال : ازدلفوا اليه .

(٤) في نسخة : « فضمزت »، وضمزت : سكتت .

مَنْ أعزّ وائل ؟ فقالت : أخواي؛ فأضمرها وأسرّها في نفسه وسكت، حتى مرّت به إبلُ جسّاس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جسّاس؛ قال : أوَ قد بلغ من أمر ابن السّعدية أن يُجيرَ عليّ بغير إذني ! ارمِ ضرعها يا غلامُ. قال فِراسٌ : فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة ؟ فاختلط دمُها بلبنها؛ وراحت الرُّعاةُ على جسّاس فأخبروه بالأمر؛ فقال : احلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بمحلَبها ولا تذكُروا لها من هذا شيئاً؛ ثم أغمضوا عليها أيضاً. قال مُقاتلٌ : حتى أصابتهم سَماء، فغدا في غِبّها يتمطّر[1]، وركِب جسّاس بن مُرّةَ وابنُ عمه عمرو بن الحارث بن ذُهل — وقال أبو بَرْزةَ : بل عمرو بن أبي ربيعة — وطعن عمرٌو كليباً فحطم صُلبَه؛ وقال أبو برزةَ : فسكت جسّاسٌ، حتى ظعن ابنا وائل؛ فمرّت بَكرُ بن وائل على نِهيٍ[2] يقال له شُبَيثٌ فنفاهم كليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً، ثم مرّوا على نِهيٍ آخر يقال له الأحصُ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً؛ ثم مرّوا على بطن الجريب[3] فمنعهم إيّاه؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذّنائب[4]، واتّبعهم كليبٌ وحيُّه حتى نزلوا عليه؛ ثم مرّ عليه جسّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال : طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتُلهم عطشاً! فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون؛ فمضى جسّاسٌ ومعه ابنُ عمه المزدلِفُ. وقال بعضهم : بل جسّاسٌ ناداه فقال : هذا كفِعلكَ بناقة خالتي؛ فقال له : أوَ قد ذكرتَها ! أمَا إني لو وجدتُها في غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبلَ بها. فعطف عليه جسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذَ حِضْنَيه[5]؛ فلما تداءمَه[6] الموتُ قال :

---

(١) يتمطر : يتنزه .

(٢) النهي : الغدير، وهو أيضاً الموضع الذي له حاجز ينهي الماء أن يفيض منه .

(٣) الجريب : واد عظيم بين أجلى وبين الذنائب وحبر، تجيء أعاليه من قبل اليمن حتى يصب في الرمة .

(٤) الذنائب : موضع بنجد .

(٥) الحضن : ما دون الإبط الى الكشح .

(٦) تداءمه : تراكم عليه وتراحم .

يا جسَّاس أسقِني من الماء ؛ قال : ما عَقَلْتُ استسقاءكَ الماءَ منذُ ولَدَتك أمُّكَ إلا ساعتَك هذه ! . قال أبو بَرْزة : فعطَف عليه المُزدلف عمرو بن أبي ربيعةَ فاحتَزّ رأسه . وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصم صُلبَه . قال : وفيه يقول مُهلهلٌ :

قتيلٌ ما قتيلُ المرء عمرٍو وجسَّاسِ بنِ مُرّةَ ذو ضَريرِ[١]

وقال العباسُ بن مِرداسٍ السُّلَميّ يُحذِّرُ كُلَيبَ بن عَهمةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ لما مات حربُ بن أميةَ وخَنَقتِ الجنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية فجحدهم كُليبٌ حظَّهم منها — وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى — فحذّره غِبَّ الظلم فقال :

أكليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالماً والظلمُ أنكدُ وجهُه ملعونُ
فافعلْ بقومك ما أرادَ بوائلٍ يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحَلُ للأعشى :

ونحن قهرنا تَغلِبَ ابنةَ وائلٍ بقتل كليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا[٢]
أبأْناه[٣] بالناب التي شقَّ ضرعَها فأصبح مَوْطوءَ الحِمَى مُتذلِّلا

قال : ومَقتلُ كليب بالذّنائب عن يسار فَلْجةَ[٤] مُصعِداً الى مكةَ، وقبرُه بالذنائب . وفيه يقول المهلهلُ :

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كليبٍ فيُخبَرَ[٥] بالذنائب أيُّ زِيرِ

---

(١) الضرير : الشدة، ويقال : فلان ذو ضرير إذا كان ذا صبر على الشرّ ومقاساة له . وذو ضرير هنا صفة لقتيل .

(٢) تخيل : تكبر .

(٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

(٤) فلجة : منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرق حجر .

(٥) نصب « فيخبر » لما في « لو » من معنى التمني . « وأي زير » مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قال : أي زير أنا .

قال أبو بَرْزَةَ : فلما قتله أمال يَدَه بالفرس حتى أنتهى الى أهـله . قال : وتقول أختُه حين رأته لأبيها : إنّ ذا لجسّاسُ أتى خارجاً ركبتاه؛ قال : والله ما خرجتْ ركبتاه إلا لأمرٍ عظيم! قال : فلما جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيَّ؟ قال : ورائي أني قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنّ بها شيوخُ وائلٍ زمناً؛ قال : أقتلت كليباً ؟ قال نعم؛ قال : وَدِدتُ أنكَ وإخوتَكَ كنتم مُتّم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءمَ بي أبناءُ وائل . وزعم مُقاتلٌ أنّ جسّاساً قال لأخيه نَضْلَةَ بن مرّة — وكان يُقال له عَضْدُ الحمار — :

وإني قد جَنيتُ عليكَ حرباً تُغِصُّ الشيخَ بالماءِ القَراحِ
مُذَكَّرةً[1] متى ما يَصْحُ عنها فَتًى نَشِبَتْ بآخَرَ غيرِ صاحِ
تُنَكِّلُ عن ذُبابِ[2] الغيّ قوماً وتدعُو آخرينَ الى الصَّلاحِ

فأجابه نَضْلَةُ :

فإن تكُ قد جَنَيتَ عليّ حرباً فلا وانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ :

وكان هَمَّامُ بنُ مُرة آخى مُهَلهِلاً وعاقدَه ألا يَكتُمَه شيئاً؛ فجاءت اليه أَمَةٌ له فأسرّت اليه قتلَ جسّاسٍ كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبِرْه ؛ فذكّره العهدَ بينهما ؛ فقال : أخبرَتْ أنّ جسّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال : أستُ[3] أخيكَ أضيقُ من ذلك . وزعم مُقاتلٌ : أنّ همّاماً كان آخى مُهَلهِـلاً وكان عاقده ألّا يكتمه

(١) مذكرة : شديدة .

(٢) المعنى الذي يمكن أن يراد من معاني الذباب هنا وهو مضاف الى الغيّ : الجنون او الشرّ، أي إنها تصرف قوماً عن جنون غيهم وطيشهم وتردّهم الى صوابهم . ويروى : « عن ذئاب الغيّ » . وورد هذا الشطر في كتاب بكر وتغلب ابني وائل :

تنكل دانيات البغي قوماً

(٣) تضرب العرب ضيق الاست مثلاً في الذلة والضعف . قال في اللسان : « ويقال للرجل الذي يستذل ويستضعف : آست أمك أضيق وآستك أضيق من أن تفعل كذا وكذا » .

شيئاً ؛ فكانا جالسَين ، فمرّ جسّاسٌ يركُضُ به فرسُه مُخرجاً فخذيه ؛ فقال همّام : إنّ له لأمراً ، والله ما رأيتُه كاشفاً فخذيه قطّ في ركضٍ ؛ فلم يلبثْ إلا قليلاً حتى جاءته الخادم فسارّته أنّ جسّاساً قتل كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما أخبرَتكَ ؟ قال : أخبرَتني أن أخي قتل أخاك ؛ قال : هو أضيقُ أستاً من ذلك . وتحمّل القومُ ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل .

وقال المفضّلُ في خبره : فلما قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضهم لبعض : لا تَعجلوا على إخوتكم حتى تُعذِرُوا بينكم وبينهم ؛ فانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أَتوا مُرّةَ بنَ ذُهل ، فعظّموا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : اخترْ منّا خِصالاً : إمّا أن تدفعَ الينا جسّاساً فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظلِمْ مَنْ قتل قاتلَه ، وإمّا أن تدفعَ الينا همّاماً ، وإمّا أن تُقيدَنا من نفسك ؛ فسكتَ ، وقد حضرته وُجوه بني بكر بن وائل فقالوا : تكلّمْ غيرَ مخذول ؛ فقال : أمّا جسّاسٌ فغلامٌ حديثُ السنّ ركِبَ رأسه فهرَبَ حين خاف فلا عِلمَ لي به ، وأمّا همّامٌ فأبو عَشرةٍ وأخو عشرة ، ولو دفعتُه اليكم لصَيّحَ[1] بنوه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره ؛ وأمّا أنا فلا أتعجّلُ الموتَ ، وهل تزيدُ الخيلُ على أن تجول جولةً فأكونَ أوّلَ قتيل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فدُونكم أحدَهم فاقتلُوه به ، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقةٍ تَضمَنُها لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغضِبوا وقالوا : إنّا لم نأتكَ لتُرذِلَ[2] لنا بنيكَ ولا لتَسومَنا اللبن ؛ فتفرّقوا ، ووقعت الحربُ . وتُكلِّمَ في ذلك عند الحارث بن عُبادٍ ، فقال : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل » ، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلاً . قالوا جميعاً : كانت حربهم أربعين سنة ، فيهنّ خمسُ وقَعات مُزاحَفات ، وكانت تكون بينهم مُغاورات[3] ، وكان الرجل يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا .

---

(١) صيّح الرجل : بالغ في الصياح .

(٢) أي تعطينا رذال بنيك ورذال الشيء (بالضم) : أردؤه .

(٣) يقال : غاور القوم اذا أغار بعضهم على بعض .

يوم عنيزة :

وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عُنَيْزَةَ، وهي عند فَلْجةَ، فتكافأوا فيه لا لبكر ولا لتغلب؛ وتصديق ذلك قولُ مُهلهلٍ :

كأنّا غُدوةً وبني أبينا ... بجنبِ عُنَيزةٍ رَحيا مُديرِ
ولولا الريحُ أُسمعَ مَنْ بحُجْرٍ[1] ... صليلَ البِيض تُقرَعُ بالذُّكورِ

يوم واردات :

فتفرّقوا، ثم غبروا زماناً. ثم التقَوْا يوم واردات[2]، وكان لتغلبَ على بكر، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل، وقتلوا بُجيراً؛ وذلك قولُ مُهلهلٍ :

فإني قد تركتُ بواردات ... بُجيراً في دمٍ مثلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بني عُبادٍ ... وبعضُ الغَشْمِ[3] أشفى للصدورِ

قال مُقاتلٌ : إنه إنما التُقِطَ تَوّاً. وسيجيء حديثُه أسفلَ من هذا. التوّ : الفرد، يقال : وجدته تَوّاً، أي وحده.

قال أبو بَرْزة : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثَعلبة بن عُكابةَ ورَأسوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبادٍ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقَوْا بالحِنْوِ[4]، فظهرت بنو ثعلبة على تغلِب.

---

(١) حجر قصبة اليمامة. والصليل : الصوت. والذكور : السيوف.
(٢) واردات : موضع عن يسار طريق مكة.
(٣) الغشم : الظلم.
(٤) الحنو : موضع في ديار بكر وتغلب.

يوم القصيبات :

قال مقاتل : ثم التقوا يومَ بطن السِّرِّ ، وهو يوم القُصَيبات[١] وربما قيل يوم القُصَيبة ، وكان لبني تغلِب على بكر ، حتى ظنَّت بكرُ أن سيقتلونها[٢] .

يوم قضة :

قال مقاتل : وقتلوا يومئذٍ همَّامَ بن مرَّة — . ثم التقوا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيَّة[٣] . ويومُ قِضَة ويومُ الفصيلِ لبَكر على تغلِب . قال أبو برزة : اتبعتْ تغلب بكراً فقطعوا رمَلاتِ خزازى[٤] والرَّغامَ ثم مالوا لبطن الحمارة[٥] ؛ فوردت بكرُ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ ثم صدرَتْ وحَلَئوا[٦] تغلِبَ ، ونهضوا في نُجعة يقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير ؛ فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغلَيِّم من بني تَيم اللاَّت بن ثعلبة يطرُد ذَوْداً[٧] له ، فطعن في بطنــه بالرمح ثم رفعه فقال : تحَدَّبي أمَّ البَوِّ على بوِّكِ . فرآه عَوف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، فقال : أنفِذوا جملَ أسماء (ابنته) فإنه أمضى جِمالِكم وأجودُها منفذاً ، فإذا نَفِذ تبعتْه النَّعمُ ؛ فوثب الجمل في المُوَيبة ، حتى اذا نهض على يديه وارتفعت

---

(١) القصيبات : موضع في ديار بكر وتغلب .

(٢) «أن» مخففة من الثقيلة لوجود السين في الفعل بعدها .

(٣) الثنية هنا : الطريقة في الجبل كالنقب .

(٤) خزازى : جبل في ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل، على يسار طريق البصرة الى المدينة، بإزاء حمى ضرية . والرغام : اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة .

(٥) الحمارة : اسم حرة . غير أن سياق عبارة الهمداني (في كتابه صفة جزيرة العرب ص ١٥٢ — ١٥٣) يدل على أن التي تصاقب الرغام هي « الحمادة » بالدال لا الحمارة بالراء . والحمادة (بالفتح) كما في معجم ياقوت : ناحية باليمامة أيضاً .

(٦) حلئوا تغلب : منعوها الماء .

(٧) الذود : ثلاثة أبعرة الى التسعة وقيل الى العشرة وقيل غير ذلــك ، ولا يكون إلا من الإناث، وهو يستعمل بمعنى الواحد وبمعنى الجمع .

رجلاه ضربَ عرُقوبيه وقطع بطانَ الظَّعينة فوقع فسدَّ الثنيةَ — ثم قال عوف : أنا البُرَكُ أبرُكُ حيث أدرِكُ ، فسمِّي البُرَكَ — ووقع الناس الى الأرض لا يرون مجازاً ، وتحالقوا لتعرفهم النساء ؛ فقال جَحدر بن ضُبيعة بن قيس أبو المسامِعة — واسمه ربيعة ؛ قال : وإنما سُمِّي جحدراً لقِصَرِه — : لا تحلقوا رأسي فإني رجلٌ قصير ، لا تَشينوني ، ولكنّي أشتريه منكم بأوّلِ فارس يطلُع عليكم من القوم ؛ فطلع ابن عَناق فشدّ عليه فقتله . فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مِسمَع بن مالك بذلك :

يابنَ الذي لمّا حلقنا اللِّمَا ... ابتاع منا رأسه تكرُّمَا
بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّمَا

وقال البكريّ :

ومنّا الذي فادَى من القوم رأسه ... بمستلئمٍ[1] من جمعهم غيرِ أعزلا
فأدّى الينا بَزّه[2] وسلاحه ... ومُنفصِلًا من عُنقه قد تَزيّلا

قال وكان جَحدرٌ يرتجز يومئذ ويقول :

رُدّوا عليّ الخيلَ إن ألمّتِ ... إن لم أقاتلهم فجُزّوا لِمّتي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسمَعيّ أنه لم يقلها ، وأن صخر بن عمرو السُّلَميّ قائلها فقال مِسمَع : كَردِين[3] (كذب) عامر . وقال البكريّ :

ومنّا الذي سَدّ الثنيّةَ غُدوةً ... على حَلقةٍ لم يُبقِ فيها تحلُّلا
بجَهدِ يمينِ الله لا يطلُعونها ... ولمّا نُقاتِلْ جمعَهم حين أسهلا

---

(١) المستلئم : لابس اللأمة : وهي السلاح كلها . يقال : استلأم الرجل اذا لبس ما عنده من عدّة : رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل ودرع .

(٢) البز : نوع من الثياب .

(٣) كردين : كلمة فارسية معناها : حائد عن الصواب .

وأمّا مقاتل فزعم أنهم قالوا : اتخذوا عَلَماً يعرف به بعضكم بعضاً، فتحالقوا . وفيه يقول طَرَفة[١] :

صوت

سائلوا عنّا الذي يَعرفنا بقُوانا يومَ تَحلاقِ اللِّمَمْ
يومَ تُبدي البِيضُ عن أَسوُقِها[٢] وتلفُّ الخيلُ أعراجَ النَّعَمْ

غنّى في هذين البيتين ابن مُحرِز خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر أحمد بن المكيّ أنه لمعبد .

همام بن مرة ومقتله :

وزعم مقاتل أنّ همّام بن مرّة بنِ ذُهل بن شَيبان ، لم يزلْ قائدَ بكر حتى قُتل يوم القُصَيبات ، وهو قبل يوم قِضَة ، ويوم قِضَة على أثره . وكان من حديث مقتل همّام أنه وجد غلاماً مَطروحاً ، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرَةَ فكان عنده لَقِيطاً ؛ فلما شبّ تبيّنَ أنه من بني تغلِب ؛ فلمّا التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل همّام يقاتل ، فإذا عطِش رجع إلى قِربة فشرِب منها ثم وضع سلاحه ؛ فوجد ناشرةُ من همّام غفلةً ، فشدّ عليه بالعنَزَة[٣] فأقصده فقتله ، ولحق بقومه تغلِبَ . فقال باكي همّام :

---

(١) ذكر هذان البيتان في ديوان طرفة ضمن قصيدة أثبتها له أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيباني، وزعم الأصمعي أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها .

(٢) أسؤق : جمع لساق، همزت الواو فيه لتحمل الضمة، أي يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع . وتلف : تجمع . وأعراج : جمع عرج (الفتح ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها الى تسعين أو هو مائة وخمسون وفويقها أو من خمسمائة الى ألف. والنعم (بالتحريك وقد تسكن عينه) : الإبل .

(٣) العنزة : شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها .

لقد عَيَّلَ(١) الأقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ أناشِرُ لا زالتْ يمينُك آشِرَهْ(٢)

ثأر الحارث بن عباد :

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بني يَشكُر . فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمّعتْ اليهم بكر، جاء اليهم الفِنْد الزِّمّانيّ أحد بني زِمّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المِسمَعيّ : فرأسوه عليهم ؛ فقلت أنا لفراس ابن خَنْدَق : إن عامراً يزعم أن الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَةَ ؛ فقال : رحِم الله أبا عبد الله ! كان أقلّ الناس حظّاً في عِلم قومه . وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد همّام الحارثُ بن عباد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُباد قد اعتزل يوم قتل كليب ، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي، وربما قال : لست من هذا ولا جملي ولا رَحلي ، وخذل بكراً عن تغلِبَ ، واستعظم قتلَ كليب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُباد :

يا بؤسَ للحرب التي وضعتْ أراهط(٣) فاستراحوا
والحربُ لا يبقى لجا حِمِها(٤) التَّخيُّلُ والمِراحُ(٥)
إلّا الفتى الصبّارُ في النَّجَداتِ والفرسُ الوَقاحُ(٦)

فلمّا أخذ بُجَيرُ بن الحارث بن عُباد تَوّاً بواردات — وإنما سُلَّ ولم يؤخذ في

(١) ويروى : الأيتام بدل الأقوام . وعيلتهم الطعنة . أفقرتهم وأحوجتهم، اذ كان المطعون معتمدهم وسندهم .

(٢) آشرة : أي لا زالت يمينك مأشورة (مشقوقة) او ذات أشر .

(٣) أراهط : جمع أرهط الذي هو جمع رهط . وقال سيبويه : إن أراهط جمع لرهط على غير قياس .

(٤) ويروى : « لجاحها » وجاحم الحرب : موقدها ومثيرها .

(٥) التخيل : التكبر . والمراح : الأشر والبطر .

(٦) الوقاح : الصلب القويّ :

مُزاحفة — قال له مُهلهل: مَن خالك يا غـلام؟!. قال أمرؤ القيس بن أبان التَّغْلبيّ لمهلهل: إني أرى غلاماً لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله، وربما قال عن حاله — قال: فكان والله أمرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عُباد يوم قِضَة بيده — فقتله مهلهل. قال: فلما قتَل مهلهل بُجَيْراً قال: بُؤْ بِشِسع[1] نعل كليب؛ فقال له الغلام: إن رضيت بذلك بنو ضُبيعة بن قيس رضيتُ. فلما بلغ الحارث قتلُ بُجير أبنِ أخيه — وقال أبو بَرْزة: بل بجير أبن الحارث بن عُباد نفسه — قال: نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أصلح بين أبنيْ وائلٍ وباء بكُليب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إنّ مهلهلاً لمّا قتله قال له: بُؤْ بِشِسع نعل كليب — وقال مهلهل:

كلُّ قتيلٍ في كُليبٍ حُلَامْ[2] حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمّامْ

وقال أيضاً:

كلُّ قتيلٍ في كُليبٍ غُرّهْ[3] حتى ينالَ القتلُ آلَ مُرّهْ

— فغضب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل. قال مقاتل: وقال الحارث أبن عُباد:

قرِّبا مَرْبطَ النَّعامةِ[4] مِنّي لَقِحتْ[5] حربُ وائلٍ عن حِيالِ
لا بُجيرٌ أغنى قتيلاً ولا رهـــطُ كُليبٍ تَزاجروا عن ضَلالِ
لم أكن من جُناتها علم اللّـــهُ وإنّي بحرّها اليومَ صالِ

---

(١) باء دمه بدمه: عدله وكافأه، وباء فلان بفلان: قتل به.

(٢) قتيل حلام: ذهب باطلاً. ويروى حلان والشطر الثاني في رواية «حلان»: «حتى ينال القتل آل شيبان».

(٣) الغرة: العبد والأمة. ومعنى هذا البيت كمعنى الذي قبله.

(٤) النعامة: اسم فرس كانت للحارث بن عباد.

(٥) أصل اللقاح الحمل. وعن بمعنى بعد. وحيال مصدر حالت الأنثى اذا لم تحمل. والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون.

قال : ولم يصحّ عامر ولا سمع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو برزة قال : كان أوّل فارس لقي مهلهلاً يوم واردات بُجير بن الحارث بن عُباد ، فقال : مَنْ خالك يا غلام ، وبوّأ نحوه[1] الرمحُ ؛ فقال له أمرؤ القيس بن أبان التغلبي — وكان على مقدمتهم في حروبهم — : مهلاً يا مهلهل ! فإنّ عمّ هذا وأهلَ بيته قد أعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره ، ووالله لئن قتلته ليُقتلنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يَلتفتْ مهلهل إلى قوله وشدّ عليه فقتله ، وقال : بُؤْ بشِسع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إن رَضيتْ بهذا بنو تغلبة فقد رضيتُه . قال : ثم غبَروا زماناً ، ثم لقي همّامَ بن مرّة فقتله أيضاً . فأتى الحارثَ بن عُباد فقيل له : قتل مهلهل هماماً ؛ فغضب وقال : رُدُّوا الجمالَ على عَكَرها[2] « الأمرُ مخلوجةٌ ليس بسلْكَى[3] » ؛ وجدّ في قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثُ بن عُباد ؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ ، وكان فارسَهم جحدرٌ ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبيعة ، وكان الذي سدّ الثنيَّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبيعة ؛ وكان عوفٌ أنبه من أخيه سعد . وقال فِراس بن خَندَق : بل كان رئيسَهم يوم قِضَةَ الحارثُ بن عُباد .

أسر مهلهل ونجاته :

قال مقاتل : فأسرَ الحارثُ بن عباد عَدِيّاً — وهو مهلهل — بعد أنهزام الناس وهو لا يعرفه؛ فقال له : دُلَّني على المهلهل ؛ قال : ولي دَمي ؟ قال : ولك دَمُك ؛ قال : ولي ذِمّتُك وذمّة أبيك ؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فأنا مُهلهل . قال :

---

(١) بوّأ نحوه الرمح : قابله به وسدّده نحوه .

(٢) العكر : (محركة وقد تسكن) جمع عكرة : وهي القطيع الضخم من الإبل، أي ردوا ما تفرق من الإبل الى معظمها .

(٣) السلكى : الطعنة المستقيمة وهي التي تقابل المطعون فتكون أسلك فيه . والمخلوجة : المعوجة . يضرب هذا المثل في آستقامة الأمر ونفي ضدّها .

دُلَّني على كُفْء لبُجَيْر ؛ قال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هذاك عَلَمُه ؛ فجزّ ناصيته[1] وقصد قَصْدَ امرىءِ القيس فشدّ عليه فقتله. فقال الحارث في ذلك :

لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولم أعـــرِفْ عَدِيًّا إذ أمكنتني اليدانِ
طُلّ[2] مَنْ طُلَّ في الحروب ولم أو ترْ بُجَيراً أَبأْتُه[3] ابنَ أبانِ
فارسٌ يَضرِبُ الكتيبةَ بالسيـــف وتسمو أمامَــه العينانِ

وزعم حُجر أنَّ مُهلهلا قال : لا واللهِ أو يَعهَدَ لي غيرُك ؛ قال الحارث : اخترْ مَنْ شئت ؛ قال : أختار الشيخَ القاعد عَوفَ بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عوفُ أجِرْه ؛ قال : لا ! حتى يقعدَ خَلْفي ؛ فأمر فقعد خلفه ؛ فقال : أنا مُهلهل . وأمّا مقاتل فقال : إنما أخذه في دَوْرِ الرَّحى[4] وحَوْمة القتال ولم يقعد أحد بعدُ ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحدَرٌ ، فاعتوره عمرو وعامر ، فطعن عمراً بعالية[5] الرمح وطعن عامراً فقتلها عِداء[6] وجاء بِبَزِّهما . قال عامر بن عبد

---

(١) الناصية : الشعر في مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب أنهم اذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزها يفخر بها . وربما جزت ناصية الأسير شريفاً كان او غير شريف وأخذت للافتخار ، والعرب متفاوتون في ذلك . قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرّي أحد الأجواد في الجاهلية :

عظمت دسيعته وفضـــله جز النواصي من بني بدر

وقالت الخنساء مفتخرة :

جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بألا يصاب فقد ظن عجزا

(٢) طل دم القتيل : ذهب هدرا .

(٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

(٤) يروى : «أخذه في المرحى» . والمرحى : حومة الحرب .

(٥) عالية الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وزج الرمح : حديدة في أسفله .

(٦) يقال : عادى الفارس بين صيدين وبين رجلين اذا طعنهما طعنتين متواليتين ، والعداء بالكسر ، والمعاداة : الموالاة والمتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد ، وأنشد لامرىء القيس :

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل

الملك المِسمعي : فحدّثني رجلٌ عالم قال : سألني الوليدُ بن يزيد : مَنْ قتلَ عمراً وأخاه عامراً ؟ قلت : جَحْدَر ؛ قال : صدقتَ ، فهل تدري كيف قتلها ؟ قلت : نعم ، قتل عمراً بسِنان الرمح وقتل عامراً بزُجّه . قال : وقتل جحدرٌ أيضاً أبا مِكنَفٍ . قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهل بعد الوَقعة والأسْرِ إلى أهله، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه : تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والغلامُ عن أبيه وأخيه ؛ فقال :

ليس مثلي يُخبِّر الناسَ عن آ بائهم قُتِّلوا ويَنسى القِتالا
لم أرِم[١] عَرصةَ الكتيبةِ حتى أنتعل الوَرْدُ[٢] من دماء نِعالا
عَرَفَته رِماحُ بكرٍ فما يأ خُذن إلا لَبانَه[٣] والقَذالا
غلَبونا ، ولا محالةَ يوماً يَقلِبُ الدهرُ ذاك حالاً فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فكان في جَنبٍ[٤]، فخطب اليه أحدُهم ابنته فأبى أن يفعل ، فأكرهوه فأنكحها إياه ؛ فقال في ذلك مهلهل :

أنكحها فقدُها الأراقِمَ[٥] في جَنبٍ وكان الحِباءُ[٦] من أدَمِ
لو بأبانَينِ[٧] جاء يخطبُها ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ
أصبحتُ لا مُنفِساً[٨] أصبتُ ولا أُبتُ كريماً حراً من النَّدَمِ

---

(١) لم أرم : لم أبرح .

(٢) الورد من الخيل : بين الكميت والأشقر؛ او هو الأحمر الضارب الى الصفرة .

(٣) اللبان : الصدر . ويروى : « لباته » واللبة : المنحر .

(٤) جنب : حي باليمن من مذحج، وهم ستة رجال : منبه والحارث والعلي وسيحان وشمران وهفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء .

(٥) الأراقم : حيّ من تغلب .

(٦) ويروى : « الخباء » وهو تصحيف .

(٧) أبانان : جبلان، قيل : يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود .

(٨) المنفس : المال الكثير الذي له قدر وخطر .

هان علـى تَغلِبٍ بما لَقِيتْ أختُ بني المالِكِين من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنـا الكرام ولا يُغنُون من عَيلةٍ ولا عَـدَمِ

ثم إن مهلهلًا انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيعة، فطلب اليه أخواله بنو يَشكُر – وأمّ مهلهلٍ المرادة بنت ثَعلبة بن جُشَم بن غُبَر اليَشكُريّة، وأختها مَنّة بنت ثَعلبة أمّ حُيَيّ بن وائلٍ، وكان المُحلّـل بن ثَعلبة خالَها – فطلب الى عمرو أن يدفعه اليه فيكونَ عنده ففعل؛ فسقاه خمراً، فلما طابت نفسه تَغنّى:

طَفلَةٌ[1] ما ابنةُ المُحلّل بيضا ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك مَن سَمِعه من المُهلهِل الى عمرٍو، فحوّله اليـه وأقسم ألّا يذوق عنده خمراً ولا ماء، ولا لبناً حتى يَرِدَ رَبيبٌ الهِضابَ (جمل له كان أقلّ وروده في الصيف الخِمْسَ[2])؛ فقالوا له: يا خير الفتيان، أرسِلْ الى ربيبٍ فلتُؤتَ به قبل وروده، ففعل فأَوْجره[3] ذَنوباً من ماء؛ فلما تَحلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماء رأيته، فمات. فتلك الهِضاب التي كان يرعاهـا ربيبٌ يقال لها هِضاب ربيب، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ. قال مقاتل: ولم يُقاتـل معنا من بني يَشكُرَ ولا من بني لُجَيمْ ولا ذُهل بنِ ثَعلبة غـيرُ ناس من بني يَشكر وذُهلٍ قاتلتْ بأَخَرَة[4]، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِضّةَ مع الفِندِ. وفي ذلك يقول سَعد بن مالك:

إنّ لُجَيماً قد أبتْ كلُّها أن يُرْفِدونا رجلًا واحدَا
ويَشكُرٌ أضحتْ عـلى نأيها لم تَسمعِ الآن لها حامدَا
ولا بنو ذُهلٍ وقد أصبحوا بها حُـلولًا خَلَفاً ماجدَا

(١) الطفلة: الرخصة الناعمة.

(٢) الخمس بالكسر: من أظماء الإبل وهو أن ترد الإبل الماء في اليوم الخامس.

(٣) أوجره ذنوباً من ماء: أي جعله في فيه. والذنوب: الدلو التي لها ذنب، ولا تكون ذنوباً إلا وهي ملأى، ولا تسمّى خالية ذنوباً.

(٤) بأخرة: أخيراً، يقال جاء أخرة وبأخرة (بفتح الهمزة والخاء وبضم الهمزة).

القائدِي الخيلِ لأرض العِدَا ... والضاربين الكوكبَ الوافِدَا [1]

وقال البَكْرِيّ :

وَصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ ... أهاضيبَ[2] موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعضِلَا
وَيشكُرُ قد مالتْ قديماً وأرتعت ... ومَنّتْ بقُرباهـا اليهم لِتُوَصَّلَا

وقالوا جميعاً : مات جسّاسٌ حتفَ أنفه ولم يُقتَل .

عدد القتلى :

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم مِن قتلى تعدّ ولا تذكر إلا ثمانيةَ نفرٍ من تغلِب وأربعة من بكر عددهم مُهلهلٌ في شِعرِه، يعني قصيدتَه :

أليلَتَنا بذي حُسُمٍ[3] أنيرِي ... إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحورِي
فإن يكُ بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكِي من الليلِ القصيرِ
فلو نُبِش المقابِرُ عن كُلَيب ... فيَعلَمَ بالذنائب أيَّ زِيرِ
بيوم الشَّعثَمَينِ[4] أقرَّ عيناً ... وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ
وإنّي قد تركتُ بواردات[5] ... بُجيراً في دمٍ مثلِ العَبيرِ[6]
هتكتُ به بيوتَ بني عُبادٍ ... وبعضُ الغَشمِ أشفى للصُّدورِ
على أنْ ليس يُوفِي من كُلَيب ... إذا برزتْ مخبّأةُ الخُدورِ

(١) الكوكب : سيد القوم وفارسهم، والرجل بسلاحه . والوافد : القادم .
(٢) الأهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر .
(٣) ذو حسم : موضع بالبادية . وتحوري : ترجعي .
(٤) يوم الشعثمين : هو يوم واردات، كما في العقد الفريد، بيد أن شعر الأخطل الآتي يدل على أنه يوم الذنائب .
(٥) واردات : موضع عن يسار طريق مكة، وبه سمي «يوم واردات» .
(٦) العبير : الزعفران .

وهمَّامَ بن مُرَّةَ قد تركنا ... عليه القَشْعمانِ[1] من النسورِ
يَنُوء بصدره والرمحُ فيه ... ويَخْلِجُه[2] خِدَبٌّ كالبعيرِ
فلولا الريحُ أُسمِعَ مَن بِحُجْرٍ ... صليلَ البِيضِ تُقرَعُ بالذكورِ
فِدًى لبني شَقِيقةَ يوم جاءوا ... كأُسدِ الغابِ لَجَّتْ في الزئيرِ
كأنَّ رماحَهم أشطانُ[3] بئرٍ ... بعيدٍ بينَ جالَيْها[4] جَرُورِ
غداةَ كأننا وبني أبينا ... بجَنْبِ عُنَيزةٍ رَحَيا[5] مُديرِ
تَظَلُّ الخيلُ عاكفةً عليهم ... كأنَّ الخيلَ تُرحَضُ[6] في غديرِ

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل. وقال أيضاً:

طَفْلَةٌ ما ابنةُ المحلِّلِ بَيضا ... ءُ لَعوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ
فاذْهبي ما اليكِ غيرَ بعيدٍ ... لا يُؤاتي العِناقَ مَن في الوَثاقِ
ضربتْ نحرَها اليَّ وقالتْ ... يا عَدِيًّا لقد وَقَتْكَ الأواقي[7]
ما أُرَجِّي في العيش بعد نداما ... يَ أراهم سُقُوا بكأسِ حَلاقِ[8]
بعد عمرٍو وعامرٍ وحُيَيٍّ ... ورَبيعِ الصَّدُوفِ[9] وابني عَناقِ
وامرئ القيس مَيِّت يومَ أَوْدى ... ثم خَلَّى عليَّ ذاتَ العَراقي[10]

---

(١) القشعم: النسر الذكر العظيم.

(٢) يخلجه: يجذبه. والخدب: الضخم.

(٣) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الشديد الفتل يستقى به.

(٤) جال البئر: ناحيتها. والجرور من الآبار: البعيدة القعر.

(٥) في شرح شواهد المغنى للبغدادي: «قال أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي المسمى (قرة النواظر في شرح النوادر): الرحيان اذا أدارهما مدير أثرت إحداهما في الأخرى وهما من معدن واحد، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتاحقون ويقتتلون».

(٦) ترحض: تغسل.

(٧) الأواقي: جمع واقية.

(٨) الحلاق: المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أي تقشر، وبنيت على الكسر لانه حصل فيها العدل والتأنيث والصفة الغالبة.

(٩) اسم فرس الربيع الذي أضيف اليها وقيل: اسم آمرأة.

(١٠) ذات العراقي: الداهية.

وكليبٍ سُمِّ الفوارس إذ حُمَّ رماه الكماةُ بالإيفاقِ[1]
إنَّ تحت الأحجار حَدّاً[2] وليناً وخَصيماً ألدَّ ذا مِعلاقِ[3]
حيَّةٌ في الوِجار[4] أربدُ لا تَنـفعُ منه السليمَ نَفثةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: والدليل على أنَّ القتلى كانوا قليلاً أنَّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروبَ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبني بنيهم، فإن كانوا خمسمائةٍ فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل. قال مِسمَع: إنَّ أخي مجنون، وكيف يحتجّ بشعر المُهلهل، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكنَف يوم قِضَةَ فلم يذكره في شعره، وقَتل اليشكريُّ ناشِرةَ فلم يذكره في الشعر، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ابنَ القَبيحة فلم يُذكَر، فهؤلاء أربعة. وقال البَكريّ:

تركنا حَبيباً يوم أرجفَ جمعُه صريعاً بأعلى وارداتٍ مُجدَّلا

وقال مُهلهل أيضاً:

لستُ أرجو لَذَّةَ العيش ما أزَمَتْ[5] أجلادُ قِدٍّ بساقي
جَلَّلوني جِلدَ حَوبٍ[6] فقد جعلوا نَفسيَ عند التَّراقي

وقال آخر[7] يَفخَر بيوم واردات:

---

(١) الايفاق: إيتار السهم ليرمى به، من أوفقت السهم اذا وضعته على فوقه.

(٢) الحدّ: الحدة.

(٣) المعلاق: اللسان البليغ كأنه يعلق بخصمه، ويروى: «مغلاق» بالغين المعجمة، كأنه يغلق الحجة على خصمه.

(٤) الحية يطلق على الذكر والأنثى. والوجار: جحر الضبع ويستعار لغيرها. والأربد: الذي يضرب لونه الى السواد.

(٥) أزمت: تقبضت وانضمت.

(٦) الحوب: الضخم من الجمال. والبعير اذا زجر قيل له حوب ولذلك سمي حوباً بزجره كما سمي البغل عدساً بزجره وسمي الغراب غاقاً بصوته.

(٧) هو جرير العجلي وقيل: هو الأخطل.

وُمهراقُ الدماء بواردات تَبيد المُخزياتُ وما تَبيدُ

فقلتُ لعامر: ما بالُ مِسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعة ؟ فقال عامر: وما أربعةٌ إن كنتُ أغفلتُهم فيا يقولون ! إنّهم قتلوا يوم كذا ثلاثــةَ آلاف، ويوم كذا أربعةَ آلاف، واللهِ ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً ! فهاتوا فعُدّوا أسماء القبائل وأبناءهم وأَنْزِلوا معهم الى أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا !

نسبة ما في هذه الاخبار من الأغاني

صوت

أَزْجرِ العيــنَ أن تُبــكّي الطّلولا إنّ في الصــدر من كُلَيبٍ غليلَا
إنّ في الصدرِ حــاجةً لن تَقَضّى ما دعــا في الغصون داعٍ هَديلَا
كيف أنســاك يا كلَيبُ ولمّا أقضِ حزناً يَنُوبُني وَغليــلَا
أيها القلبُ أنجِزِ اليومَ نَحْباً[١] من بني الحِصْنِ[٢] إذ غدَوْا وذُحولا[٣]
كيف يَبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ بطِعانِ الأنامِ جيــلًا فجيلَا
أنبَضُوا[٤] مَعجِسَ القِسِيِّ وأبرَقْــنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولَا
وصبَرْنا تحت البَوارِقِ حتّى رَكَدتْ فيهمُ السيوفُ طويلَا
لم يُطيقوا أن يَنزِلوا ونزلنا وأخو الحربِ مَن أطاق النُزولَا

الشعر لُمهلهل — قال أبو عُبيدة: اسمه عَدِيّ، وقــال يعقوب بن السِّكّيت: اسمه أمرؤ القيس — وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بَكر بن حَبيب

---

(١) النحب: النذر .

(٢) الحصن: هو ثعلبة بن عكابة .

(٣) الذحول: جمع ذحل وهو الثأر .

(٤) أنبض الرامي القوس وعن القوس: جذب وترها لتصوّت . ومعجس كمجلس: مقبض القوس .

ابن عمرو بن غَنْم بن تَغلِب؛ وإنما لُقِّب مُهلهِلا لطِيب شعره ورِقّته، وكان أحدَ من غُنِّيَ من العرب في شعره. وقيل: إنه أوّلُ من قَصَّد القصائدَ وقال الغزل؛ فقيل: قد هَلهَلَ الشعرَ، أي أرَقّه. وهو أوّل مَن كَذَب في شعره[1]. وهو خال امرئِ القيس بن حُجر الكِنديّ. وكان فيه خُنْثٌ ولِين، وكان كثيرَ المحادثة للنساء، فكان كُلَيب يسمّيه «زِيرَ النساء»؛ فذلك قوله:

ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ ... فيَعلَمَ بالذنائب أيُّ زيرِ

الغناء لابن مُحرِز في الاول والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى. وللغَريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى، والذي فيه سَجْحةٌ منها لابن مُحرز. ولمَعْبَد لحنان أحدهما في الاول والسادس ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر. ولإبراهيم في الاول والرابع ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الاول والثالث ماخُوريّ. ولعَلُّويه في الاول والثاني خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى. ولابن سُرَيج في السادس والسابع خفيفُ رمل بالسبّابة في مجرى البنصر. ولابن سُرَيج أيضاً في الاول والثامن خفيفُ ثقيل أول بالبنصر. وللغَريض في الاول والثاني خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر. وللهُذَلي في الاول والثاني والسابع خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. ولمالك في الاول والثاني والخامس خفيفُ ثقيلٍ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة.

ومنها:

صوت

ثَكِلتْني عندَ[2] الثَّنيّة أُمّي ... وأتاها نَعِيُّ عمّي وخالي

(١) حكم عليه بهذا لقوله: «فلولا الريح ...» البيت، لان قتالهم كان بالجزيرة وحجر قصبة اليمامة، وبين الموضعين مسافة عظيمة.

(٢) ويروى: «على».

إنْ لَمْ أَشْفِ النفوسَ من حَيِّ بكرٍ وعَدِيٌّ تطاهُ بُزْلُ الجِمالِ[1]

غنّاه ابن سُرَيج ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغنّاه الغريض ثقيلاً أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة .

ومنها :

صوت

قَرِّبا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنّي لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ
قَرِّباها في مُقْرَباتٍ[2] عِجالٍ عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعالي
لم أكن من جُناتها علم اللهُ وإنّي بحرّها اليومَ صالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد . والغناء للغريض ثقيلٌ أولُ بالبنصر . وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سُرَيج .

ومنها :

صوت

يا لَبَكْرٍ أَنْشِروا لي كُلَيباً يا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرارُ

---

(١) رواية هذا البيت في كتاب بكر وتغلب ابني وائل :

إن لم أشف النفوس من تغلب الغدْ ر بيوم تذل بزل الجمال

ولعله : « يُزِلّ بزل الجمال » وبهذا يكون البيت واضح العبارة والمعنى .

(٢) المقربات : جمع مقربة وهي الفرس التي يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . والسعالي : جمع سعلاة وهي الغول أو ساحرة الجن . ورواية هذا البيت في كتاب بكر وتغلب :

قربا مربط النعامة مني ساربات يقفزن قفز السعالي

وهي رواية غير جيدة .

يا لَبَكرٍ(١) فاطعَنوا أو فحُلُّوا صَرَّحَ الشرُّ وبانَ السِّرارُ

الشعر لمهلهل . والغناء لابن مُسرَيج، ولحنه من القدر الاوسط من الثقيل الاول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنَّاه الأبجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها :

صوت

أليلتنا بذي حُسُمٍ أَنيري اذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري
فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصيرِ
كأنَّ الجدي جَديَ(٢) بناتِ نعشٍ يُكِبُّ(٣) على اليدين بمستديرِ(٤)
وتَحبُو(٥) الشِّعريانِ(٦) الى سُهَيلٍ يَلوح كقمّةِ(٧) الجملِ الكبيرِ
فلولا الريحُ أُسمعَ أهلُ حُجْرٍ صَليلَ البِيضِ تُقرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمهلهل . والغناء لابن مُحرِز في الاول والثاني ثقيلٌ أول بالبنصر، وله في الأبيات كلها خفيفُ ثقيلٍ أول مطلقٌ في مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعاً .

---

(١) ويروى : « يا لبكر اطعنوا ... » بدون فاء .

(٢) قال ابن سيده : الجدي من النجوم جديان : أحدهما الذي يدور مع بنات نعش، والآخر الذي بلزق الدلو وهو من البروج ولا تعرفه العرب . وكلاهما على التشبيه بالجدي في مرآة العين .

(٣) يكب : ينكس . يقال : كب فلان فلانا اذا صرعه فأكب هو؛ وهذا من النادر، وهو أن يكون الفعل المجرد من الهمزة متعدياً وذو الهمزة لازماً .

(٤) ويروى : « كمستدير » .

(٥) تحبو : تدنو، يقال : حبا الشيء الى كذا اذا دنا اليه أو اتصل به . ويروى : « تحنو » .

(٦) الشعريان : كوكبان، أحدهما في الجوزاء وطلوعه بعدها في شدّة الحرّ، ويقال له الشعرى اليمانية وتلقب بالعبور، والآخر في الذراع ويقال له الشعرى الغميصاء، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل . وسهيل : كوكب يمان .

(٧) ويروى : « كهيئة » .

وفي الابيات كلّها على الولاء. للأبجر ثاني ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو. ويقال: إن فيها لحناً للغريض أيضاً.

ثأر ابن كليب له:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفضَّل عن أبي عُبَيدة:

أن آخرَ مَن قُتِل في حرب بكر وتغلِب جَسَّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيبان، وهو قاتلُ كُلَيب بن ربيعة، وكانت أخته تحت كليب، فقتله جَسَّاس وهي حامل، فرجعتْ الى أهلها ووقعت الحربُ، فكان من الفريقين ما كان؛ ثم صاروا الى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان؛ فولدت أختُ جَسَّاس غلاماً فسمّته الهَجْرِسَ وربّاه جساس، فكان لا يعرف أباً غيره، وزوّجه ابنته. فوقع بين الهجرِس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ؛ فقال له البكريّ: ما أنت بمنتهٍ حتى نُلحقك بأبيك؛ فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيباً، فسألته عما به فأخبرها الخبر؛ فلما أوى الى فِراشه ونام الى جنب امرأته وضع أنفَه بين ثدييها، فتنفَّس تَنَفُّسةً تَنفَّط[1] ما بين ثدييها من حرارتها؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أقلّتها رِعدةٌ حتى دخلتْ على أبيها، فقصّت عليه قصّةَ الهجرِس؛ فقال جسَّاس: ثائرٌ وربِّ الكَعبة! وبات جسَّاس على مثل الرَّضف[2] حتى أصبح؛ فأرسل الى الهجرِس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي ومنّي بالمكان الذي قد علمتَ، وقد زوّجتك ابنتي وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كِدْنا نتفانى، وقد اصطلحنا وتحاجزْنا، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخل فيه الناسُ من الصلح، وأن تنطلق حتى

---

(١) تنفط: احترق.

(٢) الرضف: الحجارة المحماة يوغر (يسخن) بها اللبن، ويقال: هو على الرضف اذا كان قلقاً مشخوصاً به أو مغتاظاً.

نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا؛ فقال الهجرس : أنا فاعل، ولكنّ مثلي لا يأتي قومه إلا بلأمته[1] وفرسه؛ فحمله جسّاس على فرس وأعطاه لأمة ودرعاً؛ فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية، ثم قال : وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم؛ فلما قرّبوا[2] الدمَ وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه، ثم قال : وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتلَ أبيه وهو ينظر اليه؛ ثم طعن جسّاساً فقتله، ثم لحق بقومه؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل.

ابعاد زوجة كليب عن مأتمه :

قال أبو الفرج : أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس ابن هشام عن أبيه عن الشرقيّ بن القُطاميّ قال :

لمّا قتل جسّاس بن مُرّة كليبَ بنَ ربيعة، وكانت جليلةُ بنت مُرّة أختُ جساس تحت كليب، اجتمع نساء الحيّ للمأتم، فقلن لأخت كليب : رحّلي جليلةَ عن مأتمك، فإنّ قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب؛ فقالت لها : يا هذه أخرجي عن مأتمنا، فأنتِ أختُ واترنا وشقيقةُ قاتلنا؛ فخرجت وهي تجرّ أعطافها؛ فلقيها أبوها مُرّة، فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت : ثُكلُ العَدَد، وحزنُ الأبد؛ وفقدُ حليل، وقتلُ أخٍ عن قليل؛ وبين ذين غرسُ الأحقاد، وتفتّتُ الأكباد؛ فقال لها : أوَيكفُّ ذلك كرمُ الصفح وإغلاء الديات ؟ فقالت جليلة :

---

(١) لأمته : سلاحه . وتطلق اللأمة على كل عدّة للحرب من درع ورمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل .

(٢) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً او رماداً فيدخلوا فيه أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد .

أمنيّةُ مخدوعٍ ، وربِّ الكعبة ! أبالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغلبُ دمَ ربّها ! قال : ولمّا رَحلت جليلةُ قالت أُختُ كليب : رِحلةُ المعتدي وفراقُ الشامت ، ويلٌ غداً لآلِ مُرّة ، من الكرّة بعد الكرّة ! . فبلغ قولُها جليلةَ ، فقالت : وكيف تَشمتُ الحُرّةُ بهتك سِترِها وترَقُّبِ وِترِها ! أسعد الله جدّ أُختي ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ! . ثم أنشأت[١] تقول :

يابنةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا	تَعجَلي باللَّوم حتى تسألي
فإذا أنتِ تبيَّنتِ الذي	يُوجِبُ اللَّومَ فلُومي واعذِلي
إن تكن أختُ امرئٍ ليمتْ على	شَفَقٍ منها عليه فافعلي
جَلٌّ عندي فعلُ جسّاسٍ فيا	حسرتي عما انجلتْ أو تنجلي
فعلُ جسّاسٍ على وَجدي به	قاطعٌ ظهري ومُدْنٍ أجلي
لَوْ بعينٍ فُقِئتْ عيني سوى	أختِها فانفقأتْ لم أحفِلِ
تَحملُ العينُ قذى العينِ كما	تَحملُ الأمُّ أذى ما تَفتَلي[٢]
يا قتيلاً قوّضَ الدهرُ به	سَقفَ بيتيَّ جميعاً من عَلِ
هدمَ البيتَ الذي استحدثتُه	وانثنى في هدمِ بيتي الأوّلِ
ورماني قتلُه من كثَبٍ[٣]	رميةَ المُصمي به المستأصِلِ
يا نسائي دونكنَّ اليومَ قد	خصَّني الدهرُ برُزْءٍ مُعضِلِ
خصَّني قتلُ كُليبٍ بلظًى	مِن ورائي ولظًى مُستقبِلي[٤]

(١) قال أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني في الجزء الثالث من أشعار النساء بعد أن ذكر هذه الابيات ونسبها لجليلة كما ذكر المؤلف هنا : «ووجدت بخط حرميّ بن أبي العلاء قال محمد بن خلف بن المرزبان : هذه الابيات لفاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن مرّة أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين ترثي أخاها كليباً وقتله زوجها جساس» اه .

(٢) تفتلي : تربّي . ويروى : «تعتلي» وهو تحريف .

(٣) من كثب : من قرب . وأصماه : قتله في مكانه .

(٤) ويروى : «من أسفلي» .

ليس من يَبكي ليومين[١] كمن إنما يبكي ليوم ٍ ينجلي[٢]
يشتفي المدرِكُ بالثأر وفي دَرَكي ثاري ثُكْلُ المُثكلِ[٣]
ليتــه كان دَمي فاحتلبوا بَدَلاً منــه دماً من أكْحَلي[٤]
إنني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعـلَّ اللهَ أن يرتاحَ لي

---

(١) ويروى : « ليوميه » .

(٢) كذا في نهاية الأرب . وما عداها تصحيف .

(٣) المثكل : التي لازمها الحزن . ويروى : « ثكل مثكلي » . ورواية أشعار النساء :

درك الثائر شافيه وفي درك الثائر قتل مثكلي

(٤) كذا في الجزء الثالث من أشعار النساء للمرزباني . والأكحل : عــرق في الذراع يفصد، وقيل : هو عرق الحياة ويدعى نهر البدن، ولا يقال فيه عرق الأكحل . وفي الأصول :

ليته كان دما فاحتلبــوا درراً منه دمي من أكحلي

ولو كانت الرواية فيه

ليتـــه كان دماً فاحتلبوا بدلا منه دمي من أكحلي

لكان أجود .

ذكر الهذلي وأخباره

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

الهُذَليان أخوان يقال لهما سعيد وعبدآل ابنا مسعود؛ فالأكبر منهما يقال له سعيد، ويُكنى أبا مسعود، وأمّه امرأة يقال لها أمّ فَيْعل، وكان كثيراً ما يُنسب اليها، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيس، وكان فتيانٌ من قريش يَروحون اليه كلّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها، ويأتيهم فيغني لهم ويكون معهم. وقد قيل: إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد.

صناعته وغناؤه:

قال هارون وحدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ:

انّ الهذليّ كان نقّاشاً يعمل البُرَمَ من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْصِ الخَبيص[1] صفرةً وحمرةً من أرْدية قريش؛ فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعِد؛ فيقول: أمَا والله وها هنا حجر أحتاج اليه لم يَرِدِ الأبطحَ فلا؛ فيضعون أيديَهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويَحدُروها الى الأبطح، وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويغنّي لهم.

---

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يعمل من التمر والسمن.

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جَناح قال أخبرني أبو لَطِيف وعُمارة قالا :

تغنّى الهذليُّ الأكبرُ، وكان من أنفسِهم، وكان فِتيانُ قريش يَروحون كلَّ عشيَّةٍ حتى يأتوا بَطحاء يُقال لها بطحاء قريش قريباً من داره، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم .

قال : وأخبرني ابن أبي طَرَفة عن الحسن بن عَبّاد الكاتب مولى آل الزُّبير قال :

هجم الحارث بن خالد، وهو يومئذ أمير مكة، على الهذليّ وهو مع فتيان قريش بالمَفجَر[1] يُغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف، فطرح عليه مُقطَّعاتِ خَزّ، فكانت هذه أوّل ما تحرّك لها .

زواجه من ابنة مغنٍّ :

قال هارون : وحدّثني حماد عن أبيه قال :

ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أن ابن سُرَيج لما حضرته الوفاةُ نظر إلى ابنته فبكى، فقالت له : ما يُبكيك ؟ قال : أخشى عليكِ الضيعةَ بعدي ! فقالت له : لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذتُه ؛ قال : فغنّيني فغنّته، فقال : قد طابت نفسي، ثم دعا بالهذلي فزوّجها منه ؛ فأخذ الهذليّ غناء أبيها كلّه عنها فانتحل أكثره ؛ فعامّة غناء الهذليّ لابن سُرَيج مما أخذه عن ابنته وهي زوجتُه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال حدّثني محمد بن يحيي أبو غسّان قال :

---

(١) المفجر بالفتح ثم السكون وفتح الجيم : موضع بمكة ما بين الثنية التي يقال لها الخضراء الى خلف دار يزيد بن منصور .

كان الهذليّ منزله بمنًى ، وكان فتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك ، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك ، فحدره الحارثُ من منًى ، وكان عاملاً على مكة ، ثم أذن له فرجع إلى منًى .

قال هارون : وحدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني أبي قال :

كان الهذليّ النقّاشُ يغدو اليه فتيان قريش وقد عَمِل عمله بالليل ، ومعهم الطعام والشراب والدراهم ، فيقولون له : غنِّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ[1] ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأخرى ، أنزلوا أحجاري ، فيلقون ثيابهم ويأتزرون بأُزُرهم وينقلون الحجارة ويُنزِلونها ، ثم يجلس على شُنْخُوبٍ[2] من شناخيب الجبل فيجلسون تحته في السّهل فيشربون وهو يُغنّيهم حتى المساء ، وكانوا كذلك مدّة ؛ فقال له يوماً ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءك كلّ واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقص وظيفتُك عليهم ، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك ليجعله حظّه اليومَ ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانا كان ذلك مشتركاً بيننا ، وإن أبَوْا غنّيتَ لهم ما أرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأصواتِ لنا بقيّةَ يومنا ؛ قال : هاتوا ، فاختار أحدُهم :

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمصايفُ من هندِ

واختار الآخرُ :

أَلَمَّ بنا طيفُ الخيـال المهجِّدُ[3]

واختار الآخر :

هجرتُ سُعـدَى فزادني كَلَفَا

(١) الوظيفة : ما يقدّر من عمل وطعام ورزق وغير ذلك .

(٢) الشنخوب : رأس الجبل وأعلاه .

(٣) هجدت الرجل (بالتضعيف) : أيقظته .

فغنّاهم إياها، فما سمع السامعون شيئاً كان أحسن من ذلك؛ فلما أرادوا الانصراف قال لهم: إني قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد، فهل لكم فيه؟ قالوا: هاتِه مُنعِماً بذلك؛ فاندفع فغنّاهم:

أأن هتفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً تُبكّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهتِفُ

فقالوا: أحسنت والله، لا جرمَ لا يكون صَبوحُنا في غدٍ إلا عليه، فعادوا وغنّاهم إياه وأعطَوْه وظيفتَه؛ ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقيَ يومهم.

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك:

صوت

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمَصايفُ من هندِ فأوْحشَ ما بين الجرِيبَينِ[1] فالنَّهْدِ[2]
وغيّرها طولُ التقادمِ والبِلى فليستْ كما كانت تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأحوص، وقيل: إنه لعمر. والغناء للهذليّ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر.

ومنها:

صوت

من المائة المختارة

ألَمّ بنا طَيفُ الخيالِ المهجّدُ وقد كادت الجوزاءُ في الجوّ تَصعَد

---

(١) الجريب: يطلق على مواضع كثيرة.

(٢) النهد (ويقال له عين النهد): اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة الى المدينة.

أَلمَّ يُحيِّينا ومِن دون أهلها فَيافٍ تَعورُ الريحُ فيها وتُنجِدُ

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهذليّ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المكيّ هَزَجٌ . ولحنُ الهذليّ هذا مما اختير للرشيد والواثقِ بعده من المائة الصوت المذكورة .

ومنها :

صوت

هجرتُ سُعدَى فزادني كَلَفَا هِجرانُ سُعدَى وأزمعتْ خُلُفَا
وقدْ على حُبّها حلفتُ لها لو أنّ سُعدَى تُصدِّق الحَلِفَا
ما عَلِقَ القلبُ غيرَها بَشَراً ولا سواها مِن مَعْلقٍ عَرَفَا
فلم تُجبني وأعرضتْ صَلَفَا وغادرتْني بحبّها كَلِفَا

الغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

ابن مزامير داود :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال :

زوّج ابنُ سريج لما حضرته الوفاةُ الهذليَّ الأكبر بابنته ، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها ، وادّعاه فغلب عليه . قال : وولدتْ منه ابناً ؛ فلما أيفع جاز يوماً بأشعبَ وهو جالس في فِتيةٍ من قريش ، فوثَبَ فحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول : هذا ابن دَفَّتي المصحف وهذا ابنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ! ما تقول ومن هذا الصبيّ ؟ فقال : أوَما تعرفونه ! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُرَيج ، وُلِد على عُود ، واستهلّ[1] بغناء ، وحُنِّكَ[2] بملوى[3] ، وقُطعت سرّته بوتر ، وخُتن بمضراب .

(١) استهل الصبيّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة .

(٢) التحنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبيّ ، وفي حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم : أنه كان يحنك أولاد الأنصار .

(٣) الملوى : من أجزاء العود .

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال :

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة ، فرأيت عليه مِطْرَفَ خَزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه ؛ فتحدّثنا الى أن أخذنا في أمر المِطرف ، فقال : لقد كان لكم أيام حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثله ؛ فقال : إنّ قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أقوّمه إلا بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شرِبنا يوماً من الأيام فبِتُّ وأنا مُثْخَن[1] ، فأنتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل عليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عجّل ؛ وكان بخيلاً على الطعام ، فكنتُ آكل قبل أن أذهب اليه ؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأني ، وأعجلني الرسول عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبّة خزّ دكناء[2] ؛ فقال لي محمد : يا إسحاق ، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيّدي ؛ قال : إنك لنَهِم ، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار فكان ذلك مما حداني على الأكل ؛ فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال ، فقال : اسقُوه إياها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفرّق عليّ ! ؛ فقال : يُسقى رِطلين ورِطلاً ؛ فدُفع إليّ رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما ، ثم دُفع إليّ رِطل آخر فشربته ، فكأن شيئاً انجلى عنّي ؛ فقال غنّني :

كُلَيبٌ لعَمْري كان أكثر ناصراً

فغنّيته ، فقال : أحسنتَ وطرِب ؛ ثم قام فدخل – وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويَدَعُنا – فقمت في إثْر قيامه ، فدعوت غلاماً لي ، فقلت اذهب إلى بيتي وجئني بِبزْماوَرْدتَين[3] ولُفّهما في منديل وأذهب رَكْضاً وعجِّل ، فمضى الغلام وجاءني

(١) يقال : أثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته ، والمراد هنا غلبة السكر عليه .

(٢) الدكناء : المائلة الى السواد .

(٣) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضي ، وفخذ الست ، ولقمة الخليفة ، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

بها، فلما وافى الباب ونزل عن دابّته انقطع فنفق[١] من شدّة ما ركض عليه، وأدخل إليّ البزماوردتين، فأكلتهما ورجعت نفسي إليّ وعدتُ إلى مجلسي؛ فقال لي إبراهيم: لي اليك حاجة أحبّ أن تقضيها لي؛ فقلت: إنما أنا عبدك وابن عبدك، فقل ما شئت؛ قال: تُردّد عليّ: «كليب لعمري» وهذا المطرف لك؛ فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكنني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري وأردّده عليك مِراراً؛ فقال: أحبّ أن تردّده عليّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنه من لُبسك وهو من حاله كذا وكذا؛ فردّدت عليه الصوت مراراً حتى أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا؛ فغنّاه إبراهيم: «كليب لعمري»، فكأني والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسناً، وطرب محمد طرباً شديداً وقال: أحسنت والله! يا غلام، عَشرَ بِدَر لعَمّي الساعةَ! فجاؤوا بها؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي فيها شريكاً؛ قال: من هو؟ قال: إسحاق؛ قال: وكيف؟ فقال: إنما أخذتُه منه لمّا قمتَ؛ فقلت أنا: ولِمَ! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى تُريد أن تُشرِك فيما يُعطي! قال: أمّا أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم؛ فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً: وأعطاني هذا المطرف، فهذا أخذ به مائةُ ألف درهم، وهي قيمتُه.

صوت

من المائة المختارة

من رواية جحظة عن أصحابه:

عَلّلِ القومَ يشربُوا كي يَلَذّوا ويَطرَبُوا

---

(١) نفق: مات. وذكر الضمير لان الدابة تطلق على الحيوان مذكراً كان أو مؤنثاً، والدابة هنا مذكر.

إنما ضلّل الفؤا دَ غزالٌ مُرَبَّبُ[1]
فرشته على النّما رِق سُعدى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو نَ سُرى الليل مُصعَبُ[2]
وسياطٌ على أكفِّ رجالٍ تقلّبُ

الشعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمح ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج في الرابع والخامس والأوّل ثاني ثقيل في مجرى الوسطى . ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

(١) يقال : رب الصبي وربّبه أي رباه . ويروى : « مربرب » .

(٢) هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات ونسبه وأخباره

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن ربيعة بن أُهيب بن ضِباب ابن حُجير بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب . وأمّه قتيلة بنتُ وَهب ابن عبد الله بن ربيعة بن طَريف بن عَديّ بن سعد بن لَيث بن بَكر بن عبد مَناة بن كِنانة .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن محمد بن أبي قُلامةَ العُمَريّ قال حدّثني محمد بن طَلحة ، قال الزبير وحدّثنيه أيضاً محمد بن الحسن المخزوميّ ، قالا جميعاً :

كان يقال لبني مَعيص بن عامر بن لؤيّ وبني مُحارب بن فِهر : الأجربان من أهل تِهامة ، وكانا متحالفين ، وإنما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسهما وعَرّهما[1] من ناوأهما كما يُعرّ الجرب .

سبب لقبه بالرقيات :

وإنما لُقِب عبيدُ الله بن قيس الرُّقيَّات لأنه شَبَّب بثلاث نسوة سُمّين جميعاً رُقيَّة ، منهنّ رقيَّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان[2] بن ضِباب بن حُجير بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤيّ ، وابنة عمّ لها يقال لها رُقيَّة ، وامرأة من بني أميّة يقال لها رقيَّة . وكان هواه في رقيَّة بنت عبد الواحد

---

(١) يقال : عره بمكروه يعره عراً : أصابه به . والمراد هنا إلحاقها الشر بأعدائها كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه .

(٢) في خزانة الأدب : « وهبان » بالواو

وكان عبد الواحد – فيما أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير – ينزل الرَّقة. وإياه عَنَى ابنُ قيس بقوله:

ما خيرُ عيشٍ بالجزيرة بعد ما عثر الزمانُ ومات عبدُ الواحدِ

وله في الرقيّات عدّة أشعار يُغنّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر. والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهريّ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمدينة.

مصعب بن عبد الرحمن والي المدينة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي قال:

لما وَلي مروانُ بن الحكم المدينةَ وَلّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطته؛ فقال: إني لا أضبِط المدينةَ بحرَس المدينة، فأبْغِني رجالًا من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل أيْلَة[1] فضبطها ضبطًا شديدًا. فدخل المِسوَرُ[2] بنُ مَخرمةَ على مروانَ فقال: أما ترى ما يشكوه الناسُ من مصعب! فقال:

ليس بهذا من سِياقٍ عَتْبُ يمشي القَطوفُ وينامُ الركْبُ[3]

وقال غيرُ مصعب في هذا الخبر وليس من رواية الحرميّ: إنه بقي إلى أن وَلي عمروُ[4] بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير؛ فقال له عمرو: إهدِمْ دورَ بني هاشم وآلِ الزبير؛ فقال: لا أفعل؛ فقال: انتفَخَ

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي في آخر الحجاز واول الشام.

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري قتل في حصار مكة مع ابن الزبير.

(٣) السياق: السوق. والقطوف من الدواب: البطيء، والمراد وصف الرجل بحسن السياسة وأنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف في السوق أي إنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم.

(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، ولاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة ٦٠ هـ.

سَحرُكَ[١] يابْنَ أمّ حُرَيْثٍ! ألقِ سيفَنا! فألقاه ولحق بابن الزبير. وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطتَه عمروَ بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ، وهدَم دار ابن مُطيع[٢] التي يقال لها العَنقاء، وضرَب محمدَ بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط؛ ثم دعا بعُروة بن الزبير ليضربَه؛ فقال له محمد: أتضرِب عُروة! فقال: نعم يا سَبلان[٣] إلا أن تحتمِل ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمِله، فضربه مائةَ سوط أخرى؛ ولحق عُروةُ بأخيه. وضرب عمرُو الناسَ ضرباً شديداً، فهرَبوا منه الى ابن الزبير، وكان المِسور بن مَخرَمة أحد من هرَب منه؛ ولما أفضى الامرُ الى ابن الزبير أقاد منه وضرَبه بالسوط ضرباً مُبرّحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس: فيما ذُكر عنه، إن عمراً مات مرتدّاً عن الإسلام.

شاعر قريش:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبيرُ قال:

سألتُ عمّي مُصعباً ومحمّدَ بن الضحّاك ومحمّدَ بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلّهم قالوا: ابنُ قيس الرقيّات؛ وحُكِي ذلك عن عديّ وعن الضحاك ابن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعيّ. قال الزبير: وحدّثني بمثله ثمامةُ بن عمرو السّهميّ عن مِسوَر بن عبد الملك اليَربوعيّ.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا

---

(١) انتفخ سحرك: كلمة تقال للجبان. والسحر: الرئة.

(٢) هو عبد الله بن مطيع أخو بني عديّ بن كعب، ولي الكوفة لعبد الله بن الزبير.

(٣) لعلها لقب له أو محرفة عن سبلاني (بزيادة ياء مشدّدة). والسبلانيّ: الطويل السبلة (بالتحريك) وهي شعرات تكون في المنحر، وهي أيضاً مقدم اللحية، وما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشاربين، أو لعلها كلمة تهكمية.

حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزّهريّ عن عمّه محمد ابن عبد العزيز :

أنّ ابن قيس الرقيّات أتى الى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له : يا عمّي، إني قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيّداً قلتُ، وإن كان رديئاً كففتُ؛ فقال له : أنشِد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

منَع اللهوَ والهوى وسُرى الليلِ مُصعَبُ
وسِياطٌ على أكفِّ رجالٍ تقلَّبُ

فقال : قل يابنَ أخي فإنك شاعر .

من انصار ابن الزبير :

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيريَّ الهوى، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك؛ فلما قُتِل مصعب وقُتل عبدُ الله هرَب فلجأ الى عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، فسأل عبدَ الملك في أمره فأمّنه .

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبيريّ قال حدّثني عبد الله بن البَصير البربريّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

قال عبيدُ الله بن قيس الرقيّات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخُوصُ عبد الملك بن مروان اليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمَسكِنٍ[1]، ورأى معالمَ الغَدْر ممن معه، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقَ، فملأ المناطقَ من ذلك المال وألبسني منها، وقال لي : انطلِق حيثُ شئت فإني مقتول؛ فقلت له : لا والله لا أريمُ[2] حتى أرى

(١) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب، وقبره هناك معروف .

(٢) لا أريم : لا أبرح .

سبيلك؛ فأقمتُ معه حتى قُتل؛ ثم مضيتُ الى الكوفة، فأوّلُ بيتٍ صِرتُ اليه دخلته، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتان كأنهما ظبيتانِ، فرقيتُ في درجةٍ لها الى مَشربة[1] فقعدتُ فيها، فأمرتْ لي المرأةُ بما أحتاجُ اليه من الطعام والشراب والفَرْش والماء للوُضوء، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تقيم لي ما يُصلِحني وتغدو عليّ في كل صباح فتسألني بالصَّباح والحاجة[2]، ولا تسألني مَن أنا ولا أسألُها من هي، وأنا في ذلك أسمعُ الصِياحَ فيّ والجُعْلَ؛ فلما طال بي المُقام وفقدتُ الصياح فيّ وغَرِضتُ[3] بمكاني غدتْ عليّ تسألني بالصباح والحاجةِ، فعرّفتها أني قد غَرِضتُ وأحببتُ الشُخوصَ الى أهلي؛ فقالت لي: نأتيك بما تحتاج اليه إن شاء الله تعالى؛ فلمّا أمسيتُ وضَرَب الليل بأرواقه رَقيتْ إليّ وقالت: اذا شئتَ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما ما أحتاج اليه ومعهما عبد، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق، وقالت: العبدُ والراحلتان لك؛ فركِبتُ وركب العبدُ معي حتى طَرقتُ أهلَ مكة، فدقَقتُ منزلي؛ فقالوا لي: من هذا؟ فقلت: عُبيد الله بن قيس الرقيّات؛ فولْوَلوا وبَكوا، وقالوا: ما فارقَنا طلبُك إلا في هذا الوقت؛ فأقمتُ عندهم حتى أسحَرتُ[4]، ثم نهضتُ ومعي العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ، فجئتُ عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يُعشّي أصحابَه، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجمُ وأقول: يار يارْ[5] بن طيّار[6]؛ فلما خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهي، فقال: ابنُ قيس؟ فقلت: ابنُ قيس، جئتك عائذاً بك؛ قال: وَيحك! ما أجدَّهم في طلبك وأحرَصهم على الظَّفَر بك! ولكني سأكتب الى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهي

(١) المشربة: الغرفة والعلية.

(٢) يريد: كيف أصبحت وما حاجتك؟

(٣) غرض: ضجر.

(٤) أسحر: دخل في السحر.

(٥) يار: كلمة فارسية، ومعناها: الصاحب والشفيق والمعين.

(٦) الطيار: لقب جعفر بن أبي طالب والد عبد الله هذا، وكان قد قطعت يداه في غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك، وعبدُ الملك أرقُّ شيء عليها . فكتب اليها يَسألُها أن تشفع له الى عمها، وكتب الى أبيها يسأله أن يكتب اليها كتاباً يسألها الشفاعة؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لي حاجةٌ ؛ فقال : قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لكِ إلا ابنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : لا تَستثنِ عليّ شيئاً ! فنفَح(١) بيده فأصاب خدّها، فوضعتْ يدَها على خدّها؛ فقال لها : يابُنيّتي ارفعي يدَكِ، فقد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : إنّ حاجتي ابنُ قيس الرقيات تُؤمّنه، فقد كتب إليّ أبي يسألني أن أسألك ذلك؛ قال : فهو آمِن، فمُريه يحضُر مجلسي العشيّة؛ فحضر ابنُ قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك، فأخّر الإذنَ، ثم أذِن للناس، وأخّر إذنَ ابن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذِن له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أهلَ الشام، أتعرفون هذا؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذي يقول :

كيف نومي على الفِراشِ ولمّا ... تَشمَلِ الشامَ غارةٌ شَعواءُ
تُذهِلُ الشيخَ عن بَنيه وتُبدِي ... عن خِدامِ(٢) العقيلةُ العذراءُ

فقالوا : يا أميرَ المؤمنين اسقِنا دمَ هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بِساطي ! قد أخّرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أن يُنشده مديحه فأذِن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مدحه عبد الملك :

عاد له من كثيرةَ الطربُ ... فعينُه بالدموع تنسكِبُ

(١) نفح بيده : ضرب بها ضربة خفيفة .

(٢) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهي الخلخال . وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين في مادّة خدم ثم قال : « أراد وتبدي عن خدام العقيلة . وخدام هاهنا في نية عن خدامها، وعدّى تبدي بعن لان فيه معنى تكشف كقوله : تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي أي تكشف عن أسيل أو تسفر عن أسيل » .

كُوفيَّةٌ نازحٌ مَحلَّتُهـا لا أَممٌ دارُها ولا صَقَبُ
واللهِ ما إن صَبَتْ إليّ ولا إن كان بيني وبينها سببُ(١)
إلا الذي أورثتْ كثيرةُ في القلـب وللحبّ سَورَةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأغرَّ الذي أبوه أبو الـعاصِي عليه الوقارُ والحُجُبُ
يعتدِل التـاجُ فوق مَفرِقهِ على جَبينٍ كأنه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مُصعَب :

إنمـا مُصعَبٌ شِهابٌ من الله تجلَّت عن وجهـه الظلماء
ملكُه ملكُ عِزَّةٍ ليس فيه جبروتٌ منـه ولا كِبرياء

أمّا الأمان فقـد سبقَ لك، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء أبدًا! . قال : وقال ابن قيس الرقيات لعبـد الله بن جعفر : ما نفعني أماني، تُركت حيًّا كميتٍ لا آخذُ مع الناس عطـاء أبدأ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ ؟ قال : ستين سنة؛ قال : فعَمِّر نفسك؛ قال : عشرين سنة من ذي قِبَلٍ(٢)؛ فذلك ثمانون سنة؛ قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال : ذلك لك عليّ الى أن تموت على تعميرك نفسك؛ فعند ذلك قال عبيد الله ابن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر :

تَقدّتْ بِيَ الشَّهباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُهـا ونهارُها
تزور امرأً قـد يعلمُ اللهُ أنـه تجودُ له كفٌّ قليـلٌ غِرارُها

---

(١) في ديوانه :

والله ما إن صبت إليّ ولا يعلم بيني وبينهـا سبب

(٢) يقال : أفعل ذلك من ذي قبل (وزان سبب وعنب) : أي أفعله في المستقبل .

أتيناكَ نُثني بالذي أنت أهلُه | عليك كما يُثني على الروض جارُها
فواللهِ لولا أن تزورَ ابنَ جعفرٍ | لكان قليلًا في دِمَشقَ قرارُها
إذا مُتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ | طريقٌ من المعروفِ أنت منارُها
ذكرتُكَ أن فاضَ الفراتُ بأرضنا | وفاض بأعلى الرَّقَّتَين(١) بحارُها
وعنديَ مما خوَّلَ اللهُ هجمةٌ(٢) | عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاءَ مُباركٍ | تُمانِحُ(٣) كُبْراها وتَنمي صِغارُها

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الملك قال :

قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيَّات : وَيحكَ يابنَ قيس ! أمَا اتقيتَ الله حين تقول لابن جعفر :

تزورُ امرأً قد يعلم اللهُ أنه | تجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها

ألا قلتَ : قد يعلم الناس ولم تقل : قد يعلم الله ! فقال ابن قيس : قد والله علمه اللهُ وعلمتَه أنت وعلمتُه أنا وعلمه الناسُ .

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق :

قرأتُ على أبي أن عبيد الله بن قيس الرقيَّات منعه عبد الملك بن مروان عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتله ، فاجتار بعبد الله بن جعفر ، وقصده فألفاه نائمًا،

---

(١) الرقتان يراد بها الرقة والرافقة، كما يقال العراقان للبصرة والكوفة . والرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام . والرافقة : بلد متصل البناء بالرقة يقع على الفرات أيضاً بينه وبين الرقة ثلثمائة ذراع .

(٢) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت او ما بين السبعين الى المائة . والشول : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر او ثمانية فارتفع ضرعها وخف لبنها، والعشار : جمع عشراء — بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما في اللغة — وهي التي مضى لحملها عشرة أشهر .

(٣) مانحت الناقة : درّت في الشتاء بعد ما ذهبت ألبان الإبل .

وكان صديقاً لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على ابن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذن له عليه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رجلِ عبد الله بن جعفر فنبحتُ نُباح الجِرْوِ الصغير ، فانتبه ولم يَفتح عينيه ، وركلني برجله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنبحتُ نُباحَ الكلب الهرم ، فانتبه وفتح عينيه فرآني ؛ فقال : ما لكَ ؟ ويحك ! فقلت : ابنُ قيس الرقيات بالباب ؛ قال : ائذن له ، فأذنتُ له ، فدخل اليه فرحّب ابنُ جعفر به وقرّبه ؛ فعرّفه ابن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيةٍ[1] فيها دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنّم وأُحسِنُ صوتي بجهدي حتى عددتُ ثلثمائة دينار ، فسكتُّ ؛ فقال لي عبد الله : ما لك ويلك سكتَّ ! ما هذا وقتُ قطعِ الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أعُدُّ حتى نفِدَ ما كان في الظَّبية ، وفيها ثمانمائةِ دينار ، فدفعتُها اليه ؛ فلما قبضها قال لابن جعفر : أسأل أميرَ المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا دخلتَ اليه معي ودعا بالطعام ، فكُلْ أكلاً فاحشاً . فركب ابنُ جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ؛ فلما قُدّم الطعامُ جعل يُسيء الأكلَ ؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر : مَن هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استُبقي ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس ؛ قال : وكيف ذلك ! قال : لأنه يقول :

ما نقَموا من بني أميةَ إلا أنهم يَحلُمون إن غَضِبوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيا مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال ؛ قال : ولِمَ وقد وهبتَه لي ؟ فأُحبّ أن تهَب لي عطاءه أيضاً كما وهبتَ لي دمَه وعفوتَ لي عن ذنبه ؛ قال : قد فعلتُ ، قال : وتعطيه ما فاته من العطاء ؛ قال : قد فعلتُ ، وأمرتُ له بذلك .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي قال :

---

(١) الظبية : الجراب، وقيل : الجراب الصغير خاصة .

كان ابن قيس الرقيّات منقطعاً الى ابن جعفر، وكان يَصِله ويَقضي عنه دَينَه، ثم استأمن له عبدَ الملك فأمّنه، وحرّمه عطاءه؛ فأمر عبدُ الله أن يُقدِّر لنفسه ما يكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبد الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيس غائبٌ، فأمر عبد الله خازنَه بخبأ له صِلتَه، فلما قدِم دفعها اليه؛ وأعطاه جاريةً حسناء؛ فقال ابنُ قيس:

إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فداؤه ... رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائلِ
وإن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظاً ... ولم يكُ عنّي في المَغيب بغافلِ
تداركني عبدُ الإله وقد بدَتْ ... لذي الحقدِ والشّنآن منّي مَقاتلي
فأنقذني من غَمرة الموت بعد ما ... رأيتُ حِياضَ الموت جَمّ المَناهلِ
حَباني لمّا جئتُه بعطيّةٍ ... وجاريةٍ حسناء ذاتِ خَلاخِلِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الاغاني

منها:

صوت

عادَ له من كثيرةَ الطَّربُ ... فعينُه بالدموع تنسكبُ
كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إليّ ولا ... يُعرَفُ بيني وبينها سَبَبُ
إلا الذي أورثَتْ كثيرةُ في الـ ... ـقلب وللحبّ سَورةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح، غنّاه معبدٌ ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.
قوله: «لا أَمَمٌ دارُها» يعني أنها ليست بقريبة. ويقال: ما كلّفتني أَمَماً من الأمر فأفعله: أي قريباً من الإمكان؛ ويقال: إن فلاناً لأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا. قال الشاعر:

أَطرقته أسماء أم حلمًا بل لم تكن من رحالنا أَمَما [١]

أي قريبة . وقال الراجز :

كلّفها عمرو نِقال الضِّبْعان [٢] ما كُلّفتْ من أَمَمٍ ولا دانْ

وقال آخر :

إنــك إن سألت شيئاً أَمَما جاء به الكَري [٣] أو تَجشّما

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : والله ما صاقبتُ فلاناً ولا صاقبني ، ودارُ فـلانٍ مصاقِبةٌ لدار فلان ؛ وفي الحديث : « الجارُ أحقُّ بصَقَبه » أي بما لاصقه ، أي إنه أحقُّ بشفعته . والسَّورةُ : شِدّة الأمر ، ومنه يقال : ساور فلان فلاناً ، وتَساوَرَ الرجلان اذا تَغالبا وتَشادّا ؛ وقيل إن السَّوْرةَ : البقيّةُ أيضاً .

ومنها :

صوت

ما نَقَمُوا من بني أُميّة إلا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبوا
وأنّهمُ سادةُ الملوك فما تَصلح إلّا عليهمُ العَربُ

غنّت في هذين البيتين حَبابةُ ، وهما من القصيدة التي أوّلها :

عاد له من كثيرةَ الطَّرَبُ

---

(١) ويروى :

أطرقته أسمــاء أم حلما بل لم تكن من رحلنا أمما

(٢) لا يبعد أن يكون هذا البيت في ناقة أو فرس ، وتكليفها نقال الضبعان مسايرتها له ومناقلتها إياه . والضبعان (بالكسر) : ذكر الضبع .

(٣) الكريّ : الذي يكري الدواب .

أريحية امرأة :

قال الأصمعيّ : كثيرةُ هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوته . قال ابنُ قيس : فأقمتُ عندها سنةً تروحُ وتغدُو عليّ بما أحتاج اليه ، ولا تسألني عن حالي ولا نسبي ؛ فبينا أنا بعد سنةٍ مُشرفٌ من جناحٍ⁽¹⁾ إلى الطريق ، إذا أنا بمنادي عبدِ الملك يُنادي ببراءة الذّمة ممن أصبتُ عنده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أني راحلٌ ؛ فقالت : لا يَرُوعَنَّك ما سمعتَ ، فإن هذا نداءٌ شائعٌ منذ نزلتَ بنا ، فإن أردتَ المُقام ففي الرُّحب والسَّعة ، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتني ؛ فقلتُ لها : لا بدَّ لي من الانصراف ؛ فلما كان الليلُ ، قدّمتْ اليّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ اليه في سفري ؛ فقلتُ لها : مَن أنتِ — جُعلتُ فِداءكِ — لأكافئكِ ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئني؛ فانصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلا أني سمعتُها تُدعى باسمها «كثيرة» ، فذكرتُها في شعري .

وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمه مصعب أن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحبَ بني أميّة بنهر أبي فُطرُس ، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدَح به بني هاشم ؛ فقال لبعضهم : أين هذا مما كنتم تُمدَحون به ! فقال : هيهات أن يُمدحَ أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا :

ما نَقَمُوا من بني أميّةَ إلا أنهم يَحلُمون إن غَضِبوا

البيتين ؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ : ألا أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصّ كذا من أمّه ! ثم أوقع بهم .

---

(١) الجناح : الروشن (الروشن : الكوة) يقال : أشرع فلان جناحاً الى الطريق أي روشنا .

تحريف مغنية لشعره :

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزبير ابن بكّار قال حدّثني عمي عن جدّي عبد الله بن مُصعب[١] قال :

اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنّتْ :

ما نقَموا من بني أميّة إلّا أنهم يحلُمون إن غضبوا

فلما ابتدأتْ به تغيّر وجهُ الرشيد ، وعلمتْ أنها قد غَلِطتْ وأنها إن مرّت فيه قُتِلتْ ، فغنّت :

ما نَقَموا من بني أميّة إلّا أنهم يجهلون إن غَضِبوا
وأنهم مَعدِنُ النِّفاق فما تَفسُدُ إلا عليهم العربُ

فقال الرشيد ليحيي بن خالد : أسمعتَ يا أبا عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتاعُ وتُسنَّى[٢] لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ ليَسكُن قلبُها ؛ قال : ذلك جزاؤها ، قُومي فأنتِ منّي بحيث تُحبِّين . قال : فأُغمِيَ على الجارية . فقال يحيي بن خالد :

جُزيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنها من الله جناتٍ تفوز بِعَدْنها

ومنها :

صوت

تَقدّتْ بيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

(١) «حدّثني عمي مصعب» بحذف جدّه من السند . والزبير بن بكار عمه مصعب بن عبد الله ابن مصعب وجدّه عبد الله بن مصعب .

(٢) تسنى : تجزل حتى تكون سنية .

تَزُور أمراً قد يعلمُ اللهُ أنه ... تجودُ له كفٌ بطيءٌ غِرارُها
ووالله لولا أن تزورَ ابنَ جعفرٍ ... لكان قليلاً في دِمَشقَ قرارُها

عَروضُه من الطويل . غنَّاه مَعبدٌ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : « تقدّتْ » أي سارت سيراً ليس بعَجِلٍ ولا مُبطِئ ، فيقال : تقدّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقصِدة فلم يَعْجَل . وقوله : « بطيءٍ غِرارُها » يعني أن منعَها المعروف بطيءٌ . وأصل الغِرار : أن تمنعَ الناقةُ درّتها ، ثم يُستعار في كل ما أشبه ذلك ؛ ومنه قول الراجز :

إنّ لكلِّ نَهَلاتٍ شِرّةْ ... ثم غِراراً كغِرار الدِرّةْ

وقال جميلٌ في مثل ذلك :

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ ... فدموعُ عينكَ دِرّةٌ وغِرارُ

مما عيب في شعره :

قال الزبيرُ : وهذا البيت مما عِيبَ على ابن قيسٍ ، لأنه نقضَ صدرَه بعَجزه ، فقال في أوّله : إنه سار سيراً بغير عَجَل ، ثم قال :

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

وهذا غايةُ الدأب في السَيْر ، فناقض معناه في بيت واحد . ومما عِيبَ على ابن قيس الرقيّات قولُه — وفي هذين البيتين غناء — :

صوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما(١) ... قد ناهزا للفِطام أو فُطِما

(١) الغيل : موضع الأسد . ويروى : « في مغارهما » .

ما مرَّ يومٌ إلّا وعنـدهما لحمُ رجال أو يَولَغانِ[1] دَماَ

– غناه الغريضُ خفيفَ ثقيلِ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ – وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ ، وفيها يقول :

أعني ابنَ ليلى عبدَ العزيز ببا بِلْيُونَ[2] تَغدُو جِفانُـه رُذُماَ[3]

الواهبَ النُّجُبَ[4] والولائدَ كالـ غِزلانِ والخيلَ تَعلُكُ اللُّجُماَ

وكان قال في قصيدته هذه : « أو يالغان دما » بالألف ، وكذلك رُوِي عنه، ثم غيَّرته الرواة .

ليس بفصيح ولا ثقة :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال : سمعتُ ابن الأعرابيّ يقول : سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات :

ما مرّ يوم إلا وعنـدهما لحم رجـال أو يَولَغان دماً

فقال يونس : يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيـل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حِجازيّ فصيح ؛ فقال : ليس بفصيح ولا ثقةٍ ، شَغَل نفسه بالشرب بتَكريتَ[5] .

---

(١) ولغ السبع والكلب وكل ذي خطم يلغ وولغ يولغ : شرب ماء او دماً .

(٢) بابليون : حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص وبفتحه تم الصلح مع المقوقس .

(٣) الرذوم من الجفان : التي كأنها تسيل دسماً لامتلائها .

(٤) النجب : جمع نجيب وهو الكريم الحسيب من الانسان والحيوان . والولائد : جمع وليدة وهي الصبية والأمة . وتعلك اللجم : تلوكها وتحركها في فيها .

(٥) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي الى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : أوَ بلغك أن ابن أبي عتيق أُنشد قولَ ابن قيس :

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فقال : كانت هذه يا بنَ أمّ فما أرى عَمياء .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب عن جدّي عن هشام بن سليمان المخزوميّ قال :

قال ابن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرّ به فسلّم عليه فقال : وعليك السلام يا فارسَ العمياء ؛ فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد ! بأبي أنت ! قال : أنت سميتَ نفسك حيث تقول :

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلا على عَمياء ؛ قال : إنما عنيتُ التعبَ ، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجمان يترجم عنه .

ومنها :

صوت

ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا وفاضت بأعلى الرَّقّتين بِحارُها
وحَوْليَ مما خوّل اللهُ هَجمةٌ عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
فجئناك نُثني بالذي أنتَ أهلُه عليك كما أثنى على الروض جارُها
إذا متَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقمْ طريقٌ من المعروف أنت منارُها

— الشولُ : النُّوق التي شالت بأذنابها وكرهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل — غنّاه حَكَم الوادي ثقيلاً أوّل بالوسطى .

حكم الوادي ودنانير :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا إسحاق ابن إبراهيم قال قال لي أبي :

قال حكم الوادي : دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي : يا أبا يحيى ، ما رأيُك في خمسمائة دينار قد حضرتْ ؟ قلت : ومَنْ لي بهـا ؟ قال : تلقي لحنك في :

ذكرتكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا

على دنانيرَ فها هي ذِه ، وهذا سلامٌ واقف معك ومُخرجها اليك ، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين ، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر ، فكُدّها فيه ، فإذا أحكمته فلك خمسمائة ؛ فقالت : دنانير : يا سيّدي ، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أقاسيكَ عُمري كلّه ! فقال لها : إن حفظتِيهِ فلكِ ألف دينار ، وقام فمضى ؛ فقلت لها : يا سيّدتي أشغَلي نفسكِ بذا ، فإنك أنتِ تهبين لي الخمسمائة الدينار بحفظكِ إيّاه وتفوزين بالألف الدينار ، وإلا بطَل هذا ، فلم أزلْ معها أكدّها ونفسي وتُغنّيني حتى أنصرف يحيى ، فدعا بماء وطستٍ ، ثم قال : يا أبا يحيى ، غنّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه — فقلتُ : هلكتُ ! يسمعُهُ منّي ، وليس هو بمن يَخفى عليه ، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه — فلم أجدْ بُدّاً من الغناء ؛ ثم قال : غنّيه أنتِ الآن ؛ فغنّتْ ؛ فقال : والله ما أرى إلا خيراً ؛ فقلتُ : جُعِلتُ فداءَك ! أنا أمضغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أمضغ الخبز ، وهذه أخذته الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدي وتجترئ عليه ويزداد حسناً في صوتها ؛ فقال : صدقتَ ، هاتِ يا سَلامُ خمسمائةِ دينار ولها ألفَ دينار ففعل ؛ فقالت له : وحياتِك يا سيّدي لأشاطرَنّ أستاذي الألفَ الدينار ؛ قال : ذلك اليك ، ففعلَت ؛ فانصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار .

رجع الحديث الى عُبيد الله بن قيس الرقيات

شعر ابن قيس الرقيات في كثيرة التي نزل بها بالكوفة :

قال الزبير بن بكار حدّثني عبد الله بن النَّضِير عن أبيه :

أن ابن قيس الرقيّات قال في الكوفيّة التي نزل عليها :

بانت لِتَحْزُنَنا كَثِيرَهْ ولقد تكون لنا أميرَهْ
حَلَّتْ فَلاليجَ(١) السَّوَا دِ وَحَلَّ أهلي بالجزيرَهْ

قال : ولقد رَحل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضاً — وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكي — :

صوت

لَجِجْتَ بحبِّكَ أهلَ العِراق ولولا كَثِيرةُ لم تَلْجَجِ
فليتَ كثيرةَ لم تَلْقَني كثيرةَ أختَ بني الخَزْرجِ

فقيه وشاعر :

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطانيّ قال حدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلةَ قال :

كنتُ عند سعيد بن المسيَّب ، فجاء ابنُ قيس الرقيّات ، فهَشّ وقال : مَرْحباً

(١) فلاليج السواد : قراه، واحدها فلوجة . والمراد بالسواد العراق، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والاشجار .

بظُفُر من أظفار العشيرة ، ما أحدَثْتَ بعدي ؟ قال : قد قلتُ أبياتاً وأستَفتيكَ في بيت منها فاسمعها ؛ قال : هات ؛ فأنشده :

هل للديار بأهلهـا عِلمُ　　أم هل تُبينُ فينطقَ الرسمُ
قالت رُقيَّـةُ فيمَ تَصرِمُنا　　أرُقَيّ ليس لوجهكِ الصَّرمُ
تخطُو بخلخـالينِ حَشوُهما　　ساقـانِ مارَ[1] عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاكَ موقفُنا　　أم هل علينـا في البُكا إثمُ

فقال سعيد : لا واللهِ ما أبكاني ؛ قال ابنُ قيس الرقيّات :

بل ما بكاؤكَ منزلاً خَلَقاً　　قَفراً يَلوح كأنـه الوَشْمُ

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد :

أتلبَثُ في تَكريتَ لا في عشيرةٍ　　شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ
وأنت امرؤٌ للحزم عنـدك منزلٌ　　وللدِّين والإسلام منـك نصيبُ

فقال سعيد : لا مُقامَ على ذلك ، فاُخرُجْ منهـا ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : قد أصبتَ أصاب الله بكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

قامَتْ بخلخـالينِ حَشوُهما　　ساقان مـارَ عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاك موقفُنا　　أم هل علينا في البكا إثمُ

غنّى فيهما ابنُ سُرَيج رملاً بالبنصر .

(١) مار : تردّد وتحرّك واضطرب .

بين شاعرين :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد ابن عبد الله البكريّ وهارونُ بن أبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحقيّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلم بن وَهب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أبيه قال :

دخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفل بن مُساحقٍ وإنه لمعتَمِدٌ على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيَّب في مجلسه فسلَّمنا عليه فردّ سلامَنا ؛ ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ ، أصاحبُنا أم صاحبُكم ؟ يعني : عبيدُ الله ابن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة ؛ فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا :

خليليّ ما بالُ المطيّ كأنّما ... نَراها على الأدبار بالقوم تَنكُصُ
وقد أبعدَ الحادي سُراهنّ وانتحى ... بهنّ فما يألو عَجولٌ مُقلِّصُ
وقد قُطِعتْ أعناقُهنّ صَبابة ... فأنفُسنا مما تُكلَّفُ شُخَّصُ
يَزِدْنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شوقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ ؛ قال : فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك ، وصاحبُنا أكثرُ أفانينَ شعرٍ ؛ قال : صدقتَ ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيدٌ يستغفرُ اللهَ ويَعقِد بيده ويَعُدُّه بالخمسِ حتى وفّى مائةً .

قال البكريّ في حديثه عن الجبّار : فقال مُسلِمُ بن وَهب : فلما فارقناه قلتُ لنوفل : أتُراه استغفرَ الله من إنشادِه الشعرَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلّا ! هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر ، ولكنّي أحسَبُه للفخر بصاحبه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

استأذن عُبيد الله بن قيس الرقيات على حمزةَ بن عبد الله بن الزبير؛ فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآن؛ فقال: أمَا إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي! قال: فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرَته، فقال: ينبغي أن يكونَ هذا ابنَ قيس الرقيَّات، ائذَني له، فأذنتْ له؛ فقال: مَرْحباً بك يابنَ قيس، هل من حاجةٍ نزعتْ بك؟ قال: نعم، زوّجتُ بنينَ لي ثلاثةً ببنـات أخ لي ثلاثٍ، وزوّجت ثلاثة من بني أخ لي بثلاثِ بناتٍ لي؛ قال: فلبنيكَ الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ، ولبني أخيك الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ، ولبناتك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ، هل بقيَتْ لك من حاجة يابنَ قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصلحه لسفره حتى رِقاعِ أخفافِ(١) الإبل.

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيَّات وغُنّيَ فيه

صوت

أمستْ رُقيَّةَ دونها البِشْرُ(٢) فالرَّقَّـةُ السَّوْداءُ(٣) فالغَمْرُ

غنّاه يونس ثقيلاً أوّلَ بالوسطى، وفيه لعَزّةَ المَيلاء ثاني ثقيل.

ومنها:

(١) الخف للبعير يجمع على أخفاف والخف الذي يلبس يجمع على خفاف.

(٢) البشر: اسم جبل يمتدّ من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهة البادية، وهو من منازل بني تغلب بن وائل. والغمر: علم على مواضع كثيرة.

(٣) الرقة السوداء: قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة. ويروى: «الرقة البيضاء»، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة ايام، معدودة في بلاد الجزيرة.

صوت

رُقيّ بعيشكم لا تهجرينا ومنّينا المُنى ثم امطلينا
عِدينا في غدٍ ما شئتِ إنا نُحبُّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
أغرَّكِ أنني لا صبرَ عندي على هجرٍ وأنكِ تصبِرينا
ويومَ تبِعتُكم وتركتُ أهلي حنينَ العَوْدِ[١] يتَّبِعُ القرينا

عَروضُه من الوافر. غنّاه ابنُ مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

ومنها:

صوت

رُقيّـةُ تيّمتْ قلبي فواكَبِدي من الحبِّ
نهاني إخوتي عنهـا وما بالقلب من عَتْبِ

غنّاه مالكٌ ثانيَ ثقيلٍ أولَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وقد ذكرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكيّ لحناً.

تفضيل ابن ابي عتيق له:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو ابن الزبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال:

أنشد كُثيِّرٌ ابنَ أبي عتيق كلمتَه التي يقول فيها:

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليـلٍ ولا أرضى له بقليلِ

(١) العود: الجمل المسن وفيه بقية.

فقال له : هذا كلامُ مكافئٍ ليس بعاشقٍ ، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك : ابنُ أبي ربيعة حيث يقول :

ليتَ حظِّي كلَحظةِ العينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهنّا

وقوله أيضاً :

فعِدِي نائلًا وإن لم تُنيلي إنه يُقنِعُ المحبَّ الرجاء

وابنُ قيس الرقيَّات حيث يقول :

رُقيَّ بعيشكم لا تَهجُرينا ومَنِّينا المُنى ثم امطُلينا
عِدِينا في غدٍ ما شئتِ إنّا نُحبّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجزي عِدَتي وإمّا نَعيشُ بما نُؤمّل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولى ، فقال : صدق ابن أبي عتيق وفَّقه الله ، ألا قال المديون كثيِّر كما قال هذا حيث يقول :

وأبكي فلا ليلى بكَتْ من صبابةٍ لِباكٍ ولا ليلى لِذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتبى إذا كنتُ مذنِباً وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

تشبيبه برقية بنت عبد الواحد :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال سمعت عُبيدةَ بن أشعب بن جُبَير قال حدّثني أبي قال حدّثني فِندٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبي وَقّاص قال :

حجَّتْ رقيّةُ بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامريّة ، فكنتُ آتيها وأحدِّثها فتَستَظرف حديثي وتَضحكُ منّي ؛ فطافتْ ليلةَ بالبيت ثم أهوتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلته، وقد طفتُ مع عُبيد الله بن قيس الرقيّات، فصادف فراغُنا فراغها ولم أشعر بها ، فأهوى ابنُ قيس يستلم الركنَ الأسودَ ويُقبِّله، فصادفها قد سبقتْ

اليه ، فنفحته[1] برُدنها فارتدع ؛ وقال لي : مَن هذه؟ فقلتُ : أوَ لا تعرفُها ! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد ؛ فعند ذلك قال :

مَنْ عَذيري ممن يَضَنُّ بمبذو ... لٍ لغيري عليَّ عند الطّوافِ

يريد أنها تُقبِّل الحجرَ الأسودَ وتَضِنّ عنه بقبلتها . وقال في ذلك :

حدِّثوني هل على رجلٍ ... عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجُ

وفيه غناء يُنسب بعد هذا الخبر . قال : ولما نفحته برُدْنها فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد ، وكأنما فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمة[2] عطّارٍ ، فسبّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِندٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيسٍ : هل وجدتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طِيباً ؟ فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها :

صوت

سائلا فِنداً خليلي ... كيف أرْدانُ رقيّةْ
إنني عُلِّقت خَوْداً ... ذاتَ دَلٍّ بَخْتَرِيَّهْ[3]

غنّاه فِندٌ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبش .

---

(١) نفحته : أصابته . والردن : الكم ، وقيل : مقدمه ، وقيل : أصله . والردع : أثر الطيب ، وارتدع : تطيب بالطيب .

(٢) اللطيمة : وعاء المسك .

(٣) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق . والبخترية : المتبخترة في مشيها ، وهي مشية المتكبر المعجب بنفسه ، او هي حسنة المشي والجسم .

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم وخبره وهو أيضاً مما قاله ابن قيس في رقيّة

صوت

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ[١] والغَنَجُ   والتي في عينِها دَعَجُ
والتي إن حدَّثت كذَبتْ   والتي في وعدِها خَلَجُ[٢]
وترى في البيت صورتَها   مِثلَما في البِيعَة[٣] السُّرُجُ
خبِّروني هل على رجلٍ   عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيَّات يقوله في رقيَّة بنت عبد الواحد. والغناء لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر. وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن مُحرِز من رواية عمرو بن بانة، وقيل: بل هو هذا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني سليمان ابن عيّاش السَّعديّ قال حدّثني سائبٌ راويةُ كثيِّر قال:

كان كثيِّر مديوناً، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا الى ابن أبي عتيق نتحدّث عنده؛ قال: فذهبت اليه معه؛ فاستنشده ابنُ أبي عتيق، فأنشده قولَه:

أبائنةٌ سُعدَى نعم ستَبينُ

---

(١) الدل والدلال من المرأة: تدللها على زوجها وذلك أن تريه جراءة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وليس بها خلاف، او هو حسن الحديث وحسن المزح والهيئة. والغنج: حسن الدل. والدعج: شدّة سواد العين مع سعتها.

(٢) الخلج: الاضطراب وعدم الثبات على حال، والمراد أنها لاضطرابها لا تثبت على حال في الوفاء بوعدها.

(٣) البيعة: متعبد النصارى أو اليهود.

حتى بلغ إلى قوله :

وأخلفنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي   وليس لمن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : أعلى الأمانة تبِعتَها ! فانكفَّ واستغضب نفسه وصاح وقال :

كذبْنَ صفاءَ الودِّ يوم مَحِلّه   وأنكدْنني من وعدهن ديونُ

فقال له ابن أبي عتيق : وَيلكَ ! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ ؛ أما سمعتَ قوله :

حَبَّ ذاكَ الدلُّ والغَنَجُ   والتي في عينها دَعَجُ
والتي إن حدّثت كذبتْ   والتي في وعدها خَلَجُ
وترى في البيت صورتَها   مثلما في البيعة السُّرُجُ
خبّروني هل على رجلٍ   عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر واستحلى ذلك ، وقال : لا ! إن شاء الله ؛ فضحك ابن أبي عَتيق حتى ذُهِبَ به .

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عُوَيْر الزُّهريّ قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ ابن قيس الرقيّات :

صوت

قد أتانا من آل سُعدَى رسولُ   حبّذا ما يقول لي وأقولُ
مِنْ فتاةٍ كأنها قَرْنُ شمسٍ   ضاق عنها دَمالجٌ[1] وحُجولُ

(١) دمالج : جمع دملج وهو المعضد من الحلي (حلية تلبس في العضد) . والحجول : جمع حجل وهو الخلخال . يريد أنها بضة سمينة ضاقت عنها دمالجها وحجولها .

حَبَّـذا ليلتي بمَزّة[1] كلبٍ غال عنّي بها الكَوانِينَ غُولُ

فقال لي: يابنَ الأميرِ ما تُراه كان يقول وتقول؟ فقلت:

حديثاً كما يسري النَّدَى لو سمعته شفاكَ مِنَ أدواء كثيرٍ وأسقَما

فطرِب وقال: بأبي أنت وأمي! ما زلتُ أحبُّك، ولقد أضعف حبّي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.

غنّى في هذه الأبيات ابن سُرَيج ثقيـلًا أولَ بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ، كلاهما عن الهشاميّ.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدَلانيّ النحويّ صهرُ المبرّد قال حدّثني طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطَّلحيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: أنشد أشعبُ بن جُبَير أبي أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها:

قد أتانا من آل سُعدَى رسولُ حَبَّذا مـا يقول لي وأقولُ

فقال أبي: وَيحك يا أشعب! ما تُراه قال وقالت له؟ فقال:

حديثاً لَوَ أنّ اللحمَ يَصلى بحرّه غَريضاً[2] أتى أصحابه وهو مُنضَجُ

ذكَر شوقاً ووصف تَوْقاً، ووعـدَ ووفى، والتقيا بمزّة كلب فشفى واشتفى، فذلك قوله:

حَبَّـذا ليلتي بمزّة كلبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ

---

(١) هي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق، والكوانين: الثقلاء من الناس. والغول: الداهية.

(٢) غريضاً: طرياً.

فقال له : إنك لعلّامة بهذه الأحوال ؛ قال أجـلْ ! بأبي أنت ! فاسأل عالماً عن علمه .

ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات

صوت

من المائة المختارة

يا قلبُ وَيحكَ لا تذهبْ بكَ الحُرَقُ إنّ الألى كنتَ تهواهم قد انطلقوا

وذُكر أنه لوضّاح[١] ، وقد أخرج في موضع آخر .

(١) هو وضاح اليمن عبد الرحمن بن إسماعيل الشاعر .

ذكر مالك بن أبي السمح واخباره ونسبه

هو مالك بن أَبي السَّمْح . واسم أَبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثُعَل ثم أَحدُ بني عمرو بن دَرْماء[1] . ويكنى أبا الوليد . وأمه قرشيَّة من بني مخزوم، وقيل : بل أمّ أبيه منهم، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبي السمح بن سليان بن أَوْس بن سِماك ابن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بني ثُعَل . وأمّ أبيه بنت مُدرِك بن عوف بن عُبيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعاً الى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حِجره أوصى به أبوه اليه، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمونه، وأدخله وسائرَ إخوته في دِعوة بني هاشم، فهم معهم الى اليوم . وكان أحولَ طويلًا أحنى[2]. قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبأس بن عبد المطلب في قوله فيه :

أبيضُ كالبدر أو كما يَلمَع السارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أنت .

أحولُ كالقردِ أو كما يَرقُب السارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

---

(١) بنو درماء : أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائي، ودرماء أمهم، وكانوا بالشام بقلعة الداروم وما يجاورها .

(٢) أحنى : في ظهره احديداب .

اساتذته في الغناء:

وأخذ الغناء عن جميلة ومَعْبد وعُمَر[١] حتى أدرك الدولة العباسيَّة، وكان منقطعاً الى بني سليمان بن عليّ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد: قرأت على أبي:

أنّ السبب في انقطاع أبي السمح الى ابن جعفر أنّ السَّنَةَ أقحمَتْ طيِّئاً، فكان ثعلبةُ جدُّ مالك أحدَهم، فوُلد أبو السمح بالمدينة؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشميّ، وكان سببُ ذلك مودّةً كانت بينه وبين آل شُعَيب السَّهميين؛ فلما تزوّج حسين عابدة بنت شُعَيب السَّهميَّة خاصمهم بسببها؛ وكان جدّ مالك معه وعوناً له مع من عاونه، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم، حتى وُلد مالك في دُورهم، فصارت دِعوَتُه فيهم.

أدرك الدولة العباسية:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي:

وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بني العباس، وقَدِم على سليمان بن عليّ بالبصرة، فمتّ اليه بخؤولته في قريش، ودِعْوته لبني هاشم، وانقطاعِه الى ابن جعفر، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأوساقٍ[٢] من تمر.

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني مَيمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوَرْدانيّ قال:

---

(١) هو عمر الوادي المغني، وقد كان معاصراً له وكان أستاذاً مبرزاً في الغناء.

(٢) الأوساق: جمع وسق (بالفتح) وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمدّ.

كان مالـك بن أبي السَّمح المغنّي من طيّ، فأصابتهم حَطمة[١] في بلادهم بالجبلين، فقَدِمتْ به أمه وبإخوةٍ له وأخواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم؛ فكان يسأل النَّاسَ على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبير، وكان معبدٌ منقطعاً الى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنّيه؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد الى الليل، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيمُ موضعَه، فينصرف الى أمه ولم يكتسب شيئاً، فتضربه، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد ويؤدّيها دَوراً دورا في مواضع صَيحاته وإسجاحاته ونَبَراته[٢] نَغَمًا بغير لفظ ولا روايةِ شيء من الشعر؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازماً لبابـه؛ فقال لغلامه يوماً: أدخِل هذا الغلامَ الأعرابيَّ إليَّ؛ فأدخله؛ فقال له: من أنت؟ فقال: أنا غلام من طيّ أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطّتْنا اليكم ومعي أمّ لي وإخوةٌ، وإني لزِمت بابَك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني، فلزمتُ بابَك من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ؛ فقال: إن كنتَ صادقاً إنك لفَهِمٌ. ودعا بمَعبَد فأمره أن يغنّي صوتاً فغنّاه، ثم قال لمالك: هـل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم؛ قال: هاته؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغـير شعر، يؤدّي مَدّاتِه ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاتِه لا يَخرِم حرفاً؛ فقال لمعبد: خذ هذا الغلام اليك وخَرِّجه، فَلَيكوننّ له شأن؛ قال معبد. ولِمَ أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنُه منسوبة اليك، وإلّا عدَل الى غيرك فكانت محاسنُه منسوبة اليه؛ فقال: صدق الامير، وأنا أفعل ما أمرتَني به. ثم قال حمزة لمالكٍ: كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا؟ قال: أرأيتَ لو قلتُ فيك غـيرَ الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك؟ قال لا؛ قال: وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل؛ قال نعم؛ قال: فوالله ما شَبِعتُ على بابك شَبْعةً قطُّ ولا انقلبتُ منه الى أهـلي بخير؛ فأمر له ولأمّه ولإخوته بمنزل، وأجرى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم

(١) الحطمة: السنة والجدب. والمراد بالجبلين أجأ وسلمى لانهما جبلا طيىء.

(٢) نبرة المغني: رفع صوته عن خفض.

بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجالسه، وأمر معبداً أن يطارحه، فلم يَنشَبْ[١] أن مهر وحذَق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدبةَ بن خَشرَم؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زِيادةَ الذي قتله هُدْبةُ بن خَشرَم بشعر أخي[٢] زِيادة:

أبعد الذي بالنَّعفِ[٣] نَعفِ كُوَيكِبٍ رهينةَ رَمسٍ ذي تراب وجَندلِ
أُذكَّرُ بالبُقْيا على من أصابني وبُقياي أنّي جاهدٌ غيرُ مؤتلي
فلا يَدعُني قومي لزيد بن مالك لئن لم أُعجِّلْ ضربةً أو أُعجَّلِ
وإلّا أنلْ ثأري من اليوم أو غدٍ بني عمّنا فالدهرُ ذو مُتطوَّلِ
أنختُمْ علينا كَلكَلَ الحرب مرّةً فنحن مُنيخُوها عليكم بكَلكَلِ

فغنّى في هذا الشعر لحنَين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقّقه وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة يُنشده وقد أعجبني، فإن أذِن الأميرُ غنّيتُه فيه؛ قال: هاته، فغنّاه اللحنَ الذي نحا فيه نحو معبد؛ فطرِب حمزة وقال له: أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه؛ فقال: لا تَعجَل أيها الأمير واسمع منّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتِه؛ قال: هاتِ، فغنّاه اللحنَ الذي تَشبَّه بنوح المرأة، فطرِب حمزة حتى ألقى عليه حُلّة كانت عليه قيمتها مائتا دينار؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حمزة عليه فأنكرها؛ وعلِم حمزةُ بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغنّاه الصوتين؛ فغضِب معبد لما سمع الصوت الاول وقال: قد كرِهتُ أن آخذ هذا الغلام فيتعلّمَ غنائي فيدّعيَه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تَعجَل واسمع غناء صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغنّي

(١) يقال: لم ينشب أن فعل كذا أي لم يلبث. وحقيقته: لم يتعلق بشيء غيره ولا اشتغل بسواه.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول.

(٣) النعف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل كالخيف.

الصوت الآخر فغنّاه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الايام، وكلما كبر وزاد شختَ أنت ونقصتَ، فلأن يكون منسوباً إليك أجملُ؛ فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأميرُ. فأمر حمزةُ لمعبدٍ بخلعة من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه؛ فقام مالك على رجله فقبّل رأس معبد، وقال له: يا أبا عَبّاد أساءك ما سمعتَ منّي؟ والله لا أغنّي لنفسي شيئاً أبداً ما دمتَ حيّاً، وإن غلبتْني نفسي فغنّيتُ في شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلا اليك، فطِبْ نفساً وارضَ عنّي؛ فقال له معبد: أوَ تفعل هذا وتَني به؟ قال: إي والله وأزيد؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتاً وسئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنّيت لنفسي شيئاً قطّ، وإنما آخذ غناء معبد فأنقله الى الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقص منه.

غناؤه ليلة الجمعة:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا الحسن ابن عُتبة اللهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بني الحارث بن عبد المطّلب قال:

خرجتُ من مكة أريد العراق، فحملتُ معي مالكَ بن أبي السمح من المدينة، وذلك في أيام أبي العبّاس السّفاح، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا: يا معشر الرُّفقة إن الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناء، وعليّ وعليّ إن غنّيتُ ليلة الجمعة، فإن أردتم شيئاً فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنّينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرِب ثم صاح: الحريق في دار سَلْمَغان، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثرَ غناء منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلّظة.

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السمح بالسَّراة[١]، لأنه كان إذا قدِم الشامَ على الوليد بن يزيد، عدَل اليهم في بَدأته وعَوْدته لانقطاعه اليهم، فيَبَرّونه ويَصِلُونه؛ فلما أفضى اليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكاً على باب أبنه جعفر؛ فقال له : يا بنيّ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبهَ الناس بمالكٍ؛ فقال له جعفر : ومَنْ مالكٌ ؟ — يُوهمه أنه لا يعرفه — فتغافل عنه سليمانُ لئلا ينبهه عليه فيطلبه، وتوهّم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، ولم يعرفه، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة؛ قال: فما لي حسرةٌ مثل حسرتي بأني ما سمعتُ غناءه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسَّان محمد ابن يحيي قال :

كان مالك بن أبي السمح يتيماً في حِجْر عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر وأنقطع اليه، فلما احتُضر أوْصى بمالكٍ اليه، فكفله وعاله وربّاه، وأدخله في دِعْوة بني هاشم، فهو فيهم الى اليوم . ثم خطب حسينُ ابن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس العابدةَ بنتَ شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطبها لنفسه، فعاون مالكٌ حُسيناً، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ، فأجابت حُسيناً وتزوّجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين ؛ فلما أفضى الأمرُ الى بني هاشم قدِم البصرةَ على سليمان ابن عليّ، فلما دخل اليه مَتَّ بصحبته عبدَ الله بن جعفر ودِعْوته في بني هاشم وأنقطاعه إلى حسين؛ فقال له سليمان : أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يا مالك، ولكنك كما تعلم، وأخاف أن تُفسد عليّ أولادي، وأنا واصلك ومُعطيك ما تريد وجاعل لك شيئاً أبعث به اليك ما دمتَ حياً في كل عام، على أن تخرج عن البصرة

(١) يريد بالسراة هنا مكاناً بعينه .

وترجع الى بلدك ؛ قال : أفعلُ جعلني الله فِداك ؛ فأمر له بجائزة وكُسوة وحمله وزوّده الى المدينة .

شيخوخة مغنٍّ :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جَناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكُوفيّ عمن أخبره قال :

دخلتُ المدينة حاجاً فدخلت الحَمّام ، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحَمّام فغسله ونظّفه ، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض ؛ فلما جلس خرجتُ إلى صاحب الحَمّام فقلت له : من هذا الشيخ ؟ قال : هـذا مالك بن أبي السمح المغنّي ، فدخلتُ عليه فقلت له : يا عمّاه ، مَن أحسنُ الناس غِناء ؟ فقال : يابن أخي ، « على الخبير سَقطتَ »[١] ، أحسنُ الناس غناء أحسنُهم صوتاً .

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوبَ المدينيّ قال حدّثني أبو يحيي العِباديّ عن إسحاق قال :

كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبي السَّمح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألنا مالكاً فغنّانا صوتاً ! فقام اليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدَل اليهم ؛ فسألوه أن يغنّيَهم ؛ فقال : نعم واللهِ بالحُبّ والكرامة ، ثم اندفع يغني ، وأوقع بالمِقرَعة على قَرَبُوس[٢] سَرجه ، فرفع صوته فلم يقدِر ، ثم خفضه فلم يقدر ، فجعل يبكي ويقول : واشباباه .

أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد عن الزبير بن بكّار عن عمه عن جده

---

(١) هذا مثل يضرب حين يقع السائل على العلم بالأمر الذي يسأل عنه .

(٢) القربوس : حنو السرج أي جانبه وهو الخشبة التي بها اعوجاج . ولكل سرج أربعة قرابيس : اثنان مقدّمان واثنان مؤخران .

أنه كان في هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناء؛ وذكر باقيَ الخبر مثل ما ذكره إسحاق.

مع مخنث:

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوبَ المدينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال حدّثني صالح بن أبي الصَّقر قال:

قدِم مالك بن أبي السَّمح المغنّي البصرةَ، فلقيه عَجاجةُ المخنّثُ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين، وقال له: فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد، إني كنتُ أُحبّ أن ألقاك وأن أعرِض عليك صوتاً من غنائك أخذْتُه عن بعض المخنّثين، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْداً[1] قطيفةٍ كانت عنده لجلس، ثم أخذ عَجاجةُ الدفَّ فغنّى:

حَبّ إن الحمارَ كان عليها شاهداً يوم زارتِ الجَوْشَنيّه[1]
قد سَبتْه بِدَلّها حين جاءت تتهادى في مِشيةٍ بَخْتَرِيَّه

فجعل مالك يقول له: وَيلك! مَن قال هذا! لعنه اللهُ! وَيحك مَن غنّى هذا! قبّحه الله! وَيحك مَن روى عنّي هذا! أخزاه اللهُ! ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجاجة.

عند خليفة:

أخبرني محمد بن خَلف بن المرزُبان قال أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن

---

(١) الجرد: الخلق من الثياب، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه «ليس عندنا من مال المسلمين إلا جرد هذه القطيفة» أي الذي انجرد وخلق.

(١) الجوشنية: لعلها نسبة الى جوشن الذي هو بطن من غطفان.

أبن جناح قال حدّثني مصعب بن عثمان قال حدّثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير قال حدّثني مالك بن أبي السّمح قال :

قدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليه مع معبد وأبنِ عائشةَ ، فغنّيناه ليلةً فأطربناه ، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه فغدَوْنا عليه بالكتاب ؛ فلما رآه أنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار ! لا والله ولا حُبّاً ولا كرامةً ! فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه ؛ فقال : كأنه أستنكر ذلك ؟ فقلنا : نعم ؛ فقال : مثله والله يستنكره ودعاه ؛ فلما حضر ورآنا عنده أستأمره فيها ، فأطرق مُستحيياً ؛ وقال له : إني قد قلتها لهم ولا يَحمُلُ أن أرجع عمّا قلت ، ولكن قطِّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد ، وقد بقي لكل واحد منا أربعُمائة دينار .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبي، وحدّثنا الحسن بن محمد قال :

لما أنهزم عبد الله بن عليّ من أبي مسلم قَدِم البصرةَ ، وكان عند سليمان بن عليّ ، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها، فأستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنّاهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن عليّ ، وبلغ الخبرُ سليمانَ ، فدخل عليهم فعذل جعفراً ومحمداً ، وقال : نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء ! فقالا : ألا تجلس وتسمع ! ففعل ، فغنّاهم مالك :

صوت

ما كنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ[١] الزمان به   قد كنتُ ذا نَجدةٍ أخشى وذا باسِ
أبلغْ أبا معبدٍ عنّي وإخوَته   شوقي إليهم وأحزاني ووَسْواسي

---

(١) يقال : خاس الزمان به إذا غدر به .

فخرج وتركهم ولم يُنكر عليهم شيئاً .

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس :

صوت

لا عيشَ إلا بمالكِ بن أبي السَّمح فلا تَلحَني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالبدر أو كما يَلمَع البارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا يَهتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَمِ
يُصيبُ مِن لَذَّة الكريمِ ولا يَجهلُ آيَ الترخيص في اللَّمَمِ[1]
يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشية البُردِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
نَعِمتُ فيه ومالكَ بنَ أبي السَّمح الكريمَ الأخلاقِ والشِّيَمِ

— غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملًا بالبنصر في مجراها — فيقال : إنّ مالكاً قال له : لا والله ولا إن غَوَيتَ أيضاً أعصِيك ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمه مصعب . ويقال : إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيدَ ، فسُرّ بذلك وأجزل صلتَه .

غناؤه الوليد :

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثني أبي قال قال ابن الكلبيّ :

قال الوليد بن يزيد لمعبد قد آذتني ولولتُك هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالُك هذا ، فانظرا لي رجلًا يكون مذهبه متوسّطاً بين مذهبَيكما ؛ فقالا له : مالكُ بن أبي السمح ؛ فكتب في إشخاصه اليه وسائرِ مُغنّي الحجاز

(١) اللمم : مقاربة الذنب من غير مواقعة وقيل : هو ما دون الكبائر من الذنوب .

المذكورين ؛ فلمَّا قدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغمر ابن يزيد ، فأدخله على الوليد فغنَّاه فلم يُعجبه ؛ فلما انصرف الغمر قال له : إن أميرَ المؤمنين لم يُعجبه شيء من غنائك ؛ فقال له : جعلني الله فداك ! اُطلب لي الإذنَ عليه مرّةً واحدة ، فإن أعجبه شيء مما أغنّيه وإلا انصرفتُ إلى بلادي . فلما جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الإذنَ ، وقال له : إنه هائبك خَصِرَ ؛ قال : فأذَن له ، فبعث اليه ؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُراحيّات[١] صِرْفًا ؛ فخرج حتى دخل عليه يَخطِرُ في مِشيته . وقال غيرُ ابن الكلبيّ : إنه قال لفرّاش للوليد : اسقِني عُسًّا[٢] من شراب ولك دينار ، فسقاه إيّاها وأعطاه الدينار ؛ ثم قال له : زِدني آخرَ فأزيدَك آخرَ ، ففعل حتى شرب ثلاثةً ، ثم دخل على الوليد يَخطِر في مِشيته ؛ فلما بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم ، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقَعْقَعها ، ثم رفع صوته فغنّى :

لا عَيشَ إلا بمالكِ بنِ أبي السـ ـسمح فلا تَلحَني ولا تَلُم

فطَرِب الوليد ، ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه اليه مادًّا لها ، وقام فاعتنقه قائمًا ، وقال له : ادنُ يابنَ أخي ، فدنا حتى اعتنقه ؛ ثم أخذ في صوته ذلك ، فلم يزالوا فيه أيامًا ، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ . قال : ولما أتى مالكٌ على قوله :

أبيضُ كالسيف أو كما يَلمَعُ الـ ـبارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

قال له الوليد :

أحولُ كالقِرْد أو كما يَرقُبُ الـ ـسارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

---

(١) صراحيّات : جمع صراحية وهي إناء من آنية الخمر ولا يعرف أصلها . وقيل عربية صحيحة استعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب .

(٢) العس : القدح الضخم يروي الثلاثة والاربعة . وجمعه : عسسة .

يأخذ أغاني غيره :

وكان مالك طويلاً أجنى[1] فيه حَوَلٌ. وقد قال قوم: إنّ مالكاً لم يصنع لحناً قطُّ غيرَ هذا – أعني: «لا عيشَ إلا بمالك بن أبي السَّمح» – وإنه كان يأخذ غناء الناس فيزيد فيه وينقُصُ منه وينسبه الناس اليه، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار، ويقول: غناء مالكٍ كلّه مَذْهبٌ واحد لا تَبايُن فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلف غِناؤه، وإنما كان إذا غَنّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوالَ خفّفها وحذَفَ بعض نَغَمها، وقال: أطاله مَعبَد ومطّطه، وحذفتُه أنا وحسّنْتُه، فأمّا ألا يكونَ صنع شيئاً فلا.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد: قرأتُ على أبي وذكر بكّار بن النبال:

أن الوليد قال لمالك: هل تصنع الغناء؟ قال: لا، ولكني أزيدُ فيه وأنقُص منه؛ فقال له: فأنت المُحَلّي إذاً.

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثيّ الذي يقال له سَنابل – وفيه يقول الشاعر:

فإن هي ضَنّتْ عنكَ أو حِيل دونَها ... فدَعْها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنابِلِ

– قال: خرجتُ من مكة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمح، فسألته يوماً عن بعض ما يُنسَب اليه من الغناء؛ فقال: يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنّى صوتاً قطّ، ولكني آخذُه وأُحسّنه وأهيّئه وأُطيّبه، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ. قال إسحاق: وليس الأمرُ هكذا؛ لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تجري في أسلوب واحد، ويُشبِه

(١) الأجنى لغة في الأجنأ وهو الذي أشرف كاهله على صدره.

بعضها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكاً كان يتنقى من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكرون عليه ، فكان يَتَبَذَّل به عند من يراه ، ويُنكره عند من يذُمّه ، لمحلّه في بني هاشم .

وأخبرني بخبر سَنابِلَ هذا محمدُ بن مَزيدَ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عتبة عن سَنابلَ ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتبة أخيه .

أخذ صوتا من حمار :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه عن محمد بن يَزيد اللَّيْثيّ قال :

سُئل مالك بن أبي السَّمح عن صنعته في :

لاحَ بالدَّيْر من أمامةَ نارُ

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنده[١] بالشام يَسوق أحمِرةً ، فكان يترنّم بهذا اللّحن بلا كلام ، فأخذته فكسوتُه هذا الشعر .

أخذ صوتاً من حائك :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال :

نزل مالكُ بن أبي السَّمح عند رجل بمكة مخزوميّ ، وكان له غلامٌ حائكٌ ، فأتاه آتٍ فقال : أما سمعتَ غناء غلامك الحائك ؟ قال : لا ! أوَ يُغنّي ؟ قال : نعم

---

(١) الخربنده : المكاري ، وهي كلمة فارسية مركبة من « خر » وهو الحمار و « بنده » وهو الخادم .

بشعر لأبي دَهْبل الجُمَحيّ ؛ فبعث اليه فأتاه ، فقال : تَغَنَّه ؛ ما أُحسِنُ ذاك إلا على حَفِّي(١) ؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلما جلس على حفِّه تغنَّى :

تطاولَ هذا الليلُ ما يَتبلَّجُ

فأخذ مالكٌ عنه وغنّاه فنسبه الناس اليه ؛ وكان يقول : والله ما غنَّيته قطّ ولا غنّاه إلّا الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

لاحَ بالدَّيرِ من أمامةَ نارُ ... لمحبٍّ له بيثربَ دارُ
قد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ ... بِ لأغناكَ عن نَداها(٢) السِّرارُ

الشعر للأحوص ، ويقال : إنه لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . والغناء لمالك ابن أبي السَّمْح ثقيل أولُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

صوت

تَطاولَ هذا الليلُ ما يَتَبَلَّجُ ... وأعيتْ غواشي سَكْرَتي ما تَفَرَّجُ
أبيتُ بِهمٍّ ما أنامُ كأنما ... خِلالَ ضُلوعي جمرةٌ تَتَوَهَّجُ
فَطوْراً أُمنّي النفسَ من تُكْتَمَ(٣) المُنى ... وطوراً إذا ما لجَّ بي الحبُّ أَنشِجُ(٤)

(١) الحف : المنوال والمنسج، وهو أيضاً القصبة التي تجيء وتذهب .

(٢) الندى : بعد الصوت .

(٣) تكتم : اسم المرأة المشبب بها .

(٤) نشج : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي دَهْبَل ، والغناء لمالك بن أبي السَّمح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

هربه مع ابن عائشة :

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال :

قال ابن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبي السمح وكان من أحمق الناس ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منا ؟ قال : وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسّنوا أمرهم بذلك ! ؛ قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلًا قطّ قبل ذلك اليوم .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكّار حدّثتني ظَبيَةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبي السَّمح وهو على مَنامته يُلقي على ابنه وقد كَبِرَ وانقطع :

صوت

اعتادَ هـذا القلبَ بَلبالُهُ(١) إذ قُرِّبتْ للبَـيْنِ أجمالُهُ
خَوْدٌ(٢) إذا قامتْ إلى خِدْرها قامتْ قَطوفَ(٣) المَشي مِكْسالُهُ
تَفْـتَرُّ(٤) عن ذي أُشُرٍ باردٍ عَذْبٍ إذا ما ذِيقَ سَلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبي ربيعة ، ولمالك بن أبي السَّمح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل مطلق في مجرى الوسطى ، وثقيل أول بالوسطى في مجراها جميعاً عن إسحاق ،

(١) البلبال : شدة الهم والوسواس .

(٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق .

(٣) قطوف المشي : ضيقة الخطى بطيئة المشي .

(٤) تفتر : تبسم . والأشر : حدّة ورقة في أطراف الأسنان .

وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنسب الى ابن جامع وابن سريج .

شعر في رثائه :

أخبرني وَكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثي مالكاً بهذه القصيدة :

يا مالُ إني قَضَتْ نفسي عليكَ وما ... بيني وبينَكَ من قُربَى ولا رَحِمِ
إلا الذي لك في قَلبي خُصِصتَ به ... من المودّة في سِترٍ وفي كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبي السمح . إنقضت أخباره .

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهل وابن المَكيّ وابي العُبَيس ومن روى جَحظةُ عنه :

فإلّا تُجلّلها[1] يُعالُوكَ فوقها ... وكيف تَوقّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ
همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غدرَتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أختِكم ... ولا تَنهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

عروضه من الطويل . البيت الاول من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليّ ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط . والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من الثقيل الاول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغريض ثقيل أولُ بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لَمعبد ثقيل أولُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشاميّ . وفيه لسَلْسَل في الثاني والثالث ثقيلٌ أولُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لعَطَرّد خفيف ثقيل .

(١) تجلل الرجل البعير : علا ظهره . وعالى فلان الشيء : رفعه .

خبر النهدي في هذا الشعر

وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه في أول الكتاب

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني، وكان عالماً بأخبار قومه، قال وحدّثنيه أبو مِسكين أيضاً، قالا :

كان الحارث بن مارِيَةَ الغسّاني الجفنيّ مُكرِماً لزُهير بن جَناب الكلبي يُنادمه ويحادثه، فقدِم على الملِك رجلان من بني نَهْد بنِ زيد يقال لهما حَزنٌ وَسَهلٌ ابنا رِزاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب، فاجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زُهير بن جَناب، فقال : أيها الملك، هما والله عينٌ لذي القرنين عليك (يعني المُنذرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر)، وهما يكتبان اليه بعوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك؛ قال : كلّا ! فلم يزل به زهير حتى أوغَر صدرَه، وكان اذا ركِب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعث اليهما بناقة واحدة؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف؛ فقال له الآخر :

فإلّا تَجلّلها يُعالُوكَ فَوقَها وكيف تَوَقّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ

فركبها مع أخيه، ومَضى بها فقُتِلا، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلًا فشتَم زُهيراً وطرده، فانصرف الى بلاد قومه؛ وقدِم رِزاحٌ أبو الغلامين الى الملك، وكان شيخاً عالماً مُجرِّباً، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ ابنيه؛ وبلغ زهيراً مكانُه، فدعا ابناً له يقال له عامر، وكان من فِتيان العرب لساناً وبياناً، فقال له : إنّ رِزاحاً قد قدِم على الملك، فالحقْ به واحتلْ في أن تكفِيَنيه، وقال له : اذمُمني عند الملك

وَنالَ مِنّي، وأثّر به آثاراً؛ فخرج الغلام حتى قدِم الشام، فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل اليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا عامرُ بنُ زُهير بن جَناب؛ قال: فلا حيّاكَ الله ولا حيّاً أباكَ الغادرَ الكذوبَ السّاعيَ! فقال الغلام: نعم، فلا حيّاه الله! أنظرْ أيها الملك ما صنَع بظهري! وأراه آثارَ الضرب؛ فقبِل ذلك منه وأدخله في نُدمائه؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له: أيها الملك، إنّ أبي وإن كان مُسيئاً فلستُ أدَعُ أن أقول الحقّ، قد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول:

فيالكِ نَصحةً لمّا نَذُقها ... أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالا

ثم تركه أيّاماً، وقال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حيّة قد قُطِع ذَنَبُها وبقِيَ رأسُها؟ قال: ذاك أبوك وصَنيعُه بالرجلين ما صَنَع؛ قال: أبيتَ اللّعنَ! والله ما قَدِم رزاحٌ إلا ليثأرَ بهما؛ فقال له: وما آيةُ ذلك؟ قال: اسقِهِ الخمر ثم ابعَث اليه عَيناً يأتِك بخبره؛ فلما انتشى صرَفه الى قُبّته ومعه بنتٌ له، وبعث عليه عيوناً؛ فلما دخل قُبّته قامت اليه ابنته تُسانده فقال:

دَعيني من سِنادِكِ إنّ حَزناً ... وسَهلاً ليس بعدهما رُقودُ
ألا تَسلين عن شِبلَيّ ماذا ... أصابهما إذا اهتَرشَ[1] الأُسودُ
فإنّي لو ثأرتُ المرءَ حَزناً ... وسَهلاً قد بدا لكِ ما أريدُ

فرجع القومُ الى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النَهديّ رِزاحٍ، وردّ زُهيراً الى موضعه.

(١) الاهتراش: التقاتل والتواثب.

شعر للوليد بن عقبة :

وقد أنشدني محمد بن العباس اليَزيديّ قال : أنشدنا محمد بن حَبيبَ أبياتَ الوليد هذه على الوِلاء[١]، وهي :

أَلا مَن لِلَيْلٍ لا تَغور كواكبُهْ ... إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبُهْ[٢]
بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم[٣] ... ولا تَنهبوه لا تَحِلُّ مناهبُهْ
بني هاشم لا تَعجَلوا[٤] بإقادةٍ ... سواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ
فقد يُجبَرُ العظمُ الكسيرُ ويَنبري ... لذي الحقّ يوماً حقُّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم ... كصَدْعِ الصَّفا لا يَرأَبُ الصَّدعَ شاعِبُهْ
بني هاشم كيف التعاقُدُ[٥] بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه وحرائبُهْ[٦]
لعَمرُكَ لا أنسى ابنَ أَروى وقتلَه ... وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ
همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غدَرتْ يوماً بكِسرى مَرازبُهْ
وإِنّي لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه[٧] وجَلائبُهْ

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتبة بن أبي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات، وقيل : بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضاً . والجواب :

---

(١) الولاء : المتابعة، يقال : افعل هذه الاشياء على الولاء أي متابعة .

(٢) ويروى : « إذا لاح نجم غار نجم يراقبه » .

(٣) ويروى : « ابن عمكم » .

(٤) ويروى : « لا تعجلونا فإنه » .

(٥) وفي رواية : «التعاذر» وفي روايتين أخريين هما : « كيف الهوادة » و « كيف التواصل» .

(٦) الحرائب : جمع حريبة وهي مال الرجل الذي يعيش به، وقيل : ما يسلب من المال .

(٧) الجرس : الصوت .

صوت

فلا تسألونا بالسلاح فإنه أُضيع وأَلقاه لدى الرَّوْع صاحبُهْ
وشَبَّهتُه كسرى وقد[١] كان مثلَه شبيهاً بكسرى هَدْيُه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لابن مِسجح فيه لحناً وأن لحنه من الثقيل الاول بالسبّابة في مجرى الوسطى، وقال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى الى ابن مسجح.

(١) وفي رواية: «وما كان مثله».

ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه

الوليدُ ابنُ عقبة بن أبي مُعَيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قَطِيفة. ويكنى الوليدُ أبا وَهب. وهو أخو عثمان بن عفَّان لأمّه، أمهما أروى بنت كُرَيز، وأمها البَيضاء بنت عبد المطلب. وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادِهم، وكان فاسقاً، ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أبي وقّاص، فشرِب الخمرَ وشُهد عليه بذلك، فحدّه وعزَله.

رثاؤه عثمان :

وهو الذي يقول يَرثي عثمان رضي الله عنه ويُحرّض معاوية :

والله ما هندٌ بأمِّك إن مضى النهارُ ولم يَثأر بعثمان ثائرُ
أيقتُل عبدُ القوم سيِّدَ أهلِه ولم تقتلوه ليت أمّكَ عاقرُ
وإنا متى نقتلْهمُ لا يُقِدْ بهم مُقِيدٌ فقد دارت عليك الدوائرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال :

لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حَرْب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عُقبة، فأقبل الوليدُ يوماً فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زَحَل[1] له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد : والله يا أمير المؤمنين، لقد تَلجلج في صدري بيتان قلتُهما حين رأيتك

(١) زحل : تنحّى وتباعد.

آثرت عمك على ابن أمك ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه : إنه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قلتهما ؟ قال قلت :

رأيت لعمّ المرء زُلفى قرابةٍ ... دُوَين أخيه حادثاً لم يكن قِدْما
فأمّلتُ عمراً أن يَشِبّ وخالداً ... لكي يدعواني يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان . قال : فرقّ له عثمان ، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعني الكوفة) .

ولايته الكوفة :

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني بعضُ أصحابنا عن ابن دأب قال :

لمّا ولّى عثمان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفة قدمها وعليها سعد بن أبي وقّاص ، فأُخبر بقدومه ؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف في السوق فهو يحدّث الناس هناك ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار ، فاستأذن على سعد فأذِن له ، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ قال : أنا أرزنُ من ذلك ، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني اليه ، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلاً ثم قال : لا والله ما أدري أصلحتَ بعدنا أم فسدنا بعدك ! ثم قال :

خُذيني فجرّيني ضِباعُ وأبشري ... بلحم امرىءٍ لم يَشهد اليوم ناصرُه

فقال : أما والله لأنا أقولُ للشعر وأروى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك ، ولكني أدَعُ ذلك لما تعلم ؛ نعم والله قد أُمرتُ بمحاسبتك والنظرِ في أمر عُمّالك ؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبسهم وضيّق عليهم ، فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلّمه فيهم ؛ فقال له : أوَ للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ! فخلّى سبيلهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر قال حدّثنا جَناد بن بِشر قال: حدّثني جَرير[١] عن مُغيرة[٢] بنحوه.

قال أبو زيد عمر بن شبَّة أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال حدّثنا هُشَيم عن العوّام ابن حَوْشَب:

أنه لمّا قدِم على سعد قال له سعد: ما أدري أكِستَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك؟ فقال: لا تَجزَعنّ أبا إسحاق، فإنما هو المُلك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون؛ فقال له سعد: أراكم والله ستجعلونه مُلكاً.

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائني عن بِشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقيق[٣] بن سَلَمة قال:

قدِم الوليد بن عقبة عاملًا لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وكان سعد قد أخذ مالًا، فقال الوليد لعبد الله: خُذْه بالمال، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك؛ فقال سعد: آتي أميرَ المؤمنين، فإن أخذني به أدّيتُه. فغمزَ الوليد عبد الله، ونظر اليهما سعد فنهض وقال: فعلتماها! ودعا اللهَ أن يُغري بينهما وأدّى المال.

صلاته الصبح أربع ركعات:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبَّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدّثنا ضَمرة بن ربيعة عن ابن شَوْذب قال: صلى الوليد بن عُقبة بأهل الكوفة

(١) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي.

(٢) هو المغيرة بن مقسم الضبي.

(٣) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الراوي وهو الذي يروي عنه الأعمش.

الغداةَ أربعَ ركعات، ثم التفت اليهم فقال: أأزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذُ اليوم.

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال حدّثنا محمد بن حُميد قال حدّثنا جَرير عن الأجلح[1] عن الشَّعْبي[2] في حديث الوليد بن عُقبة حين شهدوا عليه قال: قال الحطيئة:

شهد الحطيئةُ يوم يلقى ربّه … أن الوليدَ أحقّ بالعُذرِ
نادى وقد تمّت صلاتُهم … أأزيدكم — سُكراً — وما يدري
فأَبَوْا أبا وَهب ولو أذِنوا … لقرَنْتَ بين الشفع والوترِ
كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو … تركوا عِنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً:

تكلّم في الصلاة وزاد فيها … عَلانيَةً وجاهر بالنِّفاقِ
ومجّ الخمرَ في سَنن المُصلّى … ونادى والجميعُ إلى افتراقِ
أزيدكم على أن تحمدُوني … وما لكمُ ومالي من خَلاقِ

سكران يصلي:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال حمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال ذكر أبو عُبيدة وهشام بن الكلبيّ والأصمعيّ قالوا:

كان الوليد بن عقبة زانياً شِرّيب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبحَ في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربعَ ركعات، ثم التفت اليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقيّأ في المحراب، وقرأ بهم الصلاة وهو رافع صوته:

---

(١) هو الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندي.

(٢) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي.

عَلِق القلبُ الرَّبابا بعد ما شابَتْ وشابا

فشخص أهلُ الكوفة إلى عثمان ، فأخبروه خبرَه وشهدوا عليه بشربه الخمرَ ، فأُتي به ، فأمر رجلًا بضربه الحدّ ؛ فلما دنا منه قال له : نَشَدْتُك اللهَ وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه ؛ فخاف عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ، فقام اليه فحدّه ؛ فقال له الوليد : نَشَدْتُك بالله وبالقرابة ؛ فقال له عليّ : اسكت أبا وَهب فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ ، فضربه وقال : لَتدعُونّني قريشُ بعد هذا جلّادَها . قال إسحاق : فأخبرني مُصعَب الزُّبيريّ قال : قال الوليد ابن عُقبة بعد ما جُلد : اللهمّ إنهم شهدوا عليّ بزور ، فلا تُرْضهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميراً . فقال الحطيئة يكذِّب عنه :

شهد الحطيئةُ يومَ يلقى ربَّه أنّ الوليـد أحقُّ بالعُذْرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو تركوا عِنانَك لم تَزَل تجري
ورأوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ[1] يُعطي عـلى الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم تَنْزِع إلى طمـعٍ[2] ولا فقرِ[3]

فقال رجل من بني عِجل يردّ على الحطيئة :

نادَى وقد تَمّتْ صَلاتُهمُ أأزيدكم — ثَمِلًا — وما يَدْرِي
ليَزيدكم خـيراً ولو قَبِلوا لقَرنتَ بين الشَّفْع والوترِ
فأبَوْا أبا وَهب ولو فعـلوا وصلتْ صَلاتُهمُ إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن مَيمون طائع عن ابن عائشةَ قال حدّثني أبي قال :

لما أحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر ، حضر

(١) الأنف : الذي يأبى أن يضام .
(٢) ويروى : «طبع » والطبع : الدنس .
(٣) في ديوان الحطيئة : تردد الى عوز ولا فقر

الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون ، فطمعوا أن يأتيَ الوليدَ بعذر ، فقال :

شهد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه أنّ الوليد أحقُّ بالعذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو تركوا عِنانك لم تزل تجري
ورأوا شمائل ماجدٍ أنِفٍ يُعطي على الميسور والعُسرِ
فنُزعتَ مكذوباً عليك ولم تَنزِع إلى طمعٍ ولا فقرِ

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أن قد قام بعذره ؛ فقال رجل من بني عِجل يردّ على الحطيئة :

نادى وقد تَمّتْ صلاتُهمُ أأزيدكم – ثَمِلاً – وما يدري
فأبَوْا أبا وَهبٍ ولو فعلوا وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشرِ

فوَجم القومُ وأطرقوا ، فأمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدّ .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن الفضل مِنْ حفظه قال حدّثنا عمر بن شبّة من حفظه ، ونسخت من كتاب لهارون ابنِ الزيّات بخطه عن عمر بن شبّة ، وروايتُه أتمّ ، فحكيتُ لفظه ، قال :

شهد رجل عند أبي العجّاج ، وكان على البصرة ، على رجل من المُعَيطيّين شهادة ، وكان الرجل الشاهد سكرانَ ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيطيّ : أعزك الله إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر ؛ فقال الشاهد : بلى إني لأحسن ؛ فقال : اقرأ ؛ فقال :

عَلِق القلبُ الرَّبابا بعد ما شابت وشابا

قال : وإنما تماجن بذلك على المُعَيطيّ ، ليَحكي به ما صنع الوليدُ بن عُقبة في مِحراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ ، فأنشد في صلاته هذا الشِّعر ؛ وكان أبو العجّاج مُحمَّقاً فظنّ أن هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ، وَيلكم !

فلم تعلمون ولا تعملون ! . ولقد رُوي أيضاً في الشهادة على الوليد في السُكر غيرُ ما ذُكِر من زيادته في الصلاة .

جلد الوالي :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة قال عرضت على المدائنيّ عن مبارك بن سلّام عن فِطر بن خليفة عن أبي الضُّحى[1] قال :

كان أبو زَينب الأزديّ وأبو مُوَرِّع يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقبة ، فجاءا يوماً فلم يحضُر الصلاة ، فسألا عنه وتلطّفا حتى عِلما أنه يَشرب ، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقِيء ، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتمَه من يده ، فأفاق فافتقد خاتمَه فسأل عنه ؛ فقالوا : لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ؛ فقال : صِفُوهما لي ؛ فقالوا : أحدهما آدمُ[2] طويلٌ حسنُ الوجه ، والآخر عريض مربوع عليه خَميصة[3] ؛ فقال : هذا أبو زينب وأبو مُوَرِّع . ولقي أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيش الأسديّ وعلقمة بن يزيد البكريّ وغيرَهما فأخبراهم ، فقالوا : اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلِموه ؛ فقال بعضهم : لا يَقبل قولنا في أخيه ؛ فشخصوا اليه وقالوا : إنا جئناك في أمرٍ ونحن مُخرِجوه اليك من أعناقنا ، وقد قلنا : إنك لا تقبلُه ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شربها وهذا خاتَمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ ؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره ؛ فقال : أرى أن تُشخِصه ، فإن شهدوا عليه بمحضر منه حددتَه ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه الى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه ، فشهد عليه أبو زينبَ وأبو مُوَرِّع وجُندَب الأسْديّ[4] وسعد بن مالك

(١) هو مسلم بن صبيح الهمداني أحد شيوخ فطر بن خليفة .

(٢) الآدم : الأسمر .

(٣) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٤) الأسد « بإسكان السين » : لغة في الأزد ، يقال في أزد شنوءة : أسد شنوءة .

الأشعريّ، ولم يَشهد[1] عليه إلّا يمانٍ؛ فقال عثمان لعليّ: قم فاضربه؛ فقال عليّ للحسن: قم فاضربه؛ فقال الحسن: ما لك ولهذا! يكفيك غيرُك؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر: قم فاضربه، فضربه بمخصرة[2] فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليٌّ: حَسبُك.

بين عثمان وعائشة:

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائنيّ عن الوَقّاصي[3] عن الزُّهريّ قال: خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلّما غضِب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحتُ لكم لأنكِّلنّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلظة، فقال: أما يجد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقُهم ملجأً إلا بيتَ عائشة! فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: تركتَ سنّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبِ هذه النعل؛ فتسامع الناسُ فجاءوا حتى ملأوا المسجدَ، فمن قائل: أحسنتْ، ومن قائل: ما للنساء ولهذا! حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنِّعال؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان، فقالوا له: اتّق الله ولا تُعطِّل الحدّ، واعزِلْ أخاك عنهم؛ فعزَله عنهم.

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي محمد الناجيّ عن مَطَر الورّاق قال:

قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صلّيتُ الغداةَ خلفَ الوليد ابن عُقبة، فالتفتَ إلينا فقال: أأزيدكم؟ إني أجد اليومَ نشاطاً، وأنا أشمّ منه

(١) يريد أن كل شهوده من اليمن.

(٢) المخصرة: ما اختصره الانسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة او عنزة او عكازة وما أشبهها، وقد يتكأ عليها.

(٣) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو ممن يروون عن الزهري.

رائحة الخمر ، فضرب عثمانُ الرجل ؛ فقال الناس : عُطِّلتِ الحدود وضُربت الشهود .

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثنا أبو بكر الباهليّ عن بعض من حدّثه قال :

لما شُهد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب اليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قوم يَعذِرونه ، فيهم عديّ بن حاتم ، فنزل الوليدُ يوماً يَسوق بهم ، فقال يرتجز :

لا تحسَبَنا قد نَسينا الإيجافْ[1] والنَّشَوات من عَتيق أو صافْ
وعَزْفَ قَينات علينا عُزّافْ

فقال عَديّ : إلى أين تذهب بنا ! أقِمْ ! .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المدائنيّ عن قَيس بن الرَّبيع عن الأجلح عن الشَّعبيّ عن جُندَب قال :

كنت فيمن شهد على الوليد ، فلما استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان ، ثم ذكر باقيَ خبره وضَربَ عليّ عليه السلام إيّاه ، وقولَ الحسن : « ما لَكَ ولهذا ! » ، فزاد فيه : فقال له عليّ : لست إذاً مسلماً ، أو من المسلمين .

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزوميّ قال حدّثنا سَعيد بن محمد المخزوميّ قال حدّثنا ابن عُلَيَّة[2] قال حدّثنا سعيد بن أبي عَروبة عن عبد الله الدّاناج قال سمعت الحُضَين[3] بن المُنذِر أبا ساسانَ يحدِّث ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا

---

(١) الإيجاف : العنق في السير، وهو سير فسيح واسع للابل .

(٢) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وعلية : أمه .

(٣) هو حضين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان صاحب راية عليّ يوم صفين، ولا يعرف حضين بالضاد المعجمة غيره .

عمر بن شَبَّة قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّة قال حدثنا سعيد بن أبي عَروبة قال حدثنا عبد الله الدَّاناج عن حُضَين أبي ساسانَ قال:

لما جيء بالوليد بن عُقبة إلى عثمان بن عَفَّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر، قال لعليّ: دونَك ابنَ عمك فأقِمْ عليه الحدَّ؛ فأمر به فجُلِد أربعين. ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه: فقال عليّ للحسن: بل ضَعُفتَ ووَهَنتَ وعَجَزْتَ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر، فقام فجَلَده وعليّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين، فقال عليّ: أمسِكْ، جلَد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وأتمَّها عمرُ ثمانين، وكلٌّ سُنَّة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال:

لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال: إنك لتضربني اليومَ بشهادة قوم ليَقْتُلُنَّكَ عاماً قابلاً.

ابو زبيد الطائي من ندمائه:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر ابن شَبَّة قال حدّثنا عبدَ الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد، وأخبرني إبراهيم ابن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسلِم، قالوا جميعاً:

كان أبو زُبَيد الطائي نديماً للوليد بن عُقبة أيامَ ولايته الكوفة، فلما شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبيد – واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنها في روايته أتمّ –:

من يرى العيرَ لابن أروى[١] على ظهـ ـر المَرَوْرى حُداتُهن عِجالُ
مُصعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ـبٍ خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلَّل أنّ الدهر فيه النَّكراء والزّلزالُ
ليت شعري كذاكمُ العهدِ أم كا نوا أناساً كمن يزول فزالوا
بعد ما تعلمين يا أمَّ زيدٍ كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمالُ
ووجوهٌ بودّنا[٢] مشرقاتٌ ونَوالٌ إذا أُريد النَّوالُ
أصبح البيتُ قد تبدّل بالحيّ وجوهاً كأنّها الأقتالُ[٣]
كلُّ شيءٍ يَحتال فيه الرجالُ غير أنْ ليس للمنايا احتيالُ
ولَعَمرُ الإلهِ لو كان للسيـ ـف مَصالٌ[٤] أو للّسان مَقالُ
ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الوُدَّ ولا حال دونك الأشغالُ
ولحرّمتُ لَحمَك المُتَعَضَّى[٥] ضَلَّةً[٦] ضَلَّ حِلمُهم ما اغتالوا
قولُهم شُربُك الحرامَ وقد كا ن شرابٌ سوى الحرام حَلالُ
وأبى الظّاهرُ العداوةِ إلّا شَنَآناً وقولَ ما لا يُقالُ
من رجالٍ تَقارضوا مُنكَراتٍ لينالوا الذي أرادوا فنالوا
غيرَ ما طالبينَ ذَحْلاً[٧] ولكن مال دهرٌ على أناس فمالوا
مَن يَخُنْك الصَّفاءَ أو يتبدّلْ أو يَزُلْ مثلَ ما تَزولُ الظِّلالُ

---

(١) ابن أروى هو الوليد بن عقبة وأروى أمه وأم عثمان بن عفان .

(٢) ويروى : « تودّنا » .

(٣) الأقتال : الأعداء ، جمع قتل (بالكسر) . ويطلق أيضاً على الصديق ، فهو من أسماء الأضداد .

(٤) يقال : صال على قرنه يصول اذا وثب عليه واستطال .

(٥) المتعضى : المتقطع والمتفرّق . ويروى : « المتقصى » ، وهو اسم مفعول من تقصى الشيء إذا طلبه وبالغ في البحث عنه .

(٦) ويروى : « حدّة » .

(٧) الذحل : الثأر .

فَاعلَمَنْ أنني أخوك أخو الودّ حياتي حتى تزولَ الجبالُ
ليس بخلًا عليك عندي بمالٍ أبداً ما أقلّ نعلًا قِبالُ[1]
ولك النّصر باللسان وبالكفّ إذا كان لليدين مَصالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

صوت

من يَرى العيرَ لابنِ أروى على ظهر المَرَوْرَى حُداتُهنّ عِجالُ
مُصعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْبٍ خلاء تَحِنّ فيه الشَّمالُ

عروضه من الخفيف. المَرَوْرَى: جمع مَرَوْراة وهي الصحراء. غنّى الدلّال فيه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيرِه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

لما قدِم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ قَدِم عليه أبو زُبيد، فأنزله دارَ عَقيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبطي، فكان مما احتجّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبيد كان يخرج اليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ فيجعله طريقاً.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله[2] عن أبي حَبيب ابن جَبلة عن ابن الأعرابيّ:

أن أبا زُبيد وَفد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة، فأنزله الوليد

(١) أقل الشيء: حمله ورفعه. وقبال النعل: زمامها وهو السير الذي يكون بين الإصبعين. ويروى: «ما أقل سيفاً حمال».

(٢) هو عبيد الله بن محمد اليزيدي.

داراً لعَقيل بن أبي طالب على باب المسجد، فاستوهبها منه فوهبها له، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة؛ لان أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ الى الوليد، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيشُقّ المسجدَ وهو سكران، فذلك نبّههم عليه .

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقبة صَدَقاتِ بني تَغلِب، فبلَغه عنه بيتٌ قاله وهو :

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بمِشْوَذٍ[1] فغَيَّكِ[2] مِنّي تَغلِبَ ابنةَ وائلِ

فعزله .

وكان أبو زُبيد قد استودع بَني كنانةَ بن تَيم بن أسامة بنِ مالك بن بَكر ابن حَبيب بن غَنم بن تَغلب إبلًا فلم يردّوها عليه حين طلبها، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبي زُبيد، فوجد الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبيد، فأخذ له الوليدُ بحقِّه؛ فقال يمدح الوليد :

يا ليت شِعري بأنباءٍ أُنبَّؤها قد كان يَعيا بها صَدْري وتَقديري
عن امرئٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ أفرحْ به ومُرَيٌّ غيرُ مسرورِ

(يعني مُرَيّ بن أوْس بن حارثة بن لَأْم) . وهي طويلة يقول فيها :

إنّ الوليدَ له عندي وحُقّ له وُدُّ الخليلِ ونُصحٌ غيرُ مَذْخورِ
لقد رعاني وأدناني وأظهرَني على الأعادي بنصرٍ غيرِ تَعذيرِ
فشَذَّبَ[3] القومَ عنّي غيرَ مكترثٍ حتى تناهَوْا على رغم وتَصغيرِ
نفسي فداءُ أبي وَهْبٍ وقَلَّ له يا أمَّ عمرٍو فَحُلّي اليومَ أو سيري

---

(١) المشوذ : العمامة .

(٢) يريد غيا لك ما أطوله مني .

(٣) شذب : طرد ودفع .

وفي رواية ابن حبيب : « يا أمّ زيد » يعني : يا أم أبي زُبيد .

إقطاعه أبا زبيد أرضاً :

أخبرني محمد بن العبّاس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال :

كان الوليد بن عُقبة قد استعمل الرّبيع بن مُرَيّ بن أوْس بن حارثة بن لأم الطائيّ على الحمى فيما بين الجزيرة وظَهر الحيرة، فأجدبت الجزيرة، وكان أبو زبيد في تَغلِب، فخرج بهم ليُرعِيَهم؛ فأبى عليه الأوْسيّ وقال : إن شئتَ أن أرعيَك وحدَك فعلتُ وإلّا فلا؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقبة، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشام الى القصور الحُمْر من الحيرة وجعله له حِمًى، وأخذها من الآخر . هكذا روى ابن حبيب . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: كانت الجُنَينة[١] في يد مُرَيّ بن أوْس، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ انتزعها منه ودفعها الى أبي زُبَيد . والقول الاول أصح، وشعْر أبي زُبيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عُقبة يمدحه :

لَعَمْرُ أبيك يابْنَ أبي مُرَيٍّ ... لَغَيرُكَ من أباح لها[٢] الدّيارا
أباح لها أبارِقَ[٣] ذات نَوْر ... تَرَعّى القَفَّ[٤] منها والعَرارا[٥]
بحمد الله ثم فتى قريشٍ ... أبي وهبٍ غدتْ بُطْناً غِزارا[٦]

(١) الجنينة : علم على مواضع كثيرة .

(٢) يروى : « لنا » .

(٣) الأبارق: جمع الأبرق كسر تكسير الأسماء لغلبته . والأبرق : البرقة اذا اتسعت وهي أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتاً كثيراً يكون الى جنبها الروض أحياناً .

(٤) القف : ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه فالإبل ترعاه وتسمن عليه .

(٥) العرار (بالفتح) : نبت أصفر طيب الريح، وقيل : هو بهار السبر، واحدته عرارة . ويروى : « القفارا » . ويناسب هذه الرواية : القف (بضم القاف) : وهو ما غلظ من الارض وارتفع، وقيل : يكون في القف رياض وقيعان .

(٦) غزارا : جمع غزيرة، وهي من الإبل الكثيرة اللبن .

أباح لها ولا يُحمى عليها إذا ما كنتمُ سَنةً جزارا

يريد جزراً من الجدب والشدّة .

فتى طالت يداه الى المعالي وَطحطَحتا[١] المُقطَّعة[٢] القِصارا

وهي أبيات .

قال عمر بن شَبَّة في خبره خاصّة : فلما عُزِل الوليدُ ووَلِيها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده؛ فقال :

ولقد مُتّ غير أنِّيَ حيٌّ يوم بانت بودّها خنساء
من بني عامرٍ لها شِقُّ نفسي قسمةً مثلَ ما يُشقّ الرداء
أُشرِبَت لونَ صُفرةٍ في بياضٍ وهي في ذاك لَدْنَةٌ غَيداء[٣]
كلُّ عينٍ ممّن يراها من النّا س اليها مُديمةٌ حَولاء
فانتهوا إنّ للشدائد أهلاً وذَروا ما تُزيِّن الأهواء
ليتَ شعري وأين مِنّيَ ليتٌ إنّ ليتاً وإنّ لَوّاً عَناء
أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربي حين لاحت للصابح الجَوزاء[٤]
واستظلّ[٥] العُصفور كرهاً مع الضبّ وأوفى في عُوده الحِرباء
ونفى الجُندَبُ الحصا بكُراعَيـه وأذكت نيرانَها المَعزاء[٦]

(١) طحطح الرجل ماله : فرقه .

(٢) المقطعة : الثياب القصار او هي برود عليها وشي .

(٣) اللدنة : الناعمة . والغيداء : المتثنية من النعمة وهي أيضاً الطويلة العنق .

(٤) الشرب (بالكسر) : المورد . والصابح : الذي يصبح إبله الماء أي يسقيها صباحاً . والجوزاء : نجم يقال : إنه يعترض في جوز السماء أي وسطها، وإذا طلعت الجوزاء اشتدّ الحرّ . والعرب تقول : إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء .

(٥) ويروى : «واستكن» .

(٦) الجندب : الجراد الصغير . وكراعا الجندب : رجلاه . والمعزاء : الارض الحزنة الغليظة ذات الحجارة . وقيل : هي الصحراء فيها إشراف وغلظ .

من سَمُوم كأنها حَرُّ نارٍ سَفَعَتْها[1] ظَهيرةٌ غَرّاء
وإذا أهلُ[2] بلدةٍ أنكروني عَرَفَتْني الدَّوِّيَّة[3] المَلْساء
عرفتْ ناقتي الشمائلَ مني فهي إلّا بُغامَها[4] خَرْساء
عرفَتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليلَ[5] للعيون غِطاء

نسبة ما يغنى فيه من هذا الشعر

صوت

أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابح الجَوْزاء
واستكنّ العصفورُ كُرْهاً مع الضـبّ وأوفى في عوده الحِرباء
وإذا الدارُ أهلُها أنكروني عرَفتْني الدَّوِّيَّة المَلْساء
عرفتْ ناقتي الشمائلَ مني فهي إلا بُغامَها خَرْساء
عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء

عروضه من الخفيف. غنّاه ابنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وغنّى داود بن العبّاس الهاشميّ في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

ابو زيد يتشوق للكوفة :

قال ابن حبيب في خبره: وقال أبو زُبيد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة:

---

(١) يريد أنها أثرت فيها بحرارتها.

(٢) ويروى: «وإذا الدار أهلها أنكروني».

(٣) الدوّية: الفلاة، سمّيت بذلك لما يسمع فيها من دويّ.

(٤) بغام الناقة: صوت لا تفصح به، وقيل: إذا قطعت الحنين ولم تمده.

(٥) وفي رواية: «النوم».

لَعَمْري لئن أَمسى الوليدُ ببلدةٍ ... سِواي لقد أَمسيتُ للدهر مُعْوَرَا[١]

قال ابن حبيب : « ويروى سويّ لقد ... » وهي لغة طيّئ .

خلا أنّ رزقَ الله غـادٍ ورائحٌ ... وأنّي له راجٍ وإن سِرتُ أشهرا
وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلِمي ... إذا أنا بالنّكراء هيّجتُ معشرا
إذا صادَفوا دوني الوليدَ كأنما ... يرون بوادي ذي[٢] حَماسٍ مُزَعْفَرَا[٣]
خضيبَ بنـان ما يزال براكبٍ ... يَخُبّ وضاحي جلدِه قد تقشّرا[٤]

وهي طويلة .

بين الوليد وعليّ :

حدّثني إسحاق بن بَنان الأنماطيّ قال حدّثنـا حُبَيش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا ابن أبي ليلى عن الحَكَم[٥] عن سعيد بن جُبَير عن ابن عبّاس قال :

قال الوليد بن عُقبة لعليّ بن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه : أنا أحدُّ منك سِناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأُ للكتيبة طِعاناً ؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه : أسكتْ ! فإنما أنت فاسق ؛ فنزل القرآنُ : (أَفَمَنْ كانَ مُؤمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَستَوُونَ) .

---

(١) المعور : الذي لا حافظ له .

(٢) ذو حماس : موضع تلقاء عرعر ، وقيل : هو مأسدة .

(٣) المزعفر : الأسد الورد ، لأنه ورد اللون ، وقيل : لما عليه من أثر الدم .

(٤) ويروى : « تسيرا » وهو بمعنى تقشر .

(٥) هو الحكم بن عتيبة الكندي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شَيبان(١) عن قَتادة(٢) في قوله تعالى: (إنْ جاءَكم فاسِقٌ بِنَبَإٍ) قال: هذا ابنُ أبي مُعَيط الوليدُ بن عُقبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً، فلما رأوه أقبلوا نحوَه فهابَهم؛ فرَجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجَل؛ فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونَه؛ فلمّا جاءوه أخبروه بأنهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصلاتَهم؛ فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعجِبه، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيم بن حَكيم عن أبي مَرْيَم(٣) عن عليّ:

أنّ امرأة الوليد بن عُقبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تَشتكي الوليدَ وقالت: إنه يضربها؛ فقال لها: «ارجعي وقولي إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أجارني»، فانطلقتْ فمكثتْ ساعةً، ثم رجعتْ فقالت: ما أقلَع عنّي؛ فقطعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدْبَةً من ثوبه ثم قال: «امضي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجارني»؛ فانطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت: يا رسول الله ما زادني إلا ضَرْباً؛ فرفع يديه وقال: «اللهمّ عليكَ الوليدَ» مرّتين أو ثلاثاً.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة، وحدّثني أبو عُبيد الصَّيرفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ قال حدثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أيوب بن عمر قال

(١) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي.

(٣) هو أبو مريم الثقفي.

حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحجّاج عن أبي موسى عبد الله الهَمْدانيّ :

ان الوليد بن عُقبة قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، جعل أهلُ مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رؤوسهم ، فجيء بي اليه وأنا مُخلَّق[1] فلم يَمسَسْني ، وما منعه إلا أن أمّي خلّقتني بخلوق فلم يمسني من أجل الخلوق .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا خلَف بن الوليد قال حدّثنا المُبارك بن فَضالة عن الحسن[2] :

أن الوليد بن عُقبة كان عنده ساحرٌ يُريه كَتيبتين تَقتتلان ، فتحمِل إحداهما على الأخرى فتهزِمها ؛ فقال له الساحر : أيسُرُّك أن أريك هذه المنهزمةَ تغلِب الغالبةَ فتهزمها ؟ قال : نعم ؛ وأُخبِر جُندبٌ بذلك ، فاشتمل على السيفِ ثم جاء فقال : أفرِجوا ، فضربه حتى قتله ، ففزع الناسُ وخرجوا ؛ فقال : يأيها الناس لا عليكم ، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يَفتِنكم في دينكم ؛ فحبسه قليلاً ثم تركه .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِمَشقيّ ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُهريّ[3] :

أنّ رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يَستعلِن بالسِحر ، فقال : أوَ إن السِحر ليُعلَن به في دين محمد ! فقتله ؛ فأُتيَ به الوليدَ بن عُقبة فحبسه ؛ فقال له دينار بن دينار : فيم حُبِستَ ؟ فأخبره فخلّى سبيله ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

(١) المخلق : المطيب بالخلوق، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران .

(٢) هو الحسن البصري .

(٣) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حمّاد بن سلمة قال حدّثنا أبو عِمران الجَونيّ :

أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُندَبٌ ، فذهب الى بيته فاشتمل على سيف ، فلما دخل الساحرُ في جوف البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسْطَ البقرة فقطعها وقطع الساحرَ في البقرة فأنذعر الناسُ ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان السجّان يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حجّاج بن نُصَير قال حدّثنا قُرّة[1] عن محمد بن سِيرينَ قال :

انطلق بجندَبِ بن كعب إلى سِجنٍ خارج من الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصرانيّ ، فلما رأى جندَبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ ، قال النَّصرانيّ : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدقٍ ؛ فوكّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أيّ أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّي ربُّ جُندَب وديني على دين جندب ، وأسلم .

حدّثني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخزّاز[2] عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رُومانَ عن الزُّهريّ وغيره ، قالوا :

لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المُصْطَلِق، نزل رجلٌ

---

(١) هو قرة بن خالد السدوسي .

(٢) هو أحمد بن الحارث الخزاز .

فساق بالقوم ورجز ، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجز ، ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُواسيَ أصحابَه، فنزل لجعل يقول : « جُندَبٌ وما جُندَب والأقطع[1] الخير زيد » ؛ فدنا منه أصحابُه وقالوا : يا رسول الله ما يَنفعنا مَشيُك مخافةَ أن تَلسعك دابّةُ الأرض أو تُصيبَك نكبةٌ ؛ فركب ودَنَوْا منه فقالوا : لقد قلتَ قولًا لا ندري ما هو ؟ قال : « وما ذاك » ؟ : قالوا : قولك « جندب وما جندب والأقطع الخير زيد » ؛ فقال : « رجلان يكونان في هذه الأمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرِّق بين الحق والباطل وتُقطع يدُ الآخر في سبيل الله فيُتبِع الله آخرَ جسده بأوّله » ؛ فكان زيدَ بن صُوحان ، قُطعت يدُه يوم جَلُولاء[2] وقُتل يوم الجمل مع عليّ . وأمّا جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عُقبة وعنده ساحر يكنى أبا شَيبان يأخذ أعيُنَ الناس فيُخرج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتله ، وقال :

إلعَنْ وليداً وأبا شَيبانِ وأبنَ حُبَيش راكبَ الشَّيطانِ
رسولَ فِرعونَ إلى هامانِ

ولاية سعيد بن العاص الكوفة :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنذِر الحِزاميّ قال حدّثني أبن وَهب[3] عن يونس الزُّهريّ قال :

نزع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سعيد بن العاص . قال أبو زيد : فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامع الهُجَيميّ قال :

---

(١) الأقطع : المقطوع اليد .

(٢) جلولاء : اسم لبليدة ونهر عليه عدّة قرى من سواد بغداد ، في طريق خراسان من بغداد . وهناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التي كانت للمسلمين على الفرس ، وبين جلولاء وبين مدينة خانقين سبعة فراسخ .

(٣) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي .

لما أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل يرتجز في طريقه:

وَيْلَ نُسَيَّاتِ العِراق مِنّي كأنني سَمَعْمَعٌ[1] من جِنّ

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائنيّ عن أبي عَلْقمة عن سعيد بن أشوع[2] قال قال عديّ بن حاتم:

قدِم سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال: اغسِلوا هذا المِنبر، فإن الوليد كان رَجساً نَجساً؛ فلم يَصعَدْه حتى غُسِل، عيباً على الوليد. وكان الوليدُ أسنَّ منه وأسخى نفساً وألينَ جانباً وأرضى عندهم، فقال بعضُ شعرائهم:

يا وَيلَنا قد ذهب الوليدُ وجاءنا من بعده سعيدُ
ينقُص في الصاع ولا يَزيدُ

وقال آخر:

فَررتُ من الوليد إلى سَعيدٍ كأهل الحِجر[3] إذ جزعوا فباروا
يَلينا من قريش كلَّ عامٍ أميرٌ مُحدَثٌ أو مستشارُ
لنا نارٌ نُحرّقنا[4] فنخشى وليس لهم فلا يَخشَوْن نارُ

في الكوفة بعد عزله:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المدائنيّ قال:

قدِم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ زائراً للمغيرة بن شُعْبة، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة

---

(١) السمعمع: السريع الخفيف والخبيث اللبق.

(٢) هو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي القاضي.

(٣) الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام.

(٤) ويروى: «نخوفها».

يسلّمون عليه، فقالوا : والله ما رأينا بَعدَك مثلَك؛ فقال : أخيراً أم شرّاً ؟ فقالوا : بل خيراً ؛ قال : ولكنّي والله ما رأيتُ بعدكم شرّاً منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعضَ ما تُثنون به ، فوالله إن بُغضَكم لتَلَف ، وإن حبَّكم لصَلَف .

قال أبو زيد : وذكروا أن قَبيصة بن جابر كان ممن كثَّر[1] على الوليد ؛ فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قبيصة ، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيراً يا أمير المؤمنين ، في أوّلٍ وصل الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألنّ عن الشكر وحُسن الثناء ، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، وإمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذ في غير هذا يا أمير المؤمنين، فإن الحديثَ يُنسي القديم ؛ قال : ولِمَ ؟ فوالله لقد أحسن السّيرةَ وبَسَط الخيرَ وكفّ الشرّ ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل : اسكُت لا سَكَتّ ، فسكتَ وسكتَ القومُ ؛ فقال له : ما لك لا تتحدّث ؟ قال : نهيتني عما كنتُ أحبّ فسكتُّ عما أكره .

قبران في موضع :

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائنيّ قال :

مات الوليد بن عُقبة فُويق الرّقة ، ومات أبو زُبيد ، فدُفنا جميعاً في موضع واحد . فقال في ذلك أشجع السُّلَميّ وقد مرّ بقبريهما :

مررتُ على عظامِ أبي زُبَيدٍ ... وقد لاحتْ ببَلْقعةٍ صَلودِ[2]
وكان له الوليدُ نديمَ صِدقٍ ... فنادَمَ قبرُه قبرَ الوليدِ
وما أدري بمن تَبدا المنايا ... بأحمدَ أو بأشجعَ أو يزيدِ

(١) أي أكثر القول في عيبه والتشنيع عليه .

(٢) البلقع والبلقعة : الارض القفر . والصلود من الارض : الغليظة الصلبة التي لا تنبت شيئاً .

غزوه الروم :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال :

خرج الوليد بن عُقبة غازياً للروم وعلى مقدّمته عُتبة بن فَرْقد ، فلَقِيه الروم فقاتلوه ؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ : لستُ على دينكم ولكنّي أنصحكم للنَّسب ، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار ، فإن رأَوْكم ضعفاء أفنَوْكم وإن صبرتم هرَبوا وتركوكم ؛ فقال سَلمان بن ربيعة : يا معشرَ المسلمين ، ما عذركم عند الله غداً إن أُصيب عُتبةُ بن فَرْقد وأصحابُــه ولم يُغنهم أحدٌ منكم ! فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجنُبونَ[1] الخيلَ ، فلَحِقوا عُتبةَ وأصحابَه ، فقاتلوا معهم قتالًا شديداً حتى هزم الله الرومَ . فقال الوليد بن عُقبة :

أتاني من الفَجِّ[2] الذي كنتُ آمناً ... بقيّةُ شُذّاذٍ[3] من الخيــلِ ظُلَّعِ[4]
عليها العبيدُ يضربون جُنوبَهـا ... ونازَلَ منّا كلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَعِ[5]
فإنّي زعيمٌ أن تَصيــحَ نساؤهم ... صياحَ دَجاجِ القريةِ المتوزّعِ[6]

الحطيئة يمدحه :

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك ، وكان قد وصله وكان الوليد جَواداً :

أرى[7] لابنِ أروَى خَلّتين اصطفاهما ... قِتالٌ إذا يَلقى العــدوَّ ونائلٌ

---

(١) جنب الدابة : قادها الى جنبه .

(٢) الفج : الطريق الواسع بين جبلين وهو أوسع من الشعب .

(٣) الشذاذ : القلال والمتفرّقون .

(٤) ظلع : جمع ظالع وهو الذي في مشيته غمز يشبه العرج .

(٥) الخرق من الفتيان : الظريف في سماحـــة ونجدة . والسميذع : السيد الكريم الموطأ الاكناف .

(٦) المتوزع : المتفرق .

(٧) أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان بن عفان .

فتى يملأ الشيزى[1] ويروى بكفه ... سنان الرديني الأصم وعامله[2]
يؤم العدو حيث كان بجحفل ... يصم السميع جرسه وصواهله
إذا حان منه منزل الليل أوقدت ... لأخراه في أعلى اليفاع[3] أوائله
نفيت[4] الجعاد[5] البيض عن حر دارهم ... فلم يبق إلا حية أنت قاتله

فقال الحليس بن نعيم النهدي يكذب الحطيئة :

وأبلغ أبا وهب إذا ما لقيته ... فقد حاربتك الروم فيمن تحارب
وفي الأرض حيات وأسد كثيرة ... عدو ولكن الحطيئة كاذب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن أبي مخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال :

لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ كل ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عقبة :

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

ويروى :

ولا تهبوه لا تحل مواهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند علي سيفه ونجائبه

---

(١) الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع، ويطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان : شيزى .

(٢) الرديني : الرمح نسبة الى ردينة، وهي امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فاذا غاب باعت ردينة مكانه، وكانا يثقفان الرماح، فالردينية منسوبة الى ردينة، والسمهرية منسوبة الى سمهر . وعامل الرمح : صدره .

(٣) اليفاع كسحاب : التل .

(٤) ورواية البيت في ديوانه : نفيت الجعاد الغر من عقر دارهم

(٥) الجعاد : جمع جعد، يقال : رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب، ويقال : الجعد : البخيل والكريم أيضاً فهو من أسماء الأضداد، ويريد بالجعاد البيض : الروم .

قتلتم أخي كيا تكونوا مكانه   كما فعلتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ

هكذا في الخبر :

ولا تهوه لا تحِلّ مواهبه

أخبرني الطُّوسيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني عبد الله بن إسحاق الجعفَريّ :

أن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط لقي بِجاداً مولى عثمان، فأخبره أنّ عثمان قد قُتل؛ فقال :

ليت أنّي هَلكتُ قبلَ حديثٍ   سَلَّ جسمي وريعَ منه فؤادي
يوم لاقيتُ بالبَلاط[1] بِجاداً   ليت أنّي هلكت قبل بِجادِ

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخر مكانَه وغُنّيَ فيه، وهو :

صوت

طال ليلي وملّني عُوّادي   وتَجافى عن الضلوع مِهادي
من حديثٍ نُمِي إليّ فما يَرْ   قأ دمعي ولا أُحِسّ رُقادي
يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً   ليت أنّي هلكتُ قبل بِجادِ
وبنفسي التي أُحِبّ وأهلي   وبمالي وطارفي وتِلادي
قلتُ لا تَغضَبي فذلك قولي   بلساني وما يُجِنُّ فؤادي

غنّى فيه ابن عَبّاد ثانيَ ثقيل مُطلَق في مجرى البنصر في الاول والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن مُحرِز، ومن الناس من يَنسُبه الى ابن سُرَيج في هذه الطريقة في الاول والثاني، وذكر ابن المكّيّ أنه للغريض ثاني

(١) البلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وبين سوق المدينة .

ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، ووافقه يونس. وذكر أنّ في هذا الشعر لابن سُرَيج والغريض لَحنين في الخمسة الأبيات. وذكر حَبَش أنّ فيها لمَعْبد ثقيلاً أول بالوُسطى، ولعبد الله بن العباس الرَّبيعيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وللغريض خفيف رمل بالوسطى، ولسُلَيم ثقيلٌ أول بالوسطى. وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه رَمَلاً لابن جامِع في البيت الاول وحده، وأنّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه.

التطير بشعر الوليد:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال:

أرسل إليّ محمد بن زُبَيد في ليلةٍ من ليالي الصيف مُقمِرة: يا عمّ إنّ الحرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنتْ، فصِرْ إليّ، فإنّي اليك مشتاقٌ؛ فجئتُه وقد بُسِط له على سطح زُبيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ(١) وقَلَنسوَةٌ طويلة، وجواريه بين يديه، وضَعفُ جاريتُه عنده، فقال لها: غنّيني فقد سُرِرتُ بعمومتي؛ فاندفعتْ تغنّيه:

هُمُ قَتلوه كي يكونوا مكانَهُ ... كما فعلَتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا ... وعند أخيه سيفُه ونجائبُهْ

هكذا غنّت؛ وإنما هو:

وعند عليّ سيفُه ونجائبُهْ

فغضِب وتطيّر وقال لها: ما قِصّتك وَيحك! إنتَبِهي وأنتهي وغنّيني ما يسُرّني! فاندفعتْ وغنّت:

---

(١) روذباري: نسبة الى روذبار وهو اسم يطلق على مواضع كثيرة في أصبهان وبغداد وغيرهما.

هذا مَقامُ مُطرَّدٍ هُدمتْ منازلُه ودورُهْ

فأزداد تطيُّراً، ثم قال لها: وَيحكِ! إنتهي، غنّيني غير هذا؛ فغنّت:

كُلَيبٌ لَعَمري كان أكثرَ ناصراً وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ

فقال لها: قومي الى لعنة الله! فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لحبّه إيّاه سمّاه بأسمه محمداً، فأصابه طَرَفُ ذيلها فسقط على بعض الصواني فأنكسر وتفتّت؛ فأقبل عليّ وقال: أرى والله يا عمّ أن هذا آخرُ أيامنا؛ فقلت: كلا! بل يُبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك؛ قال: ودِجلةُ والله يا بنيّ هادئة ما فيها صوتُ مجداف ولا أحدٌ يتحرك وهي كالطَّست هادئة، فسمِعتُ هاتفاً يهتف: «قُضِيَ الأمرُ الذي فيهِ تَستفتِيانِ». قال: فقال لي: أسمعتَ ما سمعتُ يا عمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ — وقد والله سمعتُه — فقال: الصوتُ الذي جاء الساعةَ من دِجلة؛ فقلتُ: ما سمعتُ شيئاً، وما هذا إلّا توهُّم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيانِ». فقال: أنصرفْ يا عمّ بيّتك الله بخير، فمحالٌ ألّا تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ؛ فأنصرفتُ، وكان آخرَ العهدِ به.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ واللفظ له، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: وحدّثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مُطرِّف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال:

وفَد الوليدُ بن عُقبة، وكان جَواداً، على معاوية؛ فقيل له: هذا الوليد بن عُقبة بالباب؛ فقال: والله لَيَرجِعَنّ مُعطِياً غيرَ مُعطًى، فإنه الآن قد أتانا يقول: عليّ دَين وعليّ كذا وكذا؛ يا غلام ائذَن له، فأذِنَ له؛ فسأله وتحدّث معه، ثم قال: أمَا والله إن كنّا لَنُحِبّ إيثارَ مالك بالوادي وقد أعجب أميرَ المؤمنين، فإن رأيت أن تَهَبه ليزيد فعلت؛ فقال الوليد: هو ليَزيدَ، ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية أياماً، فقال له يوماً: أُنظر يا أمير المؤمنين في شأني، فإنّ عليّ مؤونةً وقد أرهقني

دَين؛ فقال له معاوية : أَلا تستحي لحَسَبك ونَسَبك ! تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تَنفكّ تشكو دَيناً ! فقال له الوليد : أفعل، ثم انطلق مكانَه[1] فصار الى الجزيرة، فقال :

فإذا سُئلتَ تقول لا وإذا سألتَ تقول هاتِ
تأبى فِعالَ الخيرِ لا تُروِي وأنت على الفُراتِ
أفلا تَميـل الى نَعَمْ أو تَرْكِ لا حتى المماتِ

قال : فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ، فخافه وكتب اليه : أن أقبِلْ إليّ ؛ فكتب إليه :

أَعِفُّ وأستحيي[2] كما قـد أمرتني فأعطِ سوايَ ما بدا لك وأبخلِ
سأحدُو ركابي عنك إنّ عزيمتي إذا نابني أمر كسَلّة مُنصُلِ[3]
وإني امرؤ للرأي مني تطرّفٌ وليس شَبا قُفلٍ عليّ بمُقفَلِ

ورحل الى الحجاز، فبعث اليه معاوية بجائزة .

انقضت أخبار الوليد بن عقبة

صوت

من المائة المختارة

ربمـا نبّهني الإخـوانُ والليـلُ بَهيمُ
حـين غارت وتدلّتْ في مَهاويهـا النجومُ
ونُعاسُ الليـل في عيـنيّ كالثاوي مُقيمُ

(١) يريد أنه انطلق من فوره .
(٢) ويروى : « وأستغني » .
(٣) المنصل (بضمتين وكمكرم) : السيف .

لِلَّتي تُعصَر لمّا أينعتْ منها الكُرومُ
أنا بالرَّيِّ مقيمٌ في قُرى الرَّيِّ أهيمُ
ما أراني عن قُرى الرَّيِّ مَدى دهري أريمُ

الشعرُ والغناء لإبراهيم الموصليّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنه لابنه إسحاقَ . وفيه لأحمد بن يحيي المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد ابن عُبَيد .

نسب ابراهيم الموصلي وأخباره

هو – فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني به عبدُ الله بن الرَّبيع عن وَسواسة، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه – إبراهيمُ بن ميمون أو ابن ماهان بن بَهمَن ابن نسك، وكان سبب نسبه الى ميمون أنه كتب الى صديق له فعَنْوَن كتابَه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة: أمَا تستحي من هذا الاسم! فقال: هو اسم أبي؛ فقال: غيّره؛ فقال: وكيف أغيّره! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فبقي إبراهيمَ بنَ ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: وأصلُنا من فارس، ولنا بيت شريف في العجم، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمّال بني أميّة، فنزل بالكوفة في بني عبد الله ابن دارم، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدِ نَضلَة بن نُعَيم رَضاع. وأمُّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدَّهاقِين[١] الذين هرَبوا من فارسَ لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فتزوّجها ماهانُ بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات في الطاعون[٢] الجارف، وخلّف إبراهيمَ طفلًا. وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس

(١) الدهاقين: جمع دهقان، وهو زعيم فلاحي العجم، وقيل: رئيس الاقليم.

(٢) المعروف في كتب التاريخ أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة في سنة تسع وستين هجرية، وهو سابع طاعون في الاسلام، فإن الاول كان على عهد النبي، والثاني طاعون عمواس في عهد عمر، والثالث بالكوفة في زمن أبي موسى الاشعري، والرابع بالكوفة أيضاً في زمن المغيرة بن شعبة، والخامس الطاعون الذي مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر في سنة ست وستين، ثم الطاعون الجارف في سنة تسع وستين، والطاعون الثامن بالشام في سنة تسع وسبعين، ثم الطاعون التاسع وهو طاعون الفتيات في سنة ست وثمانين، وسمي بذلك لانه بدأ في النساء وكان بالشام وواسط والبصرة، ثم طاعون غراب بالشام في سنة سبع وعشرين ومائة. ولعل المؤلف يريد بالجارف وصف طاعون وقع بالكوفة بعد سنة خمس وعشرين ومائة (التي ولد فيها ابراهيم الموصلي) بسنتين أو ثلاث.

وعشرين ومائة بالكوفة ، وتوفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، وله ثلاثٌ وستون سنة .

يتمه :

قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وَسوَاسة في خبره : ومات ماهان وخلّف إبراهيم طفلاً ، فكفَله آل خُزَيمة بن خازم .

وقال يحيى بن عليّ في خبره : إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث ، وخلّف معه أخوين له من غير أمّه أكبرَ منه ، فأقام إبراهيم مع أمّه وأخواله حتى تَرَعرع ، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم في الكُتّاب[1] ، فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تَميم . وسأله الرشيدُ فقال : ما السببُ بينك وبين بني تَميم ؟ فاقتصّ عليه قِصّتَه ، وقال : ربّونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا ، ونشأتُ فيهم وكا بيننا رَضاعٌ ، فتولّونا بهذا السبب ؛ فقال له الرشيد : وَيحك ! فما أراكَ إذاً إلّا مولاي ؛ فقال : فهذه والله قصّتي يا أمير المؤمنين .

سبب نسبته الى الموصل :

قال يحيى بن عليّ في خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصليّ أنه لما نشأ وآشتدّ وأدركَ ، صَحِبَ الفتيانَ وآشتهى الغناءَ فطلبه ، وآشتدّ أخوالُه عليه في ذلك وبلغوا[2] منه ، فهرَبَ منهم إلى المَوْصل ، فأقام بها نحواً من سنة ، فلما رجع الى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحباً بالفتى المَوْصليّ ، فلُقِّب به . وقال أحمدُ في خبره : إن سبب طلبه الغناءَ أنه خرج إلى الموصل ، فصَحِبَ جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون[3]

---

(١) المكتب : موضع التعليم . والكتاب : الصبيان .

(٢) أي استقصوا في إيذائه وتعنيفه .

(٣) يقصفون : يرقصون ويلعبون .

ويشربون ويغنّون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشدا ، فكان أطيبهم وأحذقهم، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه آشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر آبنُ خُرْداذْبه — وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كتبَه — أن سبب نسبته الى الموصل أنه كان إذا سكِر، كثيراً ما يغنّي على سبيل الوَلَع :

أناجت من طرق مَوْصل أحمـل قلل خَمريا[1]
من شارب الملوك فـلا بـدّ من سُكريا

وما سمعتُ بهذه الحكاية إلا عنه ؛ وإنما ذكرتُها على غثاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نِسبة إبراهيم الى الموصـل ، فذكرتُه دالّا على عَواره .

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ وآبنُ أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أسلِم أبي الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئاً، ولا يزال يُضرب ويُحبَس ولا يَنجع ذلك فيه ، فهرب الى الموصل وهناك تعلّم الغناء، ثم صار الى الرّي وتعلّم بها أيضاً ، ومَهر وتزوّج هناك آمرأته دُوشار — وتفسير هذا الإسم أسدان[2] — وطال مُقامه هناك ، وأخذ الغناء الفارسيّ والعربيّ ، وتزوّج بها أيضاً شاهَك أمّ إسحاقَ آبنِه وسائرِ ولده . قال : وفي دوشار هذه يقول إبراهيمُ ، وله فيه غِناء من الهَزَج :

دُوشارُ يا سيّـدتي يا غايـتي ومُنيتي
ويا سروري من جميـــع الناس رُدّي سِنَتي

قال إسحاق وحدّثني أبي قال : أوّلُ شيء أُعطيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرّي أنادم أهلَها بالسَّويّة لا أرْزَؤهم شيئاً ، ولا أُنفقُ إلا من بقيّـة مال كان معي

(١) لعل هذا الشعر من لغة العامة في ذلك العهد كالاغاني التي يتغنى بها العامة الآن .

(٢) الأسد بالفارسية : « شير » . ولعل « شار » لغة أو لهجة في هذه اللفظة . و « دو » بمعنى اثنين .

انصرفتُ به من الموصل؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ، فشُغِف بي وخلع عليّ دُوّاجَ سَمُّور[1]، له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وَصله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيام، ووَهب لي نصف الكُسوة التي معه وألفيْ درهم، فكان ذلك أوّلَ ما اكتسبتُه بالغناء، فقلتُ: والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادَتْنيها، ووُصف لي رجل بالأُبُلَّة[2] يقال له جُوانُويَه كان حاذقاً، فخرجتُ اليه وصحِبتُ فتيانها، فأخذتُ عنهم وغنّيتهم فشُغِفوا بي.

اتصاله بالمهدي:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال:

لما أتيتُ جُوانُويَه لم أصادفه في منزله، فانتظرتُه حتى جاء، فلما رآني احتشَمني وكان مَجوسياً، فأخبرتُه بصناعتي والحالِ التي قصدتُه فيها؛ فرحّب بي وأفرد لي جَناحاً في داره، ووكّل بي أختَه، فقدّمتْ إليّ ما أحتاج اليه؛ فلما كان العَشيُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرس ممن يُغنّي، فنزلتُ اليه، فجلسنا في مجلس قد صُفِّي لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَياحينُ، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنّوا، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً؛ وبلَغَتِ النَّوْبةُ إليّ، فضربتُ وغنّيتُ، فقاموا كلُّهم إليّ وقبّلوا رأسي، وقالوا: سَخِرتَ منّا، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك الينا؛ فأقمتُ على تلك الحال أياماً، حتى بلغ محمدَ بن سليمان بن عليّ خبري، فوجّه إليّ فأحضرني وأمرني بملازمته؛ فقلتُ له: أيها الأمير، إني

---

(١) دوّاج سمور: ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور وهي فراء ثمينة تتخذ للينها وخفتها وإدفائها وحسنها.

(٢) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لان البصرة مصرت في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذٍ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد.

لستُ أتكسّب بالغناء وإنما ألتذّه فلذلك تعلّمتُه، وأريد العَوْدَ إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته، وسألني: من أين أنا؟ فانتسبتُ إلى الموصل، فلزمتني وعُرفتُ بها؛ ولم أزل عنده أثيراً مكرّماً حتى قدِم عليه خادمٌ من خدم المهديّ، فلما رآني عنده قال له: أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك، فدافعه عنّي؛ فلما قدِم الرسولُ على المهديّ سأله عمّا رأى في طريقه ومَقصِده، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصفني له؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمد وإشخاصي اليه، ففعل ذلك وجاء فأشخصني إلى المهديّ، فحظيتُ عنده وقدّمني.

أوّل هاشميّ صحبه وأوّل خليفة سمعه:

قال وَسواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال:

كان أوّل هاشميّ صحبته عليّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمد، وكان فتاهم ظَرفاً ولهواً وسماحةً، ووصفَني له جُوانُويَه ومضى بي اليه، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقع. وأوّل خليفة سمعني المهديّ، وُصفتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان، وما سمع قبلي من المغنّين أحداً سوى فُلَيح بن أبي العَوراء وسِياط، فإن الفضل بن الرَّبيع وصلهما به.

صحبته لابني الخليفة:

قال إسحاقُ: فحدّثني أبي قال: كان المهديّ لا يشرب فأرادني على مُلازمته وترك الشرب فأبيتُ عليه، وكنتُ أغيبُ عنه الأيامَ، فإذا جئتُه جئتُه مُنتشياً، فغاظَه ذلك منّي فضرَبني وحبسني، فحذقتُ الكتابةَ والقراءةَ في الحبس، ثم دعاني يوماً فعاتَبني على شربي في منازل الناس والتَّبذُّل معهم؛ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتي وعِشرتي لإخواني، ولو أمكنني تركُها لتركتُها وجميع ما أنا فيه لله جلّ وعزّ؛ فغضب غضباً شديداً وقال: لا تدخل على موسى وهارون ألبتّةَ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ؛ فقلتُ: نعم؛ ثم

بلغه أني دخلتُ عليهما وشربتُ معهما ، وكانا مُستهترَين بالنبيذ ، فضربني ثلثمائة سوط وقيّدني وحبسني .

قال أحمد بن إسماعيل في خبره قال عمي إسحاق فحدّثني أبي :

أنه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبانُ الخادمُ ، فسعى بهما وبي إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ، فأمر بي فجُرّدتُ فضربت ثلثمائة وستين سوطاً ؛ فقلتُ له وهو يضربني : إن جُرمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سَفكُ دمي ، والله لو كان سرّ ابنيك تحت قدميّ ما رفعتُها عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبانَ السّاعي العبدِ ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضربني بالسيف في جَفنه[1] فشجّني به ، وسقطتُ مغشيّاً عليّ ساعةً ، ثم فتحتُ عينيّ فوقعتا على عينَيِ المهديّ ، فرأيتُهما عينَيْ نادمٍ ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خُذه اليك . قال : وقبل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوط من يد سلّام الأبرش فضربني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سلّام عافيةً ، ثم أخرجني عبدُ الله إلى دار وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ وخضراءَ وحمراءَ من حرّ السّوط ، وأمره أن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيّرني فيه ؛ فدعا عبدُ الله بكبشٍ فذُبح وسُلخ وألبسني جلدَه ليسكن الضربُ ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سَعيد التركيّ فصيّرني في ذلك القبر ، ووكّل بي جاريةً له يقال لها جَشّة ؛ فتأذّيتُ ببَقّ كان في ذلك القبر وبالبقّ ، وكان فيه حَليّ[2] أستريح اليه ، فقلتُ لجشّة : اطلبي لي آجُرّةً عليها فحم وكُندُر[3] يذهب عنّي هذا البقّ ، فأتتني بذلك ، فلما دخّنتُ أظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرج من الغمّ ، فاسترحتُ من أذاه إلى النزّ فألصقتُ به أنفي حتى خفّ الدُّخان ، فلما ظننتُ أني قد استرحتُ ممّا كنتُ فيه ، إذا حيّتان مُقبلتان نحوي من شقّ القبر تدُوران حولي بحفيفٍ شديدٍ ، فهممتُ أن آخذ واحدةً

(١) جفن السيف : غمده .

(٢) الحليّ : يبيس ضرب من الكلأ يسمى النصيّ .

(٣) الكندر : اللبان الذكر .

بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى فإماً عليّ وإماً لي، ثم كُفِيتُها، فدخلتا من الثّقب الذي خرجتا منه ، فكنتُ في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرِجتُ منه ؛ ووجّهتُ إلى أبي عثمان الخادمِ أسأله أن يبيعني جشّةَ لأكافئها عمّا أولتني ففعل ، فزوّجتُها من حاجبٍ لي، ولم تزل عندنا. قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتتْ ، وبقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة ، فزوّجتُها من مولًى لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ في الحبس وأنا مقيَّد :

ألا طال ليلي أراعي النجوم أعالج في السّاق كبلًا ثقيلَا
بدارِ الهوانِ وشرّ الديار أسامُ بها الخسفَ صبراً جميلَا
كثيرَ الأخلّاء عند الرّخاء فلمّا حُبستُ أراهم قليلَا
لطول بلائيَ ملّ الصديقُ فلا يأمَننّ خليلٌ خليلَا

قال : ثم أخرجني المهديّ وأحلفني بالطّلاق والعِتاق وكلّ يمين لا فُسحة لي فيها ألّا أدخلَ على ابنيه موسى وهارون أبداً ولا أغنّيهما ، وخلّى سبيلي .

تلحين في السجن :

قال : وصنعتُ في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية لمّا حبسه المهديّ بسبب عُتبة ، وهو :

صوت

أيا ويحَ قلبي من نجيّ البلابلِ ويا ويحَ ساقي من قروح السّلاسلِ
ويا ويحَ نفسي ويحها ثم ويحها ألمْ تنجُ يوماً من شِباك الحبائلِ
ويا ويحَ عيني قد أضرّ بها البُكا فلم يُغنِ عنها طِبٌّ ما في المكاحلِ
ذريني أعلّلْ نفسيَ اليوم إنّها رهينةُ رمْسٍ في ثرًى وجنادلِ

ذَريني أُعَلِّلْ بالشَّراب فقد أرى بقيَّةَ عيشي هذه غيرَ طائلِ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر حمّاد أنه لجدّه إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأُوَل ، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

قال حمّاد : فلما وليَ موسى الهادي الخلافةَ أستتر جَدّي منه ولم يَظهر له بسبب الأيمان التي حلّفه بها المهديّ ، فكانت منازلنا تُكبَس في كل وقت وأهلنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوا به اليه ، فلما عاينه قال : يا سيّدي ، فارقتُ أمَّ ولدي وأعزَّ خلق الله عليّ ، ثم غنّاه لحنَه في شعره :

صوت

يابنَ خيرِ الملوك لا تترُكنّي غرَضاً للعدوّ يرمي حِيالي
فلقد في هواك فارقتُ أهلي ثم عرّضتُ مهجتي للزوالِ
ولقد عِفتُ في هواك حياتي وتغرّبتُ بين أهلي ومالي

الشعرُ والغناء لإبراهيم خفيفُ رمَلٍ بالوسطى . قال إسحاق : فموّله(١) والله الهادي وخوّله ، وبحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائةَ وخمسين الفَ دينار ، ولو عاش لنا لبنينا حيطانَ دُورنا بالذهب والفضة .

ما وصل اليه من الأموال :

قال حمّاد قال لي أبي : نظرتُ إلى ما صار الى جدّك من الأموال والغلّات وثمن ما باع من جواريه ، فوجدتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية ، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر ، وسوى غَلّات ضِياعه ، وسوى

(١) موّله وخوّله : أعطاه مالا وخولا .

الصِّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها؛ ولا والله ما رأيتُ أكملَ مروءةً منه، كان له طعامٌ مُعَدّ في كل وقت؛ فقلت لأبي: أكان يمكنه ذلك؟ فقال: كان له في كل يوم ثلاثُ شِياه: واحدةٌ مقطَّعةٌ في القدور، وأخرى مسلوخةٌ ومعلّقة، وأخرى حيَّة، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا ما في القدور، فإذا فرغت قُطّعت الشاة المعلّقة ونُصبت القدور وذُبحت الحيَّة فعلّقت وأُتيَ بأخرى فجعلت وهي حيَّة في المطبخ؛ وكانت وظيفته لطعامه وطِيبه وما يُتَّخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجري وسوى كُسوته؛ ولقد اتفق عندنا مرّةً من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهنّ واحدة إلا ويُجري عليها من الطعام والكُسوة والطيب مثلَ ما يُجري لأخصّ جواريه، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وَصلها وكساها، ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدَّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها.

محاطّة في ثمن بينه وبين الرشيد:

أخبرني محمد بن خَلَف وكيعٌ ويحيى بن علي بن يحيى وابن المَرْزُبان قالوا أخبرنا حمّاد بن إسحاق قال:

كان أبي يحدّث أن الرشيد اشترى من جَدّي جاريةً بستة وثلاثين ألفَ دينار، فأقامت عنده ليلةً، ثم أرسل الى الفضلِ بن الربيع: إنّا اشترينا هذه الجاريةَ من إبراهيم، ونحن نحسب أنها من بابَتنا[1] وليست كما ظننّاها، وما قربتُها، وقد ثقُل عليّ الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما، فاذهب اليه فسَلْه أن يَحُطَّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار؛ قال: فصار الفضلُ اليه فاستأذن عليه فخرج جدّي فتلقّاه؛ فقال: دَعْني من هذه الكرامة التي لا مُؤْنة بيننا فيها، لستُ ممن يُخدع، وقد جئتُك في أمرٍ أصدُقُك عنه، ثم أخبره الخبرَ كلّه؛ فقال له إبراهيم: إنه أراد أن يبلوَ قَدْرَك عندي؛ قال: ذاك أراد! قال: فمالي كلّه صدقةٌ في المساكين إن لم

---

(١) البابة: الوجه والطريق، ويقال: هذا شيء من بابتك، أي يصلح لك.

أضعفه لك ، قد حطَطْتُك اثني عشر ألف دينـــار ؛ فرجع الفضلُ اليه بالخبر ؛ فقال : وَيلك ! ادفع إلى هذا ماله ، فما رأيتُ سُوقةً قطُّ أنبلَ نفساً منه . قال أبي : وكنتُ قد أتيتُ جدَّك فقلتُ : ما كان لحطيطةِ هذا المال معنًى وما هو بقليل ، فتغافل عنّي وقال : أنتَ أحمقُ ، أنا أعرَفُ الناس به ، والله لو أخذتُ المالَ منه كَملًا[1] ما أخذْتُه إلا وهو كاره ، ويحقد ذلك عليَّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القدْر ، وقد مننْتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قدري عنده ، وإنما اشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم ، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حُمل المالُ اليه بلا حَطيطة دعاني فقال لي : كيف رأيتَ يا إسحاقُ ! مَن البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلتُ : بل أنت جعلني الله فداءك .

حدّثني وكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال :

لَقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الرّبيع ، وكانا متجاورَين في الشّماسيّة[2] ، فقال : من أين يا أبا إسحاق ؟ أمن عند الفضل بن الرّبيع ؟ قلت : نعم ، غيرَ معتذرٍ من ذلك ؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع الى الفضل ابن يحيى ! هذان والله أمران لا يجتمعان لك ! فقال : والله لئن لم يكن فيَّ ما يتّسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعاً واحداً مـا فيَّ خيرٌ ، والله لا أترك واحداً منكما لصاحبه ، فمن قَبِلني على هذا قَبِلني ، ومن لم يقبلني فهو أعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أنت عندي غير متّهم ، والأمر كما قلت ، وقد قبِلتُك على ذلك .

---

(١) كَملًا أي كاملا وافيا . قال الليث : هكذا يتكلم به في الجمع والوحدان سواء لا يثنى ولا يجمع وليس بمصدر ولا نعت وإنما هو كقولك : أعطيته المال كله .

(٢) الشماسية : محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد واليها ينسب باب الشماسية . وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه .

من السجن الى مجلس الخليفة :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال حدّثني أبي :

أن الرشيد غضب عليه وقيده وحبسه بالرَّقّة[١]، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال : نعم، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصليِّ عنه ؛ فأمر بإحضاري فأُحضِرتُ في قيودي، ففُكّتْ عنّي بين يديه، وأمرهم فناولوني عُوداً وقال : غنّني يا إبراهيم ؛ فغنّيته :

تَضَوَّعَ مِسكاً بطنُ نَعمانَ[٢] أنْ مشتْ ... بـه زينبٌ في نِسوةٍ خَفِراتِ[٣]

فاستعاده وشرب وطرِب، وقال : هنأتني يومي وسأهنئك بالصِّلة، وقد وهبتُ لك الهَنِيء والمَرِيء[٤] ؛ فانصرفتُ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتي ألف درهم .

نسبة هذا الصوت

صوت

تَضَوَّعَ مِسكاً بطنُ نَعمانَ أنْ مشتْ ... به زينبٌ في نِســوةٍ خَفِراتِ

مَرَرْنَ بفَخٍّ[٥] رائحـاتٍ عَشِيَّةً ... يُلَبِّين للرّحمـن مُعتمِراتِ

(١) الرقة : مدينة على الجانب الشرقي من الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام .

(٢) بطن نعمان : واد بين مكة والطائف كثير الأراك .

(٣) ويروى : « عطرات » .

(٤) يريد أنه أقطعه ضيعتها، والهنيء والمريء كما في ياقوت: نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيها مدينة « واسط الرقة » .

(٥) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يُخَمِّرن(١) أطرافَ البَنان من التُّقى ... ويَقتُلْنَ بالألحاظ مُقتَدِراتِ(٢)
ولما رأت رَكبَ النُّمَيْرِي أعرضتْ ... وكُنَّ مِنَ أن يَلقَيْنَه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْرِي(٣) الثَّقَفِيِّ . والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المكيّ وعمرو بن بانة . وذكر حبشٌ أن فيه لعَزَّةَ المَيلاء لحناً من الثقيل الاول .

أخبرني محمد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال، وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال :

رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشَّمَّاسيَّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدان(٤) وهو يتمثّل :

صوت

هَوًى بِتِهامةٍ وهوًى بنجدٍ ... فأبلتْني(٥) التَّهائِمُ والنُّجودُ

قال أبي : فزِدتُه عليه :

أُقيم بذا وأذكُر عهدَ هذا ... فَلِي ما بين ذَيْنِ هوًى جديدُ

(١) يخمرن : يغطين .
(٢) روى المبرد هذا البيت في الكامل هكذا :

يخبئن أطراف البنان من التقى ... ويخرجن شطر الليل معتجرات

ومعتجرات : مختمرات بالمعاجر، والمعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها .
(٣) هو محمد بن عبد الله بن نمير، شاعر غزل، من شعراء الدولة الأموية، مولده ومنشؤه بالطائف .
(٤) البردان : قرية من قرى بغداد عامرة وهي على شاطئ دجلة الشرقيّ، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ .
(٥) ويروى : «فأبكتني» .

قال : وصنعت فيه لحناً – قال الصُّوليّ في خبره : وهو من خفيف الثَّقيل – ثم صِرتُ اليه فغنَّيته إيَّاه، فأمر لي بألف دينار وبدابّته التي كانت تحتـه يومئذٍ بسَرْجها ولجامها؛ فقلت له : جزاك الله من سيّد خيراً، فإنك تأتي الأنفُسَ وهي شواردُ فتُقِرّها، والأهواءَ وهي سَقيمة فتُصِحّها؛ فأمر لي بألف دينار أخرى .

قال إبراهيم : ثم ضَرَبَ الدهرُ من ضَربه[١]. فبينا أنا أسير معه إذ لقيه العبّاس ابن الأحنف، وكان ساخِطاً عليه لشيء بلغه عنه، فترجّل له وأنشده :

صوت

بالله يا غضبانُ إلّا رَضِيتْ أذاكرٌ للعهدِ أم قد نسِيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل؛ فأضفتُ الى هذا البيت :

لو كنتُ أبغي غيرَ ما تشتهي دعوتُ أن تُبلى كما قد بُليتْ

وصنعت فيه لحناً – قال الصُّوليّ في خبره : هو ثقيل أول – قال : وغنّيتُه بـه، فأمر لي بألفيْ دينار وضحِك؛ فقلت : من أيّ شيء تَضحك يا سيّدي؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً! فقال : ذكرتُ ما جرى في الصوت الاول وأنه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه، ولن تنصرف الليلةَ إلا على مثله، فقمتُ فقبّلت يدَه؛ فأمر لي بألفيْ دينار آخرين، وقال : تلك الكَرّة شكَرتَ على الجائزة بكلام فزدناك، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة، ولولا أنّي مُضِيقٌ في هذا الوقت لضاعفتُها، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

غناؤه الرشيد بشعره :

حدّثني جحظة قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال :

---

(١) أي مرّ من مروره ومضى بعضه .

لمّا نَزل الرشيدُ في طريقه الى طُوس[١] بِشِبْداز[٢] جلس يشرب عنده، فكان إبراهيمُ الموصليّ أولَ من غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له :

صوت

رأيتُ الدينَ والدُّنيا مُقيمَيْنِ بشِبْداز
أقاما بينَ[٣] حَجّاجٍ وغازٍ أيّما غازِ

– وهو من الثقيل الاول – فأمر له بألف دينار، ولم يَستحسن الشعرَ، وقال له : يا إبراهيم صَنعتُك فيه أحسن من شعرك؛ فخجل وقال : يا سيّدي شغَل خاطري الغناء فقلت لوقتي ما حضَرني؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقتَ .

أخبرنا يحيي بن عليّ بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال :

كان جدُّك محبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه، حتى إنْ كان الرشيدُ ليَقولُ كثيراً : ما أعرف أحداً أكثرَ أصدقاء من إبراهيم .

مغنّ كاتب شاعر خطيب :

قال إسحاق : وما سمعتُ أحسنَ غناء من أربعة : أبي، وحَكَم الوادي، وفُلَيح ابن أبي العَوراء، وسِياط؛ فقلت له : وما بلغ من حِذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناء غيرِهم فيُحسنون؛ فقلت : فأيّهم كان أحذق ؟ قال : كانوا بمنزلة خطيبٍ أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته، فإذا انتقل عنها الى غيرها لم يبلغ

---

(١) طوس : مدينة معروفة ما بين الريّ ونيسابور في اول عمل خراسان وفيهـا دفن هارون الرشيد .

(٢) شبداز : موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين .

(٣) ويروى : « أقاما مع حجاج » . والحجاج : الكثير الحج . يريد أن الدين والدنيا قد اجتمعا للرشيد الذي كان كثير الحج والغزو .

منها ما يبلغ من صناعته ، وكان جدُّك كرجل مفوَّه، إن خطب أجزل، وإن كتب رسالة أحسن، وإن قال شعراً أحسن، ولم يكن فيهم مثله .

اول من علم الجواري الحسان الغناء :

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعاً عن إسحاق قال :

لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناء، وإنما كانوا يعلّمونه الصُّفرَ والسُّودَ؛ وأوّل من علّم الجواريَ المُثمّنات أبي، فإنه بلغ بالقيان كلَّ مَبلغ، ورفع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عُيينة بن محمد بن أبي عُيينة المهلّبيّ وقد كان هَوِي جاريةً يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السَّوْمَ، وجعل يردّدها الى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سَوْمه، فقال أبو عُيينة :

قلتُ لمّا رأيتُ مولى أمانٍ قد طغى سومُه بها طُغيانا
لا جَزى الله المَوْصليَّ أبا إسـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مُرسَلاً بوَحْيٍ من الشّيـطان أغلى به علينا القيانا
من غِناء كأنه سَكَرات الـحبّ يُصبي القلوبَ والآذانا

شعر ابن سيابة فيه :

وقال فيه ابن سيابة[١] :

صوت

ما لإبراهيمَ في العِلـم بهذا الشأن ثاني

(١) هو ابراهيم بن سيابة مولى بني هاشم .

إنما عُمْرُ أبي إســحاق زَيْنٌ للزمانِ
جَنَّة الدُّنيا أبو إســحاق في كلّ مكانِ
فإذا غَنّى أبو اسحا ق أجابتْه المَثاني[1]
منه يُجنى ثَمَرُ اللهــو وريحانُ الجِنانِ

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيفُ ثقيل بالبنصر، وخفيف رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشاميّ.

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة[2] قال:

كان سَلْم الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصليّ في المُطبِق[3]؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دونك سِترٌ[4] ... حُبِس المَوْصليُّ فالعيشُ مُرُّ
ما استطابَ اللذّاتِ مُذْ سَكَنَ المُطْــبِقَ رأسُ اللذّاتِ في الناس حُرُّ
تركَ الموصليُّ مَن خلَق اللهُ جميعاً وعيشُهم مُقشعِرُّ
حُبِس اللهوُ والسرور فما في الــأرض شيءٌ يُلهى به أو يَسُرُّ

وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرزُبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبس:

أيا غَمّي لغَمّك يا خليلي ... ويا وَيلي عليك ويا عَويلي
يَعِزُّ عليّ أنّك لا تراني ... وأنّي لا أراكَ ولا رسولي
وأنك في محلّ أذى وضَنْكٍ ... وليس الى لقائكَ من سبيلِ

(١) سهل الهمز في «إسحاق» لضرورة الشعر.
(٢) هو علي بن يزيد أبو دعامة.
(٣) المطبق: السجن تحت الارض.
(٤) ويروى: «سرّ».

وأني لستُ أملِكُ عنك دفعاً … وقد فُوجئتَ بالخطبِ الجليلِ

بينه وبين ابراهيم بن المهدي :

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني أبو تَوبة صالحُ بن محمد عن القِطرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر، وكان المهديّ رباه، قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال :

إنصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيَّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصليّ، وإذا هو في رَوْشَن[1] له وقد صنَع لحنه :

أَلا رُبَّ نَدمانٍ عليّ دموعُه … تَفيضُ على الخدّين سَحّاً سُجُومُها[2]

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرِّره لتَستَوي له أجزاؤه، وجواريه يضرِبْن عليه، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم أنصرفت الى منزلي، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ، وأصبحتُ فغدوتُ الى الشَّمّاسيَّة واجتمعنا عند الرشيد، فأندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شيء غنّى، فلمّا سمعه الرشيد طرِب وأستحسنه وشرب عليه، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟ قال : لي يا سيّدي، صنعتُه البارحة؛ فقلت : كذَب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أغنّيه؛ فقال لي : غنّه يا حبيبي، فغنّيتُه كما غنّاه؛ فبُهت إبراهيمُ وغضِب الرشيد، وقال له : يأبن الفاجرة ! أتكذِبني وتدّعي ما ليس لك !. قال : فظلّ إبراهيمُ بأسوإ حال؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين، الصوتُ وحياتك له وما كذَب، ولكنّي مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي وأستوى فأخذتُه منه؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

---

(١) الروشن : خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله وهو الشرفة.

(٢) سجوم الدمع : سيلانه كثيراً كان أو قليلاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا رُبَّ نَدْمانٍ عليَّ دموعُـه تَفيضُ على الخدَّين سحًا سُجومُها
حليمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها[١] رجالٌ لديها قـد تَخِفُّ حلومُها

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنـا أبي عن طَيَّاب بن إبراهيم الموصليّ قال:

كان إبراهيم بن المهديّ يُقدّم ابنَ جامع ولا يُفضّل عليه أحداً، فأخبرني إبراهيم ابن المهديّ قال: كنا في مجلس الرشيد وقد غلب النبيذُ على ابن جامع، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إليّ إبراهيمُ فقال: قد خَرِي قد خري أستاذك فيه! وفهمتُ صدقَه فيما قال؛ قال: فقلت له: انتبِه أيها الشيخ وأعِدِ الصوت، ففَطِن وأعاده وتحفّظ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل عليّ فقال:

أعلّمه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ فلمّا استدّ[٢] ساعدُه رماني

وتنكّر لي وحلَفَ ألّا يكلّمني؛ فقلت للرشيد بعـد أيام: إن لي حاجةً؛ قال: وما هي؟ قلت: تأمر إبراهيمَ الموصليّ أن يرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه؛ فقال: ومَنْ إبراهيم حتى يُطابَ رضاه! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي أريده منه لا يُنال إلا لرضاه؛ فقال: قم اليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه؛ فقام إليّ ليقبِّل رأسي،

(١) هرّ فلان الكأس: كرهها.
(٢) استدّ: استقام. ويروى: «اشتدّ».

فلما أكبَّ عليَّ قال: تَعود؟ قلت: لا؛ قال: وقد رضيتُ عنك رِضاً صحيحاً، وعاد الى ما كان عليه.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيي بن عليّ بن يحيي قال: سمعتُ جدّي علياً يحدِّث عن إسحاق قال:

قال أبي: خرجتُ مع الرشيد الى الحيرة، فساعةَ نَزل بها دعا بالغداء فتغدّى ثم نام، فاْغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ فركبت أدُور في ظهر الحيرة، فنظرت الى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه، فاْستأذنته في الدخول فأذِن لي، فدخلت فإذا جَنَّة من الجِنان في أحسن تُربة وأغزرها ماء، فخرجتُ فقلتُ له: لمن هذا البستان؟ فقال: لبعض الأشاعِثة[1]؛ فقلت له: أيباع؟ فقال: نعم وهو على سَوم؛ فقلت: كم بلغ؟ فقال: أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ وما يُسمّى هذا الموضع؟ قال: شُمارى؛ فقلت:

صوت

جِنانَ شُمارَى ليس مثلَكِ مَنظَرٌ لذِي رمَدٍ أعيا عليه طبيب
تُرابُكِ كافورٌ ونُوَرُكِ[2] زهرةٌ لها أرَجٌ بعد الهُدُوّ يطيبُ[3]

قال: وحضَرتْني فيه صَنعةٌ حسنة؛ فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إيّاه أوّل ما غنّيتُ؛ فقال: وَيلك! وأين شُمارَى؟ فأخبرته القصة؛ فأمر لي بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ وغمزني جعفر بن يحيي فقال: خذ توقيعه بها إليّ؛ وتشاغل الرّشيدُ عنّي، فأعدتُ الصوتَ، فقال: وَيلكم! أعطُوا هذا دنانيره؛ فوثبتُ وقلت: يا سيّدي، وَقِّع لي بها الى جعفر بن يحيي؛ فقال: أفعلُ، ووقّع لي بها اليه؛ فلماّ

(١) الاشاعثة: منسوبون الى الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي.

(٢) ويروى: «ونبتك».

(٣) في رواية: «وطيب».

حصَل التوقيعُ عند جعفر أطلق لي المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلما حصل المالُ عندي كان أحبَّ إليّ وأحسن في عَيني من ثُمارَى .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال أخبرني أبو العَيْناء قال :

خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رُقعةٌ فيها أربعة أبيات ، فقال : إن أميرَ المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضر ممن يقول الشعر أن يُجيزها ، وهي :

أهدَى الحبيبُ مع الجَنوب سلامَه ... فارْدُدْ اليه مع الشَّمال سلاما
وأعرفْ بقلبك ما تَضمَّن قلبُه ... وتَداولا بهواكما الأياما
وإذا بكيتَ له فأيقِنْ أنه ... ستجود أدْمُعه عليك رِهاما[1]
فاْحبِس دموعَك رحمةً لدموعه ... إن كنتَ تحفظُ أو تحوط ذِماما

فلم يوجد من يُجيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

عند خمّار :

أخبرني محمد بن خَلف وكيع قال حدّثني أبو العبّاس البصريّ قال حدّثني عبد الله بن الفضل بن الرَّبيع قال سمعت أبي يقول :

لمّا خرج الرشيدُ إلى الرّقة أخرج معه إبراهيم الموصليّ ، وكان به مشغوفاً ، ففقده في بعض المنازل أياماً وطلبه فلم يُخبِره أحد بقصّته ؛ ثم أتاه ، فقال له : وَيحك ! ما خبرُك وأين كانت غَيبتك ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، حديثي عجيب ، نزلنا بموضع كذا وكذا ، فوُصِف لي خمّارٌ ، من ظَرفه ومن نظافة منزله كيت وكيت ، فقدّمتُ أمام ثَقلي[2] وأتيته مُخفًّا ، فوافيتُ أطيبَ منزل وأوسعَ رَحل

(١) الرهام : جمع رهمة (بالكسر) وهي المطر الضعيف .

(٢) الثقل : متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون .

وأطيبَ طعام وأسخى نفس ، من شابٍ حسن الوجه ظريف العِشرة ، فأقمتُ عنده ، فلمّا أردتُ اللحاق بأمير المؤمنين أقسم عليّ وأخرج لي من الشراب ما هو أطيبُ وأجود مما رأيت ، فأقمت ثلاثاً ، ووهبتُ له دنانير كانت معي وكُسوةً ؛ وقلت فيه :

صوت

سَقياً لمنزل خمّارٍ قَصَفتُ به وَسْط الرُّصافة يوماً بعد يومينِ
ما زلتُ أرهَنُ أثوابي وأشرَبُها صفراء قد عُتِّقتْ في الدَّنّ حَولَينِ
حتى إذا نَفِدَت منّي بأجمعها عاودتُه بالرِّبا دَنّاً بدَنّينِ
فقال « إزَلْ بشِين » حين ودَّعني وقد لَعَمْرُكَ زُلنا عنه بالشَّينِ

— الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : « إزَلْ بشِين » كلمة سريانية ، تفسيرها : أمضِ بسلام ، دعا له بها لما ودّعه — قال إبراهيم : فقال لي الرشيد : غَنّني هذا الصوتَ ، فغنّيتُه إياه وزَمر عليه بَرْصوما ، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيعة ، وبعث الى الخمّار فأُحضر ، وأهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوَصله ؛ ووهب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

مع ابن جامع :

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعاً حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال :

قال ابن جامع يوماً لأبي : رأيتُ في منامي كأني وإيّاك راكبان في مَحمِل ، فسفَلتَ حتى كِدتَ تَلصق بالأرض ، وعلا الشِّقّ الذي أنا فيه ، فَلأعلونّك في الغناء ؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطـل ، إنّي وإيّاك كنّا في ميزان ، فرجحتُ بك وشالتْ كِفّتُك وعلوتَ فلصقتُ بالأرض ، فلأبقَينّ بعدك ولتموتَنّ

قبلي . قال إسحاق : فكان كما قال أبي ، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده .

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعي قال حدَّثتني خديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرَّبيع قالت حدَّثتني خمار جارية أبي – وكانت قُندُهاريّة[١]، اشتراها جدّي عبد الله وهي صبيّة رَيِّض[٢] من آل يحيى بن مُعاذ بمائتي ألف درهم – قالت :

ألقى عليَّ إبراهيمُ الموصليّ لحنه في هذين البيتين :

صوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيـه مَساءتي ‏ ‏ قضيتُ لهـا فيما تريد على نفسي
وما مَرّ يومٌ أرتجي فيه راحـةً ‏ ‏ فأذكُرَه إلا بكيتُ عـلى أمسِ

– الشعر لأبي حفص الشَطرنجيّ[٣]، والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى – فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أُغنّيه، فسألني : ممن أخذته ؟ فأخبرتُـه ؛ فقال : فأعيديه ، فأعدتُه مِراراً ، وما زال ابن جامع يتنغّم[٤] به معي حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لي : يا صبيّة، غنّي ذلك الصوت، فكان صوته عليّ .

مع مخارق :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال قال مخارق :

---

(١) قندهارية : نسبة الى قندهار، وهي بلد من بلاد السند او الهند مشهورة في الفتوح .

(٢) الرّيض كسيد : الدابة اول ما تراض، يطلق على الذكر والأنثى، يقال : غـلام ريض، وناقة ريض .

(٣) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس، نشأ في دار المهـدي وتأدّب وكان لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدي انقطع الى علية ابنته .

(٤) تنغم المغني : طرّب في الغناء .

أذِن لنا أميرُ المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم في منازلنا ثلاثةَ أيام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَم، فمضى الجلساء أجمعون الى منازلهم — وأخبرني وَسْواسة وهو أحمد ابن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ بهذا الخبر فقال حدّثني أبي عن أبيه عن مخارق قال: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيّمة، فانصرفنا الى منازلنا. ولم يذكر في الخبر ما ذكر عمر بن شبّة مما قدمتُ ذكره، واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصليّ — قال مخارق: وأصبحت السماء مُتغيِّمــة تَطِشّ طَشّاً خفيفاً، فقلت: والله لأذهبنّ الى أستاذي إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود، فأمرتُ مَن عندي أن يُسَوُّوا مجلساً لنا الى وقت رجوعي؛ فجئت الى إبراهيم الموصليّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد؛ فقلت: ما خبر أستاذي؟ فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جالس في رِواقٍ له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر[1] وأباريق تَزْهَر، والستارة منصوبة والجواري خَلفها، وإذا قُدّامَه طَستٌ فيه رِطليّة وكوزٌ وكأس، فــدخلت أترنّم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بالُ الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً؟ فقال: اقعُد وَيحك! إني أصبحت على الذي ظننتَ؛ فأتاني خبرُ ضَيعة تجاورني، قد والله طلبتُها زماناً وتمنّيتها فلم أملكها، وقد أُعطى بها مائةُ ألف درهم؛ فقلت: وما يمنعك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر؛ قال: صدقتَ، ولكن لستُ أطيب نَفساً أن أخرج هذا المال؛ فقلت: فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! فقال: اجلس، خذ هذا الصوت، ونَقَر بقضيب معه على الدواة وألقى عليّ:

صوت

نام الخَليُّون من همٍّ ومن سَقمِ ... وبتُّ من كثرة الأحزان لم أنمِ
يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهداً ... اعمِدْ ليحيى حليفِ الجودِ والكرمِ

---

(١) غرغرت القدر: صاتت عند الغلي .

– الشعر لأبي النضير[١]، والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أوّل بالبنصر – قال: فأخذتُه فأحكمتُه؛ ثم قال لي: أمضِ الساعةَ الى باب الوزير يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ، فاستأذِنْ عليه قبل أن يَصِل اليه أحد، فإنه سيُنكر عليك مجيئك ويقول: من أين أقبلتَ في هذا الوقت؟ فحدِّثه بقصدك إياي وما ألقيتُ اليك من خبر الضَّيعة، وأعْلِمه أني صنعتُ هذا الصوت وأعجبني، ولم أرَ احداً يستحقّه إلا فلانةَ جاريتَه، وإني ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه لتطرَحه عليها؛ فسيدعو بها ويأمر بالسِّتارة أن تُنصَب ويُوضع له كرسيّ ويقول لك: أطْرَحه عليها بحضرتي، فافعل وأتني بالخبر بعد ذلك. قال: فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وَصف، وسألني فأعلمتُه ما أمرني به، ففعل كلَّ شيء قاله لي إبراهيم، وأحضر الجارية فألقيتُه عليها؛ ثم قال لي: تُقيم عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف؟ فقلت: أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه، قال: يا غلام، احملْ مع أبي المهنأ عشرة آلاف درهم، واحملْ الى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيعة، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إليّ، وأتيتُ منزلي فقلت: أُسَرّ يومي هذا وأُسرّ من عندي، ومضى الرسول اليه بالمال؛ فدخلتُ منزلي ونثرتُ على من عندي من الجواري دراهمَ من تلك البَدْرة، وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطربت وسُررت يومي كلّه؛ فلما أصبحتُ قلتُ: والله لآتينّ أستاذي ولأعرفنّ خبره، فأتيتُه فوجدت الباب كهيئته بالأمس، ودخلتُ فوجدتُه على مثل ما كان عليه، فترنّمت وطربت فلم يتلقّ ذلك بما يجب؛ فقلت له: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى! فما كان خبرُكَ أنت بالأمس؟ فأخبرتُه بما كان وُهب لي وقلت: ما ينتظر من خلف الستارة، فقال: ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر بِدَر؛ فقلت: وأيّ شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ قال: وَيحك! ما هو والله إلا أن دخلتُ منزلي حتى شَحِحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حويتُ قديماً؛ فقلت:

(١) اسمه عمرو بن عبد الملك البصري مولى بني جمح، شاعر من شعراء البصرة صالح المذهب ليس من المعمودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين.

سبحان الله العظيم! فتصنع ماذا! قال: قم حتى أُلقي عليك صوتاً صنعتُه يفوق ذلك الصوت؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه، فألقى عليّ:

صوت

وَيَفرح بالمولود من آل بَرمَكٍ   بُغاةُ النَّدى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ [1]
وَتنبسط الآمالُ فيه لفضله   ولاسيا إن كان من وَلَدِ الفَضلِ

— الشعرُ لأبي النضير. والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح. وفيه خفيف ثقيلٍ، أظنه لحنَ إبراهيم. أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبّة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعَرَضه على الفضل، فاستحسنه وأمر مخارقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقَضيبَ فأخذتاه عنه — قال مُخارق: فلما ألقى عليّ الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قطُّ، وصغُر عندي الأوّل فأحكمتُه؛ ثم قال: انهض الساعةَ الى الفضل بن يحيى، فإنك تجدُه لم يأذن لأحد بعدُ، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه الينا واليك، وأعلمه أني قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أرفعَ منزلةً من الصوت الذي صنعتُه بالأمس، وأني ألقيته عليك حتى أحكمتَه ووجّهتُ بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريته؛ فصرتُ الى باب الفضل فوجدتُ الأمر على ما ذكر، فاستأذنتُ فوصلتُ؛ وسألني: ما الخبر؟ فأعلمتُه بخبري في اليوم الماضي وما وصل إليّ واليه من المال؛ فقال: أخزَى الله إبراهيمَ فما أبخله على نفسه!؛ ثم دعا خادماً فقال: اضرب السِّتارة فضربها، فقال لي: ألقِه، فلما غنّيتُه لم أتمه حتى أقبل يجرّ مِطرَفه، ثم قعد على وِسادة دون السِّتارة، وقال: أحسنَ والله أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق؛ فلم أخرج حتى أخذَته الجاريةُ وأحكمته، فسرّ بذلك

(١) ويروى: «بغاة الندى والسيف والرمح والنصل». وآخر البيت الثاني فيه: «ولاسيا إن كان والده الفضل».

سروراً شديداً، وقال: أَقِم عندي اليوم؛ فقلت: يا سيدي إنما بقي لنا يوم واحد، ولولا أني أحبّ سرورَك لم أخرج من منزلي؛ فقال: يا غلام احمِلْ مع أبي الهنأ عشرين ألف درهم واحمل الى ابراهيم مائتي ألف درهم؛ فانصرفتُ الى منزلي بالمال، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسُررت أنا ومن عندي يومَنا؛ فلما أصبحتُ بكّرتُ الى ابراهيمَ أتعرّف خبره وأعرّفه خبري، فوجدتُه على الحال التي كان عليها أوّلا وآخراً، فدخلتُ أترنّم وأصفِق؛ فقال لي: اُدْنُ؛ فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سَجْف هذا الباب فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر؛ فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: وَيحك! ما هو والله إلا أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم؛ فقلتُ: والله ما أظن أحداً نال في هذه الدولة ما نلته! فلِمَ تَبخل على نفسك بشيء تمنّيته دهراً وقد ملّكك اللهُ أضعافه! ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت؛ وألقى عليّ صوتاً أنساني واللهِ صوتَيَّ الأوّلَين:

صوت

أفي كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليلةٍ ... الى أمّ بكرٍ لا تُفيق فتُقصِرُ

أحبّ على الهجران أكنافَ بيتها ... فيا لَكَ من بيتٍ يُحبّ ويُهجَرُ

الى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسرةٍ[1] ... طَواها سُراها نحوَه والتهجُّرُ

الى واسعٍ للمجتَدين فِناؤه ... تَروح عطاياه عليهم وتَبكرُ

— الشعر لمروانَ بن أبي حَفصة يمدح به جعفر بن يحيى. والغناء لإبراهيم، ولم تقع الينا طريقتُه — قال مُخارق: ثم قال لي إبراهيم: هل سمعتَ مثلَ هذا؟ فقلت: ما سمعتُ قطُّ مثله. فلم يَزل يُردّده عليّ حتى أخذتُه، ثم قال لي: امض الى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه؛ قال: فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضتُ عليه الصوت، فسُرّ به ودعا خادماً فأمره بضرب

(١) الجسرة: الناقة العظيمة. ويروى: «حرة».

الستارة وأحضر الجارية وقعد على كرسيّ ، ثم قال : هاتِ يا مخارق ؛ فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه ؛ فقال : أحسنتَ والله يا مخارق وأحسن أستاذك ، فهل لك في المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلت : يا سيّدي هذا آخر أيامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّي حتى ألقيته على الجارية ؛ فقال : يا غلام أحمِل معه ثلاثين ألف درهم والى الموصليّ ثلثمائة ألف درهم ؛ فصرتُ الى منزلي بالمال ، فأقمتُ ومن معي مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب ، ثم بكّرتُ الى إبراهيم فتلقّاني قائماً وقال لي أحسنتَ يا مخارق ؛ فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيا أنتم فيه ، ثم رفع السَّجف فإذا المال ؛ فقلت : ما خبر الضَّيْعة ؟ فأدخل يده تحت مِسورة[1] هو مُتَّكئٌ عليها فقال : هذا صكُّ الضيعة ، سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد ، وكتب إليّ : قد علمتُ أنك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصُل لك ولو حِيزتْ لك الدنيا كلُّها ، وقد ابتعتُها لك من مالي ووجّهتُ لك بصكّها ؛ ووجه إليّ بصكّها وهذا المال كما ترى ؛ ثم بكى وقال لي : يا مخارق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا خنكرت فخنكر[2] لمثل هؤلاء ؛ هذه ستّمائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستون ألفَ درهم لك ، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه ، فمتى يُدرَك مثل هؤلاء ! .

عند الهادي :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال :

كان موسى الهادي شَكِسَ الأخلاق صَعبَ المِزاج ، من توقّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أمّل ، ومن فتح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه وأطرحه ، فكان لا يحتجب عن نُدمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزهم وصلاتهم

(١) المسورة : الوسادة من جلد .

(٢) اي اذا غنيت فغن لمثل هؤلاء .

ويُواتِرها[١] ؛ فتغنّى أبي عنده يوماً ؛ فقال له : يا ابراهيم غنّني جنساً من الغناء ألذّ به وأطرب له ولك حُكْمك ؛ فقال: يا أمير المؤمنين ، إن لم يقابلني زُحَلُ بِبَرْدِه رَجوتُ أن أصيب ما في نفسك . قال : وكنت لا أراه يُصغي الى شيء من الأغاني إصغاءه الى النّسيب والرّقيق منه ، وكان مذهبُ ابن سُريج عنده أحمدَ من مذهب مَعبد ، فغنّيته :

وإني لتَعروني لذِكراكِ هِزّةٌ[٢] كما انتفض العصفورُ بلّله القطرُ

فضرب بيده الى جَيبِ دُرّاعته[٣] فخطّها ذراعاً ، ثم قال : أحسنتَ والله ! زِدْني ، فغنّيتُ :

فيا حُبّها زدني جَوًى كلَّ ليلةٍ ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ

فضرب بيده الى دُرّاعته فخطّها ذراعاً آخر أو نحوَه ، وقال : زِدني وَيلك ! أحسنتَ والله ، ووجب حكمُك يا إبراهيم ؛ فغنّيت :

هجرتُكِ حتى قِيل لا يعرف الهوى وزُرتُكِ حتى قيل ليس له صَبرُ

فرفع صوته وقال : أحسنتَ ، لله أبوك ! هاتِ ما تريد ؛ قلت : يا سيّدي ، عَين مروان بالمدينة ؛ فدارتْ عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان ، وقال : يابن اللّخناء أردتَ أن تَشهرني بهذا المجلس فيقول الناس : أطربه فحكّمه ، فتجعلني سَمراً وحديثاً ! يا إبراهيم الحرّانيّ : خُذ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ ، فأدخله في بيت مال الخاصّة ، فإن أخذ كلَّ ما فيه فخَلِّه وإيّاه ؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دينار .

---

(١) واتر الصلات وغيرها : جعل بعضها يتبع بعضاً .

(٢) ويروى : «فترة» . والفترة : الضعف .

(٣) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . وجيبها : طوقها .

نسبة هذا الصوت

صوت

عَجِبتُ لسعي الدَّهرِ بيني وبينها ... فلما أنقضى ما بيننا سَكَن الدهرُ
فيا حُبَّها زِدني جَوًى كلَّ ليلة ... ويا سَلوةَ الأيَّامِ موعدُكِ الحشرُ
ويا هجرَ ليلى قد بلغتَ بيَ المَدى ... وزدتَ على ما ليس يبلغُه الهجرُ
وإني لتَعروني لذكراكِ هِـزَّةٌ ... كما أنتفض العصفور بلَّله القَطرُ
هجرتُكِ حتى قيل لا يَعرف الهوى ... وزُرتُكِ حتى قيـل ليس له صبرُ
أمَا والذي أبكي وأضحك والذي ... أمات وأحيـا والذي أمرُه أمرُ
لقد تركَتْني أحسُد الوحشَ أن أرى ... أليفَين منهـا لا يروعهما الذُّعر[1]

— الشعر لأبي صَخر الهُذَليّ . والغناء لمعبد ، وأوّل لحنه « ويا هجر ليلى » وبعده الثاني ثم الأوّلُ من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولابن سُرَيج في السادس والسابع والرابـع والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . ولعَريبَ في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضاً ، وللواثق فيها رمَل ، وهو مما صنعه الواثق قبلها فعارَضتْه بلحنها . وقد نَسب قومٌ لحنَ مَعبد الى ابن سُرَيج ولحنَ ابن سريج الى معبد .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

إشترى جدُّك ابراهيمُ لجعفر بن يحيي جارية مغنّية بمال عظيم ، فقال جعفر : أيَّ شيء تُحسن هذه الجاريةُ حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه ؟ قال : لو لم تُحسن شيئاً إلا أنها تَحكي قولي :

(١) ويروى : « النفر » .

لِمَنِ الدّيارُ ببُرْقَةِ[١] الرَّوحان

لكانت تساويه وزيادةً ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطتَ !

نسبة هذا الصوت

صوت

لمن الديارُ ببُرْقَـةِ الرَّوْحانِ إذ لا نبيـعُ زمانَنا بزمانِ
صدَعَ الغواني إذ رمَين فؤادَه صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِ
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنوَّلْ حاجةً وإذا هجرتكِ شفَّني هِجراني

الغناء لمعبد، فيما ذكره الهشاميَ وأحمد بن المكيّ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ونَسبه غيرُهما الى حُنَين ، وقال آخرون : إنه للغريض ، وذكر حَبش أنه ليزيد حَوراء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

عدد أصواته :

أخبرني الُحسين عن حمّاد قال قال لي أبي :

صنَع جدُّك تِسعمائةِ صوتٍ، منها دِينارِيّة، ومنها دِرهميَّـة، ومنها فَلْسيَّة، وما رأيت أكثرَ من صنعته؛ فأمّا ثلثمائةٍ منها فإنه تقدّم الناسَ جميعاً فيها، وأمّا ثلثُمائةٍ، فشاركوه وشاركهم فيها، وأمّا الثلثمائة الباقية، فلَعِبٌ وطَرَب؛ قـال : ثم أسقط أبي الثلثمائة الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هي سِتُّمائة صوت .

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة تنبت الرمث .

وقال أحمد بن حَمدون قال لي إسحاق : من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف :

أبكِي ومثلي بكى من حُبّ جاريةٍ

فما أعلم له فيه معنًى إلا أستحسانَه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جداً .

نسبة هذا الصوت

صوت

أبكي ومثلي بكى من حُبّ جاريةٍ   لم يَخلُقِ الله لي في قلبهـا لِينا
هل تذكرين وُقوفي عند بابكُم   نصفَ النهار وأهلُ الدار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

أخبرني جَحظة قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق قال :

قال رجل لأبي : أخبرني عنك، لمَ طعنتَ على أبيك في صنعته :

قال لي فيها عَتيقٌ مقالًا   فجرتْ مما يقول الدموعُ

قال : لأنه تعرّض لابن عائشةَ وله في هـذا الشعر صنعةٌ ، وابن عائشة ممن لا يُعارَض فلم يقارِبه، وعلى أن صنعة أبي من جَيّد الغناء لو كان صنعَها في غير هذا الشعر، ولكنها اقترنت بصنعة ابن عائشة فلم تقاربْها، فسقط عندي لذلك .

نسبة هذا الصوت

صوت

قال لي فيها عَتيقٌ مقـالًا   فجَرتْ مما يقـول الدموعُ

قال لي وَدِّعْ سُلَيمى ودِّعْها فأجاب القلبُ لا أستطيعُ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل : إنه لابن عائشة . وفيه ثاني ثقيلٍ يُنسَب الى الهذليّ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب الى ابن عائشة وإلى إبراهيم .

مع تلميذة :

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ الرّيّ(١) فكنتُ آلفُ فِتياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفونني، فطال ذلك عليّ الى أن دعاني أحدهم ليلةً الى منزله فبِتُّ عنده، فأخرج جاريةً له ومد لها ستارةً فتغنّتْ خَلفَها، فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية، فشوّقتني الى العراق وذكّرتني أيّامي بها، فدعوتُ بعُود ، فلما جيء به اندفعتُ فغنّيتُ صوتي في شعري :

أنا بالرّيّ مُقيمُ في قرى الرّيّ أَهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللحن قديماً بالرّيّ؛ فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إليّ، فأكبّتْ على رأسي وقالت : أستاذي والله! فقال لها مولاها : أيّ أستاذيكِ هذا! قالت : إبراهيم الموصليّ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاتي أخذن عنّي وطال العهدُ بها؛ فأكرمني مولاها وبرّني وخلَع عليّ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرّيّ وانتشر خبري بها، ثم كتب بحَمْلي الى والي البلد فأُشخِصتُ .

(١) الريّ : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات .

شعره شفيعه :

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ ابن محمد قال حدّثني القِطراني عن محمد بن جَبْر عن يحيى المَكيّ قال :

كنّا يوماً بين يدي المهديّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصليّ وضرَبه وأمر بأن يُلبَس جُبّة صوفٍ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجواري؛ فكتب الينا ذاتَ يوم، ونحن مُصطبِحون وقد جادت السماء بِطرٍ صَيِّف[1]، وبحضرتنا شيء من ورد مُبَكِّر :

ألا مَن مُبلغٌ قوماً مِنِ آخواني وجيراني
هنيئاً لكمُ الشُّربُ على وَرْدٍ وتَهتانِ[2]
وأنّي مُفرَدٌ وحدي بأشجاني وأحزاني
فمَن جَفَّ لـه جفنٌ فجفناي يَسيلانِ

قال : فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأها فرَقّ له وأمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعدُ بأيّام .

شغفه بجارية :

أخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المكيّ عن أبيه قال :

كانت لعليٍّ اليَانيّ جاريةٌ مغنّية، فهوِيَها إبراهيم واستُهيم بها زماناً، وقال فيها:

---

(١) الصيف : المطر الذي يجيء في الصيف، واحده صيفة، يقال : أصابتنا صيفة غزيرة أي مطرة غزيرة في الصيف .

(٢) هتنت السماء هتناً وهتوناً وهتاناً وتهتاناً : انصبت .

صوت

كنتُ حُراًّ فصرتُ عبدَ اليماني   من هوى شادنٍ هواه بَراني
وهو نِصفان من قضيبٍ ودِعصٍ[1]   زانَ صدرَ القضيبِ رُمّانتانِ

اللحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وقد زعم قوم أن الشعر للحسين بن الضحاك.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال:

كان بعض أهل نَهِيك[2] قد تعاطى الغناء، فلماّ ظنّ أنه قد أحكمه شاورني وأبي حاضرٌ، فقلتُ له: إن قَبِلتَ منّي فلا تُغنّ فلستَ فيه كما أرضى؛ فصاح أبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي: وما يُدريك يا صبيّ! ثم أقبل على الرجل فقال: أنت يا حبيبي بضدّ ما قال، وإن لَزمتَ الصِناعة برعتَ فيها؛ فلما خلا بي قال لي: يا أحمق! ما عليك أن يُخزِي الله مائة ألف مثل هذا! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يُعيّروننا بالغناء، فدعهم يتهتّكوا به ويُعيَّروا ويفتضحوا ويحتاجوا الينا فنَنتفع بهم، ويَبين فضلُنا لدى الناس بأمثالهم. قال: ولَزِمه النَهيكيّ يأخذ عنه ويَبَرّه فيُجزل، فكان إذا غَنّى فأحسن قال له: بارك الله فيك، وإذا أساء قال: بارك الله عليك؛ وكثُر ذلك منه حتّى عرَف النَهيكيّ معناه فيه، فغنّى يوماً وأبي ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئاً؛ فقال له: جُعلت فداك، يا أستاذي، أهذا الصوت من أصوات «فيك» أم «عليك»؟ فضحك أبي ولم يكن علم أنه قد فَطِن لقوله، ثم قال له: والله لأُقبِلنّ عليك حتى تصيرَ كما تشتهي، فإنك ظريفٌ أديب؛ وعُنِي به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم. وفيه يقول أَبي:

---

(١) الدعص: كثيب الرمل.

(٢) لعله من أسرة عثمان بن نهيك أحد قوّاد المنصور والذي كلفه المنصور قتل أبي مسلم الخراساني حين يدخل عليه.

أوجب اللهُ لـك الحقّ على مثلي بظَرْفكْ
لن تراني بعد هذا ناطقاً إلّا بوصفـكْ
وترى القـوّةَ فيما تَشتهيه بعد ضعفكْ

الاحتكام اليه :

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عُمر بن شَبَّة عن إسحاق، أخبرني به الصُّوليّ عن عَوْن بن محمد عن إسحاق قال :

غنَّى مُخارقٌ بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قِسمته؛ فقلت له : أعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفياً، فقلت للرّشيد : يا سيّدي، قد أخطأ فيه؛ فقـال لإبراهيم بن المهديّ : ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال : ليس الأمرُ كما قال، ولا هاهنا خطأ؛ فقلتُ له : أترضى بأبي؟ قال : إي والله، وكان أبي في بقايا عِلّة؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولاً، فجيء به في مِحَفَّة؛ فقال لمخارِق : أعِدِ الصوتَ، فأعـاده؛ فقال : ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال : قد أخطأ فيه؛ فقال له : هـكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح؛ فنظر إليّ ثم قال : هاتُوا دواةً فأُتي بها وكتب شيئاً لم يَقف عليه أحد ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقـال لي : اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسمة هذا الصوت، فكتبتُه وألقيتُه فقرأه وسُرّ، وقام فألقاه بين يدي الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعاً متّفق؛ فضحك وعجبَ، ولم يَبق أحدٌ في المجلس إلا قرّظ وأثنى ووصَف، ولا أحدٌ خالَف إلا خَجِل وذَلّ وأذعن . وقال أبي في ذلك :

ليت من لا يُحسن العلـمَ كفانا شرّ عِلمِهْ
فأخـبرِ الحقّ ابتـداء وقِسِ العلمَ بفهمِـهْ
طيّبُ الرّيحـان لا تعـرفـه إلا بشَمّـهْ

حدّثني جحظة قال حدّثني هِبَةُ الله، وحدّثني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه قال :

غنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد :

سَلِي هل قَلاني من عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذمّ رَحلي في الرِّفاق رفيقُ

فطرِب واستعاده وأمر له بعشرين الفَ درهم، فلما كان بعد سنين، خطر ببالي ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته، فغنّيتُه إياه؛ فطرِب وشرب، ثم قال لي : يا إسحاق، كأني في نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأني أعطيتُه الف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ في الجائزة ! فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيّدي ما أخطأتَ؛ فقال : قد أخذ ثمَنه أبوك مرّةً فلا تطمع؛ فعجبتُ من قوله، ثم قلت : يا سيّدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتيْ الفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بَختيَ أنا ؛ فقال وَيحك ! أكثر من مائتي الف دينار ؟ ! قلت : إي والله ! فوَجم وقال : أستغفر الله من ذلك، وَيحك ! فما الذي خلّف منها ؟ قلت : خلّف عليّ ديوناً مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه؛ فقال : ما أدري أيّنا أشدُّ تضييعاً ! والله المستعان .

نسبة هذا الصوت

صوت

سَلِي هل قلاني مِن عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذَمّ رَحلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجتوي القومُ الكرامُ صَحابتي إذا أغبرّ مَخشيُّ الفِجاج عَميقُ[٢]
ولو تَعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّني لكم والهَدايا المُشعَراتِ[٣] صديقُ

(١) قال صاحب المصباح : البخت : الحظ وزناً ومعنى وهو أعجمي .

(٢) ويروى : « مخشيّ العجاج سحيق » .

(٣) الهدايا : ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر . والمشعرات : المعلمات بعلامة يعرف بها أنها هدى .

الشعر يُنسب الى مُضرّس بن قُرْط الهلاليّ وإلى قَيس بن ذَرِيح، وفيه بيت يقال: إنه لجرير. والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين، ونسبتُه تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيح، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمعبد ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

لحن في المنام:

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سَعد قال حدّثتني نَشوة الأُشنانية قالت أخبرني أبو عثمان يحيي المكيّ قال:

تشوّق يوماً إبراهيمُ الموصليّ الى سرداب له، وكانت فيه بِركة ماء تدخل من موضع اليه وتخرج الى بستان، فقال: أشتهي أن أشربَ يومي وأبيتَ ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سِنّورتان[1] قد نزلتا من درجة السّرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما: أتراه نائماً؟ فقالت السوداء: هو نائم؛ فاندفعت السوداء فغنّت بأحسن صوت:

عَفا مُزْجٌ[2] الى لَصَقٍ[3] الى الهَضَبات من هَكِرٍ[4]
الى قاع النَّقِير[5] الى قرار حِلالٍ[6] ذي حَدَرٍ[7]

قال: فمات إبراهيمُ فرحاً وقال: يا ليتها أعاداه! فأعاداه مراراً حتى أخذه، ثم تحرك

---

(١) السنورة: الهرّة.

(٢) مزج: ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخاً أو نحوها.

(٣) لعله مصحف عن «لصف» وهو بركة غربيّ طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من صبيب غربيّ واقصة.

(٤) هكر: موضع على نحو أربعين ميلاً من المدينة.

(٥) النقير: موضع بين هجر والبصرة.

(٦) حلال: من نواحي اليمن.

(٧) الحدر: ما انحدر من الارض وهو الصبب.

فقامت السِّنَّورتانِ، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلا جُنّ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنّت.

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ اول بالوسطى عن يحيى المكيّ وعَمرو بن بانةَ.

إنالته من أصحاب الحوائج :

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال :

أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً، فقلت له : يا أبا العبّاس، جُعِلتُ فداك! هَبْ لي دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يده؛ فقال: وَيحك يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال : هاه! إلّا أن هاهنا خَصْلةً أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجّه الينا بخمسين الف دينار يشتري لنا بها محبّتنا؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك؟ قلتُ : عندي، جُعِلت فداك! قال : فهوذا، اقول لهم يشترونها منك فلا تَنقُصها من خمسين الف دينار؛ فقبّلتُ رأسه ثم انصرفتُ؛ فبكّر عليّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لي، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك؟ فقلت : عندي؛ فقال : اعرِضها عليّ، فأخرجتُها؛ قال : بكم؟ قلت : بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّة؛ فقال لي : أريدها له؛ فقلت له : أنت أعلم، إذا اشتريتَها فصيّرها لمن شئت؛ فقال لي : هل لك في ثلاثين الفَ دينار مُسلَّمةٍ لك؟ قال : وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذِكرُ ثلاثين الفاً ارتج عليّ ولحقني زَمَعٌ[١]، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع، وخِفتُ والله أن يحدُثَ بالجارية حَدَثٌ او بي او بالفضل

---

(١) الزمع : شبه رعدة تأخذ الانسان.

ابن يحيي، فسلَّمتُها وأخذتُ المال؛ ثم بكَّرتُ على الفضل بن يحيي، فإذا هو جالس وحدَه؛ فلما نظر إليّ ضحِك، ثم قال لي: يا ضَيِّق الحوصَلة[1]! حرَمتَ نفسك عشرين الفَ دينار؛ فقلت له: جُعِلتُ فداك، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دخَلني شيء أعجز عن وصفه وخِفت أن تَحدُثَ بي حادثة او بالجارية او بالمشترِي او بك، أعاذك الله من كل سوء، فبادرتُ بقبول الثلاثين الف دينار؛ فقال: لا ضَير، يا غلام جِئْ بالجارية، فجاء بجاريتي بعينها؛ فقال: خُذْها مباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية؛ فلما نهضتُ، قال لي: مكانَك، إنّ صاحب إرمِينِيَة قد جاءنا فقضَيْنا حوائجه ونفَّذْنا كُتُبَه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين الفَ دينار يشتري لنا بها ما نُحِبّ، فاعرض عليه جاريتَك هذه ولا تَنقُصها من ثلاثين الف دينار؛ فانصرفتُ بالجارية وبكَّر إليّ رسول صاحب إرمينية ومعه صديقٌ لي آخر، فقاولَني بالجارية، فقلتُ: لستُ أنقصها من ثلاثين الف دينار؛ فقال لي: معي على الباب عشرون الفَ دينار تأخذها مُسلَّمة، بارك الله لك فيها؛ فدخلني والله مثلُ الذي دخلني في المرّة الاولى وخِفت مثلَ خوفي الاول، فسلَّمتُها وأخذتُ المال؛ وبكَّرت على الفضل ابن يحيي فإذا هو وحدَه؛ فلما رآني ضحك وضرب برجله الارض وقال: ويحك! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار؛ فقلت: أصلحك الله، خِفتُ والله ما خفتُ في المرّة الأولى؛ قال: لا ضَير، أخرِجْ يا غلام جاريتَه؛ فجاء بجاريتي بعينها؛ فقال: خُذها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك؛ فلما ولَّتِ الجارية صِحتُ بها: إرجعي فرجعت؛ فقلت: أُشهدك، جُعلت فِداك، أنها حُرَّة لوجه الله وأني قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم، كَسَبتْ لي في يومين خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا؛ فقال: وُفِّقتَ إن شاء الله.

عند خمار:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي:

---

(١) ضيق الحوصلة هنا كناية عن التسرّع وشدّة الحرص. وفي كتاب ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه أن ضيق الحوصلة يكنى به عن البخل.

كنت في شبابي ألازم أصحابَ قُطرُبُل[١] وبارِي[٢] وبَنّى[٣] وما أشبه هذه المنازل، فأتخذ فيهم الخَمّارَ اللطيفَ، يحسبوني بالشراب الجيّد ويَحبُوه لي، فجئت الى بارِي يوماً فلقيني خَمّارِي، فقال لي: يا أبا إسحاق عندي شيء من بابَتِك، وقد كنت عملتُ لَحني هذا:

صوت

إشرَبِ الرّاح وكُنْ في ... شُربك الرّاحَ وَقُورا
فاشرَبِ الرّاح رَواحاً ... وظلاماً وبُكورا

— الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لمنصور زَلزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش — قال: فدخلتُ بيته وبزَلتُ[٤] دَنّه وجعلتُ أرَجّع الصوتَ فبُهت ينظر إليّ والنبيذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض؛ فقلت له: وَيحك! شرابُك قد فاض؛ فقال: دَعني من شرابي، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام؟ فقلت: لا؛ قال: فما بال حَلقِك هذا حزيناً؟

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن عمّه طَيّاب بن إبراهيم قال:

دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخارِق وأبي يُلقِي عليه هذا الصوتَ:

---

(١) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا تنسب اليها الخمر، كانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين وقد اكثر الشعراء من ذكرها.

(٢) باري: قرية من أعمال كلواذي من نواحي بغداد، كانت بها بساتين ومتنزهات، يقصدها أهل البطالة.

(٣) بنى: قرية على شاطئ دجلة من نواحي بغداد بينها نحو فرسخين، وهي تحت كلواذي، وكانت في بغداد قريتان تسميان بهذا الاسم. وإحداهما أراد أبو نواس حين قال:

ما أبعد الرشد من قلب تضمنه ... قطربل فقرى بنّى فكلواذي

(٤) بزل الدنّ: ثقبه ليسيل ما به من خمر.

صوت

طَرِبتَ وأنت مَعنِيٌّ كئيبُ وقد يَشتاق ذو الحَزَنِ الغريبُ
وشاقَكَ بالمُوَقَّرِ[١] أهلُ خاخٍ[٢] فلا أَمَمٌ هنــاكَ ولا قريبُ
وكم لك دونها من عُرْض أرضٍ كأنّ سَرابَها الجـاري سَبيبُ
لعَمــرُكَ إنّني بِرَقيمِ[٣] قَيس وجارةِ أهلِها لأنا الحَرِيبُ

– الشعر للأحوص، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِيٌّ بالبنصر عن عمرو – قــال : فلما أخذه مخارق جعل أبي يبكي، ثم قال له : يا مخارق، نِعمَ وسيلة إبليس أنت في الأرض، أنت والله بعدي صاحب اللِواء في هذا الشأن .

تفاخر بينه وبين ابنه :

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :

لما صنع أبي لحنه في :

ليتَ هنداً أنجزَتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا ممـا تَجِدْ

خاصمتُه وعِبتُه في صنعته ، وقلت له : أمَا بإزائك من ينتقد أنفاسك ويعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ! تجيء الى صوت قد عمل فيه ابنُ سُرَيج لحناً فتُعارضه

(١) الموقر : اسم موضع من عمل البلقاء بنواحي دمشق .

(٢) خاخ : موضع بين الحرمين، ويقال له : روضة خاخ بالقرب من حمراء الأسد بالمدينة .

(٣) الموجود في المراجع «الرقيم» بدون إضافة، وهو موضع بقرب البلقــاء من أطراف الشام، وكان ينزله يزيد بن عبد الملك .

بلحن لا يقاربه والشعرُ أوسعُ من ذلك ! فدَعْ ما قد اعتَوَرَتْه(١) صناعةُ القُدماء وخُذْ في غيره ؛ فغضب، وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي وأعيب ما يُعاب من صنعته، فان قَبِل منّي فذلك، وإن غضب داريتُه وترَضّيتُه ؛ فقال لي : ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرني بخيرِ صوتٍ صنعتَه في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت ؛ فلما رأيتُ الجِدَّ منه اخترت صنعتي في هذا اللّحن :

قل لمن صَـدَّ عاتباً ونأى عنـك جانِباً
قـد بلغتَ الذي أردْ تَ وإن كنتَ لاعباً

وكان ما تَجارَيناه ونحن نَتسايَر خارِجَين الى الصحراء نقطع فَضلةَ خُمارٍ بنا(٢) ؛ فقال : مَن تُحبّ أن يحكم بيني وبينك ؟ فقلت : من تُرى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ من يطلع علينا أُغنّيه لحني وتُغنّيه لحنَك ؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم ؛ فأقبلَ شيخ نَبَطِيٌّ يحمل شوكاً على حمار له، فأقبل عليه أبي فقال : إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء ؛ قال : وأيّ شيء هو ؟ فقلنـا : زعَم كلٌّ واحد منّا أنه أحسنُ غناء من صاحبه، فتسمع منّي ومنه وتحكم ؛ فقال : على اسم الله ؛ فبدأ أبي فغنّى لحنَه، وتبِعتُه فغنّيتُ لحني، فلما فرَغتُ أقبل عليّ فقال لي : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى ؛ فلَطَمَني أبي لَطْمةً ما مرّ بي مثلها منه قطُّ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفاً ولا راجعتُه بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفُسَـنا ممّا تَجدْ
واستبدّتْ مرّةً واحـدةً إنمـا العاجز من لا يَستَبِدْ

(١) اعتور الشيء : تداوله وتعاطاه .

(٢) الخمار : بقية السكر .

زعموها سألتْ جاراتِها[١] ذاتَ يومٍ وتعرّت تبترِدْ[٢]
أكما يَنعتُنني تُبصِرنني عَمرَكُنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحكْنَ[٣] وقد قُلن لها حسَنٌ في كلّ عينٍ من تَوَدّ
حسداً حُمِّلنَه من أجلِها وقديماً كان في الناس الحسدْ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. ولحنُ إبراهيم فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سُرَيج رمَلٌ بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكيّ، وذكره إسحاقُ في هذه الطريقة ولم ينسُبه الى أحد، وقال الهشاميّ: أدلُّ شيء على أنه لمالكٍ شَبَهُه للحنه:

أسلَمي يا دارُ مِن هندِ

وفيه لُمتَيّم ثقيلٌ أوّل. وأما لحن إسحاقَ الذي فاخر به صنعةَ أبيه، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه — وهما جميعاً لإسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو — في أخبار إسحاق.

غناؤه يطلق سجيناً:

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال:

كان الرشيد قد وجد على منصور زَلزَل لشيء بلغه عنه، فحبسه عشرَ سنين أو نحوَها؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته، فجعل إبراهيم يغنّي صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زَلزَل، وهو:

(١) ويروى: «جارتها».

(٢) تبترد: تغتسل بالماء البارد.

(٣) في الكامل للمبرد: «فتهانفن». والإهناف والمهانفة والتهانف: ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ وخصه بعضهم بضحك النساء.

هل دهرُنا بك راجعٌ يا زَلزَلُ   أيامَ يَبغينا العدوُّ المبطِلُ
أيامَ أنتَ من المكاره آمنٌ   والخيرُ مُتَّسِعٌ علينا مُقبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فقد الإمامَ وقُربَه   ماذا به من ذِلَّة لو يَعقِلُ
ما زلتُ بعدك في الهموم مُرَدَّداً   أبكي بأربعةٍ[1] كأني مُثْكِلُ

– الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو – قال: ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم، أيَّ شيء كنتَ تقول؟ فقال: خيراً يا سيِّدي؛ فقال: هاته فتلكأ، فغضب الرشيد وقال: هاته فلا مكروهَ عليك، فردَّ الغناء؛ فقال له: أتُحبُّ أن تراه؟ فقال: وهل يُنشَر أهل القبور؟ فقال: هاتوا زَلزَلاً، فجاءوا به وقد ابيضَّ رأسه ولحيته فسُرَّ به إبراهيم؛ وأمرَه فجلس، وأمر إبراهيمَ فغنَّى وضرب عليه فزلزلا الدنيا، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلاً، وأمر بإطلاق زَلزَل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله. قال: وزَلزَلُ أوَّلُ من أحدث هذه العيدانَ الشَّبابيط[2]، وكانت قديماً على عمل عيدان الفُرس، فجاءت عَجَباً من العجب. قال: وكانت أختُ زلزل تحت إبراهيم، وقد ولَدَت منه.

أول أستاذ له في الغناء:

أخبرني محمد بن مَزيَد عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أوَّلُ من تعلَّمتُ منه الغناء مجنونٌ، كان إذا صِيح به: يا مُضَر، يَهيج ويرُجم؛ فبلغني أنه يغنّي أصواتاً فيُجيدها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت

(١) يريد بالأربعة: اللحاظين والموقين للعينين، فان الدمع يجري من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

(٢) الشبابيط: جمع شبوط، وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط: (عود).

أدخِله إليّ فأُطعِمُه وأسقيه وأخدعه حتى آخذ عنه ، وكان حاذقاً ؛ فأوّلُ صوت أخذ تُه عنه :

أرسِـلي بالسّلام يا سَلْم إنّي منذُ عُلّقتُكم غنيٌّ فقـيرُ
فالغنى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـــرُ بأني أزورُ من لا يزورُ
وَيحَ نفسي ! تسلو النفوسُ ونفسي في هوى الرّيم ذكرُها ما يَحورُ
مَنْ لنفسٍ تَتوق أنتِ هواها وفؤادٍ يكاد فيكِ يطـيرُ

ثم مكثتُ زماناً آخذ عنه ، وكان إذا عاد اليه عقله من أحذق الناس وأقومِهم على ما يؤدّيه ؛ ثم غاب عنّي فما أعرف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يَزيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر غيره أنه لعمرَ الواديّ ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبش .

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال :

خرجتُ مع الرشيد الى الشام لمّا غزا ، فدعاني يوماً فدخلت اليه الى مجلسٍ لم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وجعلت أتولّى خدمتَه الى العصر ، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني معه ، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْيٍ من ثيابه وأمر لي بألف دينار ، ثم قال : انظر يا إبراهيم ، كم من يَدٍ أوليتُك إيّاها اليومَ ! نادمتَني مفرداً ، وآكلتَني ، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني ، ووصلتُك ، وأجلستُك في إيوان مَسلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛ فقلت : يا سيّدي ، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك ، وإنّ نِعَمك عندي لأكثرُ من أن تحصى ، وقبّلتُ رِجله والأرض بين يديه .

هو اول من غنى الرشيد :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال قال دِعْبِل بن عليّ :

لمّا ولي الرشيد الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأُمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّل مَن غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه، وهو:

صوت

إذا ظُلَمُ البـلادِ تجلّلَتْنا فهارونُ الإمامُ لها[1] ضِياءُ
بهارونَ أستقام العدلُ فينـا وغاض الجَوْرُ وأنفسح الرجاءُ
رأيتُ الناسَ قد سكنوا اليه كما سكنَتْ الى الحَرَمِ الظِّباءُ
تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حقٍّ فشأنك في الأمور به أقتداءُ

فقال له الخادم من خَلْفِ الستارة: أحسنتَ يا إبراهيم في شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحنُ إبراهيمَ في هذا الصوت ثقيل أوّل بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المكيّ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يَزيد بن محمد المُهلّبيّ قال حدّثني أبي قال:

كنت أنا وأبو سعيد النَّهديّ وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعين في بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا؛ فلمّا توسّطنا أمرَنا اذا نحن برجل قد دخل علينا البستانَ جميلِ الهيئة حسنِ الزّيّ، فلما بصُرنا به من بعيد، وثَبَ هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه، فقبّل يدَه وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منّا، فجاء وسلّم سلامَ الصَّديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فإني أجتزتُ بكم فسمعت غناء أبي القاسم فاستخفّني وأطربني، فدخلت اليكم واثقاً بأنـه لا يُعاشر إلا فتًى ظريفاً يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنّيكم لمّا غنّى:

(١) ويروى: «لنا».

قُلْ لكرامٍ ببابنا يَلِجوا ما في التَّصابي على الفتى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلقة بمعرفتي ؛ فمن عرفني فقد اكتفى ، ومن جهلني فأنا إبراهيم الموصليّ ؛ فقمنا فقبّلنا رأسه وسُررنا به أتمّ سرور ، وانعقدتْ بيننا وبينه يومئذٍ مودّة ، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة ، وإذا هاشم قد أنفذ الينا منه رُقعةً فيها :

أهاشمُ هل لي من سبيل الى التي تُفرّق همَّ النفس في كلّ مَذهبِ
مُعتّقة صرفاً كأن شُعاعها تَضرّمُ نارٍ أو توقّدُ كوكبِ
ألا ربّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ بها والفتى النَّهديُّ وابن المُهلّبِ
نُديرُ مُداماً بيننا بتحيّة وتَفدية بالنفس والأمّ والأبِ

عقعق يسرق خاتمه :

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان لي وأنا صبيّ عَقْعقٌ(١) قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعه ، فسرق خاتَمَ ياقوتٍ كان لأبي قد وضعه على تُكأته ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً ، فلم يَقِف له على خبر ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبش تراباً فأخرج الخاتم منه ولعب به طويلاً ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأخذتُه وجئت به الى أبي ، فسُرَّ بذلك وقال يهجو العقعق :

إذا بارك الله في طائرٍ فلا بارك الله في العقعقِ
طويلِ الذُّنابى(٢) قصير الجناح متى ما يجد غَفلةً يسرقِ
يُقلّب عينين في رأسه كأنهما قَطرتا زِئبقِ

---

(١) العقعق : طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ، وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة ، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل في السرقة والخيانة والخبث .

(٢) الذنابى : الذنب .

امتحان المغنين :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن المكيّ ، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جحظة بهذا الخبر فقال حدّثني به محمد بن أحمد بن يحيي المكيّ المرتجل عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلّها :

أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيي : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على اختلاط الأمر فيها فهلمّ أقاسمك إياها وأخايرك ، فاقتسما المغنّين ، على أن جعلا بإزاء كل رجل نظيره ، وكان ابن جامع في حيّز الرشيد وإبراهيم في حيّز جعفر بن يحيي ، وحضر الندماء لمحنة(١) المغنّين ، وأمر الرشيدُ ابنَ جامع فغنّى صوتاً أحسن فيه كلّ الإحسان وطرب الرشيد غايةَ الطرب ، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنّه ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل ، فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأوّل وأرضى في كل حال ، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان اثنان، غنّ يا إسماعيل، فغنّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلهما، فلما أتى على آخره، قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً ؛ فقال له جعفر : أخزيتنا أخزاك الله . قال : وأتمّ ابنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به ، وأجازه بجوائزَ كثيرةٍ وخلع عليه خِلَعاً فاخرة، ولم يزل إبراهيمُ مُنخذِلاً مُنكسِراً حتى انصرف . قال : فمضى الى منزله ، فلم يستقرّ فيه حتى بعث الى محمد المعروف بالزفّ ، وكان محمد من المغنّين المحسنين، وكان أسرعَ من عُرف في أيامه في أخذ صوت يريد أخذَه، وكان الرشيد قد وَجد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزفّ : إني اخترتك على من هو أحبّ إليّ منك ، لأمرٍ لا يصلح

(١) المحنة : الاختبار، يقال : محنه اذا اختبره وجرّبه .

له غيرك ، فانظر كيف تكون! قال: أبلغ في ذلك محبّتك إن شاء الله تعالى؛ فأدّى اليه الخبر وقال: أريد أن تمضي الساعة الى ابن جامع ، فتعلمه أنك صِرت اليه مُهنّئاً بما تهيأ له عليّ ، وتتنقّصني وتثلبني[1] وتشتمني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولك ما تُحبّه من جِهتي من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال: فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذِن له: فدخل وسلّم عليه وقال: جئتك مهنّئاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابنَ الجرمُقانيّة[2] على يدك ، وكشف الفضل في محلّك من صناعتك؛ قال: وهل بلغك خبرُنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلي؛ قال: وَيحك! إنه يتصر عن العِيان؛ قال: أيها الأستاذ ، سُرّني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك ، وأسقط بيني وبينك الأسانيدَ؛ قال: أقم عندي حتى أفعلَ؛ قال: السمع والطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ فحدّثه بالخبر حتى انتهى الى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الزفّ: وما هو أيها الأستاذ؟ فغنّاه ابن جامع إياه فجعل محمد يُصفّق وينعَر[3] ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثاني ، فغنّاه إياه ، وفعل مثلَ فعله في الصوت الأوّل ، ثم كذلك في الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلّها وأحكمها قال له: يا أستاذ، قد بلغتُ ما أُحبّ، فتأذن لي في الانصراف؟ قال: إذا شئتَ؛ فانصرف محمد من وجهه الى إبراهيم؛ فلما طلع من باب داره قال له: ما وراءك؟ قال: كلّ ما تحبّ، أدع لي بعُود؛ فدعا له به، فضرب وغنّاه الأصوات؛ قال إبراهيم: وأبيك هي بصُوَرها وأعيانها ، رَدِّدها عليّ الآن ، فلم يزل يُردّدها حتى صحّت لإبراهيم ، وانصرف الزفّ الى منزله؛ وغدا إبراهيم الى الرشيد، فلما دعا بالمغنّين دخل فيهم ، فلما بصُر به قال له: أوَ قد حضرت! أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك

---

(١) ثلبه: عابه وتنقصه.

(٢) الجرمقاني، ومثله الجرمقي: واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الاسلام.

(٣) نعر الرجل: صاح وصوّت بخيشومه.

شهراً بسبب ما لقيتَ من ابن جامع ! قال : ولم ذلك يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ! والله لئن أذِنتَ لي أن أقول لأقولنّ ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقــال : إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيُعارِضك، ولا أن تكون مُتعصِّباً لحيّزٍ وجَنَبَةٍ[1] فيغالبك، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال : دَعْ ذا عنك، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز، فاندفع فأمرّ الأصوات كلّها ، وابن جــامع مُضغٍ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ؛ فاندفع ابن جامع يحلف بالأيمان المُحرجة أنه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلا من صَنعته ، ولم تخرج الى أحد غيره؛ فقال له : وَيحك ! فما أحدثتَ بعدي ؟ قال : ما أحدثت حدثًا ؛ فقال : يا إبراهيم بحياتي اصدُقني ! فقال: وحياتِك لأصدُقنّك ، رميته بحجَره[2]، فبعثت له بمحمد الزّفّ وضمنتُ له ضماناتٍ، أولها رضاك عنه، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ، وقد سقط الآن اللوم عنّي بإقراره، لأنه ليس عليَّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس ، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلّا فلو لزمني أن أرويَ صنعته للزمه أن يروي صنعتي، ولزم كلَّ واحد منّا لسائر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم، ونَضَحتَ[3] عن نفسك ، وقمت بحجّتك ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له : يا إسماعيل، أتيتَ أتيتَ ! دُهيتَ دُهيتَ ! أبطل عليك الموصليّ ما فعلتَه به أمسِ وانتصف اليومَ منك ؛ ثم دعا بالزّفّ فرضي عنه .

قال عليّ بن محمد : سألت خالي أبا عبد الله بن حَمدون وقد تجارينا هذا الخبرَ : هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أنه سمع إسحاقَ يحكي هذه القصّة ، وذكر أنّ الصوت الاول منها :

---

(١) الجنبة : الناحية .

(٢) في أساس البلاغة : «ورمى فلان بحجره اذا قرن بمثله» .

(٣) نضح الرجل عن نفسه : دفع عنها بالحجة .

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلفٍ إذا بانت قرينتُه بكاها
وما فارقتُ لُبنى عن تقالٍ[1] ولكن شقوةٌ بلغتْ مداها

الشعر لقيس بن ذَريح . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه ليحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ آخر بالخنصر والبنصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أول عن الهشامي .

قال : والثاني منها :

صوت

عفت دارَ سلمى بمُفضى الرَّغام رياحٌ تعاقَبُها[2] كلَّ عامِ
خِلافَ[3] الحلولِ بتلك الطّلول وسحبِ الذُّيول بذاك المقامِ
وأنس الديار وقرب الجِوار وطيب المَزار وردّ السلامِ
ودهرٍ غريرٍ[4] وعيش السُّرور ونأي الغيور وحُسن الكلامِ

الشعر لحمّاد الرّاوية . والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبنصر ؛ ذكر ذلك الخزنبلُ عن عمرو بن أبي عمرو . قال ابن حمدون : وهذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النَّغَم، مُحكَم العمل، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدّم صنعته، وكان المعتصم مُعجباً به، وكثيراً ما كان يُسكِت المغنّين إذا غُنّي بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

---

(١) التقالي : التباغض .

(٢) ويروى : « توارثها » .

(٣) ويروى : « خلال » .

(٤) وفي رواية : « عزيز » .

قال : والثالث منها :

صوت

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فٱستَعِرْ عيناً لغيرك دمعُها مِدرارُ
مَن ذا يُعيرك عينَه تبكي بها أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

الشعر للعبَّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أول بالوسطى؛ وقال ابن حمدون : وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر، فصنع فيه لحناً من الرَّمَلِ بالبنصر في مجراها، فلم يَلحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغي أن يُذكر هاهنا .

حدّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني أبو عبد الله الخزَنبَلُ قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال :

أنشد بشارٌ قولَ العبَّاس بن الأحنف :

نزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فٱستعرْ عيناً لغيرك دمعها مدرارُ

فقال بشار : لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر .

حدّثني محمد بن يحيي قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال :

أنشد الرشيدُ قولَ العباس :

من ذا يُعيركَ عينَه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فقال : يُعيره مَن لا حاطَه الله ولا حفِظه .

ومما يُغنّى فيه من قصيدة العبَّاس بن الأحنف الرائيَّة التي هذا الصوت الأخير منها قولُه :

صوت

الحبُّ أوّلُ ما يكون لَجاجةً تأتي به وتسوقُه الأقدارُ
حتى إذا سلَكَ الفتى لُجَجَ الهوى جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبارُ

غنّاه ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر . وفيه لِشاطرةَ امرأةِ منصورِ زَلْزَلٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر ابن المكيّ المرتجِلُ أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من ابن جامع :

يا قبرُ بين بيوت آل مُحرِّقِ[1]

و : عفا طَرَفُ القُرَيّةِ[2] فالكثيبُ

وأسقط منها قوله :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

و : بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلف

نسبة هذين الصوتين

صوت

يا قبرُ بين بيوتِ آل مُحرِّقِ جادت عليك رَواعِدٌ وبُروقُ
أمّا البكاء فقلّ عنك كثيرُه ولئن بكيتُ فبالبكاء حقيقُ[3]

(١) آل محرق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم .

(٢) القرية تطلق على عدّة أماكن .

(٣) ويروى : « خليق » .

الشعر لرجل من بني أسد يَرثي خالد بن نَضلة ورجلًا آخر[١] من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فقتلهما في سُخطه عليهما؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ابن جامع. والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان: ثقيل أوّل بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل: إن الرَّمَل لابن سُرَيج. وذكر حَبَشٌ أن لمحمد صاحب البِرام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

ومنها:

صوت

عفا رَسمُ القُرَيّة فالكثيبُ الى مَلحاء[٢] ليس بها عَريبُ[٣]
تأبّد[٤] رسمُها وجرى عليها سَفِيّ[٥] الريح والتُّربُ الغريبُ
فإنّكَ وٱطراحكَ وصلَ سُعدى لأخرى في مودّتها نُكوبُ
كثاقبةٍ لحَليٍ مستعار بأذنيها فشانَهما الثُّقوبُ
فردَّت حَليَ جارتها اليها وقد بَقيت بأذنيها نُدوبُ[٦]

الشعر لابن هَرمة. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. عن إسحاق. وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو. وقال عمرو: فيه لحنٌ للهذلي، ولم يُجنِّسه.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات

(١) هو عمرو بن مسعود. وقد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة.

(٢) ملحاء: واد من أعظم أودية اليمامة.

(٣) عريب: أحد.

(٤) تأبد المنزل: أقفر.

(٥) السفيّ: التراب المتذرى المتبدد.

(٦) الندوب: آثار الجرح في الجسم.

قال حدّثني عيسى بن أيوب القُرَشيّ قال حدّثني غَيث بن عبد الكريم عن فُلَيح ابن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب عن أبيه قال :

مررتُ بابن هَرمة وهو جالس على دُكّانٍ[1] في بني زُرَيق، فقلت له : يا أبا إسحاق، ما يُجلسك هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الرويّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت : ما هو ؟ قال :

فإنك واطِّراحَك وصلَ سُعدى لأُخرى في مودّتها نُكوبُ

قال : قلته ثم انقطع لي فيه؛ فمرّت بي جُوَيرِيَة صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأُكلّمها إذا مرّت بي، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغيّر خَلقُها، عمّا أعرِف، فسألتُها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره فاستعار لي أهلي حَلياً وثقبوا أذني لأَلْبَسه فورِم وجهي وأذناي كما ترى، فردّوه ولم أشهد العُرس؛ قال ابن هَرْمة : فاطّرَد لي الشعرُ فقلت :

كثاقبةٍ لِحَلْيٍ مستعارٍ بأذنيها فشانَها الثقوبُ
فردّتْ حَلْيَ جارتها اليها وقد بقيت بأذنيها نُدوبُ

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العبّاس بن الفضل قال حدّثني أبي قال :

قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامع وابنِ أبي الكَنّات : باكِروني غداً، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدِر أن يقولَه، وغنّى فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهديّ : فقمتُ في السَّحَر وجَهِدت أن أقدِر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي، فلمّا خِفتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم : إني أريد أن أمضي الى موضع ولا يَشعرُ بي أحد حتى أصيرَ اليه، وكانوا يَبيتون على باب داري، فقمت فركبت

---

(١) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها .

وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصليّ، وكان قد حدَّثني أنه إذا أراد الصنعة لم يَنَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج اليه، وإذا قام لحاجته في السَّحَر اعتمد على خشبة له في المُستراح، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفرُغَ من الصوت ويرسَخَ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه، فإذا هو يُردِّد هذا الصوت :

صوت

إذا سُكِبتْ في الكأسِ قبل مِزاجها ... تَرى لونَها في جِلدةِ الكأس مُذْهبا
وإن مُزِجتْ راعت بلون تخاله ... إذا ضُمِّنتْه الكأسُ في الكأسِ كوكبا
أبوها نِجاءُ(١) المُزْنِ والكَرْمُ أمُّها ... فلم أرَ زَوجاً(٢) منه أشهى وأطيبا
فجاءتك صَفْرا أشبهت غيرَ جنسها ... وما أشبهت في اللون أمّاً ولا أبا

قال : فما زِلتُ واقفاً أستمع منه الصوتَ حتى أخذتُه ؛ ثم غدَونا الى الرشيد، فلمّا جلسنا للشرب خرج الخادمُ إليَّ فقال : يقول لك أميرُ المؤمنين : يأبن أمّ غنّني ؛ فأندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرَغتُ منه، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف درهم؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أنّ الشعر له قاله البارحة وغنّى فيه، ما سبقه اليه أحدٌ ؛ فقال إبراهيم : يا سيّدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهتُه(٣) ! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ ؛ فلما قضيتُ أرَباً من العَبَث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقّ أن يُتّبع، وصدَقتُه ؛ فقال للموصليّ : أمّا أخي فقد أخذ المال ولا سبيل الى ردّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّكَ ؛ فأمر له بها فحُمِلتْ اليه .

---

(١) النجاء : جمع النجو وهو السحاب الذي قد هراق ماءه ثم مضى، وقيل : هو السحاب أول ما ينشأ .

(٢) الزوج : النوع والصنف .

(٣) البهت : الافتراء والكذب .

فرّق هداياه :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال :

أتى إبراهيمُ الموصليّ محمدَ بن يحيي بن خالد في يوم مِهرجان، فسأله محمدٌ أن يقيمَ عنده؛ فقال : ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني؛ قال : فتمر بنا إذا انصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهدى إليَّ اليومَ ؟ فقال : نعم، وترك في المجلس صديقاً له يُحصِي ما يُبعث به اليه؛ قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب؛ قال : وأهدِيَ اليه تِمثالُ فيلٍ من ذهب عيناه ياقوتتان؛ فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به الى فلانة ففعل؛ وانصرف إبراهيم اليه فقال : أحضِرني ما أُهدي لك، فأحضره ذلك كلّه إلا التمثال، وقال : لا بدّ من صِدقك، كان من الأمر كذا وكذا؛ فقال : لا ! إلّا على الشّريطة وكما ضَمِنتَ، فجيء بالتمثال؛ فقال إبراهيم : أليس الهديّة لي فأعملَ فيها ما أريد ؟ قال : بلى، قال : فرُدَّ التمثال على الجارية؛ وجعل يُفرِّق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من في دُور الحُرَم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء، ثم أخذ من المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال : هذا لي، وانصرفَ؛ فجعل محمد يَعجَب من كِبَر نفسه ونُبله .

الرشيد في منزله :

وقال أحمد بن المرزُبان حدّثني بعض كتّاب السلطان :

أنّ الرشيد هبّ ليلةً من نومه، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه، وخرج في دُرّاعة وَشيٍ مُتلثِّماً بعمامةِ وشيٍ ملتحفاً بإزارِ وَشيٍ بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفرّاشين، وكان مسرورٌ الفَرغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصليّ . قال مسرور : فمضى ونحن معه وبين

يديه حتى انتهى الى منزل إبراهيم؛ فخرج فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي مثل هذه الساعة تظهر! قال: نعم، شوقٌ طرق لك بي؛ ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم؛ فقال له إبراهيم: يا سيّدي أتنشَط لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خاميزُ[١] ظبي، فأُتي به كأنما كان مُعدّاً له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حُمِل معه؛ فقال الموصليّ: يا سيّدي، أوُغنّيك أم تغنّيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري؛ فخرج جواري إبراهيمَ فأخذْنَ صدرَ الإيوان وجانبيه؛ فقال: أيضرِبن كلّهن أم واحدة؟ فقال: بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغنّي واحدة فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشَط لشيء من غنائهنّ، الى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته:

يا مُوريَ الزّند قد أعيتْ قوادُحه ... أقبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ
ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم ... إذا نظرتُ فلم أُبصرك في الناسِ

قال: فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فاستدناها فتقاعَست، فأمرَ بها فأُقيمت حتى وُقفتْ بين يديه، فأخبرته بشيء أسرّته اليه؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف، ثم التفت الى إبراهيم فقال: ما ضرّك ألّا تكون خليفة! فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك. قال: وكان الذي خبّرته به أن الصنعة في الصوت لأخته عُليّة بنت المهديّ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها الى إبراهيم يُطارحها، فغار الرشيد. ولحنُ الصوت خفيفُ رمَل.

شعره في ابنة خمارة:

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

---

(١) الخاميز: اسم أعجمي تعريبه عامس وآمس، وبعضهم يقول: عاميص وآميص، وهو طعام يتخذ من لحم عجل بجلده، أو مرق السكباج (الأكارع تطبخ بمرق فيه عصير الليمون ثم تغرف بمرقتها وتترك حتى تبرد ويجمد المرق فيكون في قوام الفالوذج، وهو أيضاً لحم أو سمك يطبخ بخل) المبرد المصفى من الدهن.

كان أبي يألف خَمّارةً بالرّقة يقال لها بِشرة تنزِل الهنيء والمريء، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يتحلّاها[١]، ثم رحل الرشيد عن الرّقة الى بلاد الروم في بعض غزواته، فقال أبي فيها:

أيا بنتَ بِشرةَ ما عاقَني عن العهد بَعدكِ من عائقِ
نَبى النّومَ عنّي سنا بارق وأشهقني في ذُرى شاهقِ

قال: وفيها يقول أيضاً من أبيات له، وله فيها صنعة من الرّمل الأوّل:

صوت

ووزعمتِ أنّي ظالمٌ فهجرتِني ورَميتِ في قلبي بسهمٍ نافذِ
ونَعمْ ظلمتُكِ فاْغفري وتجاوزي هذا مَقامُ المستجيرِ العائذِ

ذكر حمّاد في هذا الخبر أن لحن جدّه من الرّمل. ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكيّ أنّ له فيها لحنين: أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثاني ثقيل.

أغانيه في السجن:

حدّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال:

حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصليّ عند أبي العبّاس (يعني أباه عبدَ الله بن مالك[٢]) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوي له:

يا أخلّاء قد مَللتُ مكاني وتذكّرتُ ما مضى من زماني

(١) تحلى الشيء واستحلاه واحلولاه بمعنى.

(٢) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالهادي فالرشيد وكان من أكابر القوّاد وتولى أرمينية وأذربيجان.

شُرْبِيَ الراح إذ تقوم علينــا ذاتُ دَلٍّ كأنها غصنُ بانِ

قال: وغنّى في الحبس أيضاً:

أَلا طال ليلي أُراعي النجوم أُعالج في السَّاق كَبلًا[١] ثقيلا

مات في الأبزن:

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني علّويه الأعسر قال:

دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن[٢] وبه القُولَنج[٣] الذي مات فيه، وهو يترنّم بهذا الصوت:

صوت

تغيّرَ منّي كلُّ حُسنٍ وجِدَّةٍ وعاد على ثَغري فأصبح أثْرَما
ومَحّلَ أطرافي فزالتْ فصوصُها وحَنّى عظامي عُوجها والمُقوَّما

قال محمد: فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ، فقال: كذب أبنُ الزانية! والله ما كان يجترئ أن يدخل الى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جَهد، فكيف يدخل الى أبي إسحاق وهو جالس في الأبْزَن.

(١) الكبل: القيد.

(٢) الأبزن (مثلث الهمزة): حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الانسان أو أقصر منها، عليه غطاء منقوب، يضع فيه الأطبــاء المريض ويخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب المطبوخات او الماء المغلي بالأدوية الحارة.

(٣) القولنج (وقد تكسر لامه او هو مكسور الــلام وتفتح القاف وتضم): مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح.

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخوريّ بالوسطى عن عمرو ، وثاني ثقيل عن ابن المكيّ .

حدّثني جحظة قال :

كان المقتدر يدعونا في الأحايين ، فكان يحضر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العُبَيس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصيف الزّامر ، وكان أكثر ما تُدعى له أنّ جواريَه كنّ يطالبنه بإحضارنا ليأخذن منّا أصواتاً قد عرفْنها ويسمَعْننا ، فنغنّي فيأخذنَ ما يستحسِنّه ، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار ، ولي بمائتي دينار ، ولوَصيف بمائتي دينار ، ولسائر مَن لعلّه أن يَحضُر معنا بمائتين الى المائة الدينار الى الألف الدّرهم ، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري ، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيَه ، وبين يَدَيْ كلِّ واحد منا قِنّينةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومَغسَلٌ(١) وكوزُ ماء ؛ فغنّتْ يوماً صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصليّ :

تغيّر منّي كلُّ حُسن وجِدّةٍ وعادَ على ثَغري فأصبح أثْرَمَا

فشربتُ عليه ، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه ؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العُبَيس بكتِفي وقال : يا مجنون ! إنما دُعيتَ لتُغنّيَ لا لتُغنَّى وتَطرَب وتَشرَب ، فلعلّك تسكَر ، حَسبُك ! فأمسكتُ طمعاً أن تردّه بعد ذلك ، فما فعلتْ ولا اجتمعنا بعدها ، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحداً غنّى هذا الصوتَ أحسنَ مما غنّته .
قال : وكان المقتدر ابتاعها من زِرياب .

---

(١) المغسل (بكسر السين وفتحها) : ما يغسل فيه .

سعيد في رد مغترب :

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال :

بينا أنا بمكة أجول في سككها إذا أنا بسوداء قائمة ساهية باكية ، فأنكرتُ حالها وأدمنتُ النظر اليها ؛ فبكَتْ وقالت :

أعمرُو عَـلامَ تجنّبتَني ... أخذتَ فؤادي وعذّبتَني
فلو كنتَ يا عمرُوا خبّرتني[1] ... أخذتُ حِذاري فما نِلتَني

فقلت لها : يا هذه ، من عمرٌو ؟ قالت : زوجي ؛ قلت : ومـا شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يَهواني وما زال يطلبني حتى تزوّجتُه ، فلبث معي قليلًا ثم مضى الى جُدَّةَ وتركني ؛ فقلتُ لها : صِفيه لي ؛ قالت : أحسنُ مَن أنت رائيه سمرةً وأحلاهم حلاوةً وقدًّا ؛ قال : فركبتُ رواحلي مع غِلماني وصرتُ الى جُدَّةَ ، فوقفتُ في موضع المرفأ أتبصّرُ مَن يحمل مِن السفن ، وأمرتُ مَن يَصوت : يا عمرو يا عمرو ، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ[2] فيه طعامٌ ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إياه ، فقلتُ :

أعمرُو عَـلامَ تجنّبتَني ... أخذتَ فؤادي وعذّبتَني

فقال : هِيهِ[3] ! أرأيتَها وسمعتَ منها ؟ فقلتُ : نعم ، فأطرق هُنَيهةً يبكي ، ثم اندفع فغنّى به أملحَ غناء سمعتُه ، وردّده عليّ حتى أخذتُه منه ، وإذا هو أحسنُ الناس غناء ؛ فقلتُ له : ألا ترجع اليها ؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُني ؛ فقلتُ : كم يكفيكَ معها في كلّ سنةٍ ؟ فقال : ثلثمائة درهم — قال إسحاقُ : قال لي أبي :

---

(١) يروى : « حذرتني » .

(٢) الصنّ : شبه السلة المطبقة، يجعل فيها الطعام والخبز .

(٣) هيه : معناه طلب الحديث والاستزادة منه .

فوالله يا بُنيّ لو قال ثلثمائة دينار لطابتْ نفسي بها — فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم ، وقلتُ له : هذا لعشر سنين على أن تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاشَ إلا حيث هي مقيمةٌ معك ، ويكون ذلك فضلًا ؛ ورددتُه معي اليها .

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأضجم) عن إبراهيم الموصليّ — قال : وكان صالح جاره — قال :

بينا أنا عَشيّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خَدَم الرشيد فأستحثّني بالركوب اليه فخرجت شبيهاً بالراكِض ، فلما صرتُ الى الدار عُدِل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فأنتُهي بي الى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صحناً واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصُّحون الواسعة ، فإذا هو جالس على كرسيّ في وسط ذلك الصَّحن ، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه ، وإذا هو في لِبْسَتِه التي كان يلبَسها في الصيف : غِلالةٌ[1] رقيقة مُتوشّح عليها بإزار رَشيديّ عريضِ العَلَم مُضرَّج[2] ؛ فلما رآني هَشَّ لي وسُرّ ، وقال : يا مَوصليّ ، إني أشتهيتُ أن أجلس في هذا الصَّحن فلم يتّفق لي الى اليوم ، وأحببتُ ألا يكون معي ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالخُدّام ، فوافاه مائةُ وَصيفٍ ، وإذا هم بالأرِقة مستترون بالأساطين[3] حتى لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعاً ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل من قطع المُصلّيات ، فأُتيتُ بمقعد فأُلقيَ لي تُجاه وجهه بالقرب منه ؛ ودعا بعود فقال : بحياتي أطربني بما قدرْتَ ؛ قال : ففعلتُ وأجتهدتُ في ذلك ونشِطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عشيّتي ؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ ، فقام مَقامَه الذي كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنه يريد أن يُسارّه بشيء ، فأومأ اليه بالدنوّ ، فدنا فألقى في أذنه كلمةً خفيفةً ثم تنحّى ، فأستشاط غضباً وأحمرّتْ عيناه وأنتفختْ أوداجُه ، ثم قال : حتّامَ أصبرُ

(١) الغلالة : الشعار الذي يلبس تحت الثياب ويلي شعر الجسد .

(٢) مضرج : مصبوغ بضرب من الصبغ أحمر .

(٣) الأساطين : الأعمدة .

على آل بني أبي طالب! والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شيعتَهم ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ! فقلتُ: إنا لله! ليس عند هذا أحدٌ يُخرجُ غضبَه عليه، أحسبه والله سيُوقِعُ بي، فاندفعتُ أُغنّي:

صوت

نِعمَ عَوناً على الهموم ثلاثٌ مُتْرَعاتٌ من بعدهنَّ ثلاثُ
بعدها أربعٌ تَتِمّةُ عشرٍ لا بِطاءٌ لكنَّهنَّ حِثاثُ[1]
فإذا ناولَتْكَهنَّ جوارٍ عَطِراتٌ بيضُ الوجوه خِناثُ
تمَّ فيها لك السرورُ وما طَيَّبَ عيشاً إلا الخِناثُ الإناثُ

قال: وَيلَكَ! أسقِني ثلاثاً لا أُمتْ همّاً؛ فشرب ثلاثاً متتابعة، ثم قال: غنِّ فغنَّيتُ، فلمّا قلتُ:

ثلاثٌ مُترعاتٌ من بعدهنَّ ثلاثُ

قال: هاتِ وَيلك ثلاثاً!، ثم قال لي: غنِّ، فلمّا غنّيتُه قال: حُثَّ عليَّ بأربع تتمةِ العشر، ففعل؛ فوالله ما استوفى آخرهنَّ حتى سَكِر، فنهض ليدخل، ثم قال: قم يا موصليّ فانصرف، يا مسرورُ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقّي إلّا سبقتَه الى منزله بمائة ألف درهم، لا أستأمر فيها ولا في شيء منها؛ فخرجتُ والله وقد أمِنتُ خوفي وأدركتُ ما أمّلتُ، ووافيتُ منزلي وقد سَبقَتني المائةُ الألفِ الدّرهم اليه.

أخبرني عمي قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيي بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال:

خرج رسول الرشيد ذات ليلةٍ الى المغنّين فقال: غنّوا:

(١) حثاث: مسرعات.

يا خليليَّ قــد مَلِلتُ ثَوائي ... بالمُصلَّى وقد سَئِمتُ[1] البَقيعا[2]

بلِّغاني[3] ديارَ هندٍ وسُعدى ... وأرجعاني فقد هَويتُ الرجوعا

قال : فغنّاه ابنُ جامع ، فلما فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب ؛ فقال له إبراهيم الموصليّ : يا سيّدي ، فأسمعه من نُبَيْطِيِّك فغنّاه ، فجعل ابنُ جامع يزحف من أوّل البيت الى آخره ، وطرِب هارون فقال : ارفعوا الستارةَ ؛ فقال له ابن جامع : مني والله أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال : بحياتي صدَق ؟ قال : صدق وحياتِك يا سيّدي؛ قال : وكيف أخذته وهو أبخلُ الناس إذا سُئل شيئاً ؟ قال : تركتُه يغنّيه وكان سكِر يسترسل فيه فيغنّيه مُستوياً ولا يتحرّز منّي ، فأخذته على هذا منه حتى وفَيت[4] به .

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال :

كان بَرصُوما الزّامرُ وزَلزَلٌ الضاربُ من سَواد أهل الكوفة من أهل الخُشنة[5] والبَذاذةِ والدناءة، فقدِم بهما أبي معه سنةَ حجٍّ ، ووقفهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما ؛ فحدّثني أبي قال : كان لِزَلزَل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضربَ وسألني مطارحتَها فطارحتُها ، وكانت مطبوعةً حاذقــة ؛ قال : فكان يَصونُها أن يسمعها أحدٌ ؛ فلما مات بلغني أنها تُعرَض في ميراثه للبيع ، فصرتُ اليها لأعترِضها ؛ فغنّت :

أقفرَ من أوتاره العــودُ ... فالعودُ للأوتار معمودُ

---

(١) ويروى : « شئت » .

(٢) المصلى والبقيع : موضعان بالمدينة .

(٣) في رواية : « بلغا بي ... وارجعا بي » .

(٤) يريد : جئت به وافياً تاماً لم أنقص منه شيئاً .

(٥) الخشنة : الخشونة، ورجل ذو خشنة : صعب لا يطاق . والبذاذة : رثاثة الهيئة .

وأوحش المزمارُ من صوته فما له بعدكَ تغريدُ
مَن للمزامير وعيدانِها وعامرُ اللّذات مفقودُ
الخمرُ تبكي في أباريقها والقَيْنةُ الخَمصانةُ الرُّودُ (١)

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرَّقة؛ قال : فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي . فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرت ؛ فقال لها : غَنّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنك غنّيتِه ، فغنته وهي تبكي ؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغرغرت عيناه ، وقال لها : أتحبّين أن أشتريكِ ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لقد عرَضتَ عليّ ما يقصُر عنه الأملُ ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيّدي فينتفعَ بي ؛ فازداد رقّةً عليها ، وقال : غَنّي صوتاً آخر ، فغنّت :

العينُ تُظهر كتماني وتُبديهِ والقلبُ يكتم ما ضَمّنتُه فيهِ
فكيف ينكتم المكتوم بينهما والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيهِ

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَقَ ، ولم يزل يُجري عليها إلى أن ماتت .

أخبرنا محمد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بَكّرْ عليّ غداً حتى نَصطبحَ؛ فقلتُ له : أنا والصبحُ كفَرَسَيْ رِهانٍ ؛ فبكّرتُ فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان ، حُلوةُ المنظر ، دَمِثة الشمائل ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غنّي ، فغنّتْ في شعر أبي نُواس وهو :

تَوهّمه قلبي فأصبح خدّه وفيه مكانَ الوَهم من نظري أُثْرُ (٢)
ومرّ بفكري خاطراً فجرحتُه ولم أرَ جسماً قطُّ يَجرحه الفِكرُ

---

(١) الرؤد (وزان قفل وسهلت همزته) : الشابة الناعمة الحسنة .

(٢) أثر الجرح (بالضم وبضمتين أيضاً) : أثره يبقى بعد ما يبرأ .

وصافحه قلبي فآلم كفه فمِنْ غَمزِ قلبي في أنامله عَقْرُ

قال إبراهيمُ : فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدتُ أن أفتضحَ ، فقلتُ : مَن هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قلبي الغداةَ وقلبُها لي فنحن كذاك في جَسَدَينِ رُوحُ

ثم قال لها : غنّي ، فغنّتْ :

صوت

تقول غداةَ البَينِ إحدى نسائهم لِيَ الكَبِدُ الحَرّى فسِرْ ولكَ الصَّبرُ
وقد خنقتْها عَبرةٌ فدموعُها على خدّها بِيضٌ وفي نحرِها صُفرُ

— الشعرُ لأبي الشِّيص . والغناء لعمرِو بن بانةَ ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لمُتَيَّمَ ثاني ثقيلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر — قال : فشرب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم ؛ فغنّيتُ حسبَ ما في قلبي غيرَ مُتحفِّظٍ من شيء :

تَشرَّبَ قلبي حبَّها ومشى به تَمَشِّي حُمَيّا الكأس في جسم شاربِ
ودبَّ هواها في عِظامي فشفَّها كما دبَّ في المَلسوع سمُّ العقاربِ

قال : ففَطِن بتعريضي ، وكانت جهالةً منّي ؛ قال : فأمرني بالانصراف ، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه ؛ فلما كان بعد شهر دَسَّ إليَّ خادماً معه رُقعةٌ ، فيها مكتوب :

قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجـد ولم يَدرِ مَن هَويتُ بما بي
يا كتابي فأقرَ السلامَ على مَن لا أُسمّي وقل له يا كتابي
إنّ كفًّا إليكَ قد بعثتني[1] في شَقاءٍ مُواصَلٍ وعذابِ

(١) ويروى : «إن كفا اليكم كتبتني» .

فأتاني الخادمُ بالرقعة؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنَّتك بين يدي أمير المؤمنين ؛ فأحسستُ القصَّة فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربتُه ضرباً شَفَيتُ به نفسي وغيظي، وركِبتُ الى الرشيد من فَوري فأخبرتُه القصَّةَ وأعطيته الرقعةَ؛ فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لِأمتحِنَ مذهبَك وطريقتَك، ثم دعا بالخادم؛ فلما خرج رآني فقال لي : قطع الله يديك ورجليك، وَيحك! قتلتني؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقّك لِما وردت به عليَّ، ولكن رَحِمتُك فأبقيتُ عليك، وأخبرتُ أميرَ المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقه . فأمر لي الرشيدُ بصِلةٍ سنيَّة؛ والله يعلم أني ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفافاً ولكن خوفاً .

طريقته في صنع الالحان :

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق قال :

أخبرني أبي أنه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدّي إبراهيمَ كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ، فقال : يا أمير المؤمنين، أُخرِجُ الهمَّ من فكري وأُمثِّل الطربَ بين عينيَّ، فتسوغ لي مسالكُ الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مُصيباً ظافراً بما أريد؛ فقال : يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفَر، وإنَّ حُسن وصفك لَمشاكِلٌ حُسنَ صنعتك وغنائك .

أخبرني ابن المَرزُبان قال حدَّثني حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائي ؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغنّيَ دهرِك .

قال حَمّاد قال لي محمد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب في الخفيف والثقيل، وكان مَعبد ينفرد بالثقيل، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل، وحَكَمٌ بالهَزَج،

ولم يكن في المُغنّين أحد يتصرّف في كل مذهب من الأغاني إلا ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق .

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطّيّب السّرخسيّ قال حدّثني أحمد بن ثابت العَبديّ عن أبي الهُذيل العَلّاف رأسِ المعتزلة عن ثُمامةَ بن أشرس قال :

مررتُ بإبراهيم الموصليّ ويزيدِ حوراء وهما مُصطبِحان، وقد أخذا بينهما صوتاً يُغنّيانه : هذا بيتاً وهذا بيتاً، وهو :

صوت

أيا جَبَلَيْ نَعمانَ باللهِ خَلّيَا سبيلَ(١) الصَّبا يَخلُصْ إليّ نسيمُها
فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ على نفسِ مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلتُ أنّ شيئاً بقي من لذّات الدنيا بعد ما كانا فيه .

إبليس يطارحه الغناء :

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال :

سألتُ الرشيد أن يَهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب، لأخلوَ فيه بجواريّ وإخواني، فأذِن لي في يوم السبت، وقال لي : هو يوم أستثقله، فالْهُ فيه بما شئتَ؛ فأقمتُ يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ اليه، وأمرتُ بوّابي فأغلقَ الأبوابَ وتقدّمتُ(٢) اليه ألّا يأذنَ عليّ لأحد؛ فبينا أنا في مجلسي والخدمُ قد حَفّوا بي وجواريّ يتردّدنَ بين يديّ، إذا أنا بشيخ

(١) وفي رواية : «نسيم الصبا» .
(٢) تقدمت اليه : أمرته .

ذي هيئة وجمال، عليه خُفَّان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قَلَنسوَةٌ لاطئة¹، وبيده عُكّازة مُقمَّعة بفضّة، وروائحُ المسك تفوح منه حتى ملأ البيتَ والدار؛ فداخلني بدخوله عليَّ مع ما تقدَّمت فيه غيظٌ ما تداخلني قطُّ مثله، وهممتُ بطرد بوّابي ومَن حجبني لأجله؛ فسلَّم عليَّ أحسنَ سلام فرددت عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَّى² ما بي من الغضب، وظننت أنّ غلماني تَحرَّوْا مَسرّتي بإدخالهم مثله عليَّ لأدبه وظَرْفه؛ فقلتُ: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه؛ فقلت: هل لك في الشراب؟ فقال: ذلك اليك، فشربتُ رطلًا وسقيته مثله؛ فقال لي: يا أبا إسحاق، هل لك أن تُغنّي لنا شيئاً من صَنْعتك وما قد نَفَقْتَ به عند الخاصّ والعامّ؟ فغاظني قوله، ثم سهّلتُ على نفسي أمرَه فأخذتُ العود فجسسته ثم ضربت فغنّيتُ؛ فقال: أحسنت يا إبراهيم؛ فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليَّ بغير إذن واقتراحه أن أغنّيه حتى سمّاني ولم يُكنّني ولم يُجمِل مخاطبتي! ثم قال: هل لك أن تزيدنا؟ فتذمَّمتُ³ فأخذتُ العود فغنّيتُ؛ فقال: أجدتَ يا أبا إسحاقَ! فأتِمَّ حتى نكافئك ونُغنّيك؛ فأخذت العود وتغنّيت وتحفَّظتُ وقمتُ بما غنّيته إياه قياماً تاماً ما تحفَّظت مثله ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَيْ خليفة قطُّ ولا غيره، لقوله لي: أكافئك؛ فطرب وقال: أحسنتَ يا سيّدي، ثم قال: أتأذن لعبدك بالغناء؟ فقلت: شأنَك، واستضعفتُ عقله في أن يغنّيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه، فوالله لخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربيّ لحسن ما سمعتُه من صوته، ثم تغنّى:

صوت

ولي كَبِدٌ مقروحةٌ مَن يبيعني ... بها كبِداً ليستْ بذات قُروحِ

(١) يقال: تقلس باللاطئة وهي قلنسوة صغيرة تلطأ (تلزق) بالرأس.

(٢) لعله ضمن «سلى» معنى أذهب وأزال.

(٣) تذمم الرجل: استنكف، يقال: لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تذمما، أي مجانبة للذم.

أَباها عليّ الناسُ لا يشترونها ومَن يشتري ذا عِلّةٍ[1] بصحيحِ
أَئنَّ من الشوق الذي في جوانبي أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريحِ

قال إبراهيمُ: فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجيبه ويغنّي معه من حسن غنائه، حتى خِلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي وثيابي تجاوبه، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِمَا خالط قلبي؛ ثم غنّى:

صوت

أَلا يا حماماتِ اللّوى عُدْنَ عَودةً فإنّي الى أصواتكنّ حزينُ
فعُدنَ فلما عُدنَ كِدْنَ يُمتنني وكدتُ بأسراري لهنّ أُبينُ
دَعَونَ بترداد الهدير كأنّما سُقينَ حُمَيّاً أو بهنّ جُنونُ
فلم تَرَ عيني مثلهنّ حمائماً بكينَ ولم تدمَع لهنّ عيونُ

– لم أعرف في هذه الأبيات لحناً يُنسب الى إبراهيم، والذي عرفته لمحمد بن الحارث بن بُسخُنّر خفيفُ رمل – فكاد، والله أعلم، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعتُ؛ ثم غنّى:

صوت

أَلا يا صَبا نجدٍ متى هِجتِ من نجدِ لقد زادني مَسراكِ وَجداً على وَجدِ
أَأَن هتفتْ وَرقاءُ في رَونق الضُّحى[2] على فَنَنٍ[3] غضِّ النّبات من الرَّندِ[4]

(١) ويروى: «ذا عرّة». والعرّة: الجرب.

(٢) رونق الضحى: حسنه وإشراقه.

(٣) ويروى: «غصن».

(٤) الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

بكيتَ كما يبكي الحزينُ صبابةً   وذُبتَ من الحزن المبرّحِ والجهدِ [1]
وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنا   يَمَلُّ وأنّ النأي يَشفي [2] مِن الوَجدِ
بكلٍّ تداوينا فلم يُشفَ ما بنا   على أنّ [3] قرب الدار خيرٌ من البعدِ

ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخوريّ فخذه وانحُ نحوَه في غنائك وعلّمه جواريكَ؛ فقلتُ: أعِده عليّ، فقال: لست تحتاج، قد أخذتَه وفرغتَ منه؛ ثم غاب من بين يديّ؛ فارتعتُ وقمت الى السيف فجرّدته، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغلقةً، فقلتُ للجواري: أيّ شيء سمعتنّ عندي؟ فقلن: سمعنا أحسنَ غناء سُمعَ قطّ؛ فخرجتُ متحيّراً الى باب الدار فوجدتُه مُغلقاً، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ؛ فقال لي: أيّ شيخ هو؟ والله ما دخل اليك اليومَ أحد؛ فرجعتُ لأتأمّل أمري، فإذا هو قد هتف بي من بعض جوانب البيت: لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمك اليومَ، فلا تُرَعْ. فركبت الى الرشيد وقلت: لا أطرفه [4] أبداً بطُرفة مثلِ هذه، فدخلت اليه فحدّثته بالحديث، فقال: وَيحك! تأمّل هذه الأصواتَ، هل أخذتَها؟ فأخذت العود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل؛ فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب، وأمر لي بصلةٍ وحُملانٍ [5] وقال: الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتَها وفرغتَ منها، فليتَه أمتعَنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك.

---

(١) روي هذا البيت في شرح الحماسة هكذا:

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن   جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

(٢) ويروى: «يسلي».

(٣) وفي رواية: «على ذاك قرب ... الخ».

(٤) أطرفه: أتحفه وأتاه بالحديث الجديد.

(٥) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمد بن الحارث بن بُسخُنَّر، ولم يقع إليّ فيه صنعةٌ لإبراهيم. والصوت الثاني الذي أوّله:

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجتِ من نجدِ

فشعرُه ليزيدَ بن الطَّثْرِيَةِ، والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعَب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو. وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لدَحمان ولحناً لابنه الزُّبير، ولم يذكر في أيّ طريقةٍ هما. —

هكذا حدّثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر؛ وما أدري ما أقول فيه، ولعل إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه. إلا أنّ للخبر أصلًا الأشبهُ بالحق منه ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال:

صنعتُ لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب شعراً فعَسُر ذلك عليّ، ورأيتُ في المنام كأنّ رجلًا لَقِيَني فقال: يا إبراهيم، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تُعجَب به؟ قلت نعم؛ قال: فأين أنت من قول ذي الرُّمّة حيث قال:

ألا يا أسلَمي يا دار مَيّ على البِلى ولا زال مُنهلًا بجرعائك[1] القَطْرُ
وإن لم تكوني غير شام[2] بقفرةٍ تجُرُّ بها الأذيالَ صَيفيّةٌ[3] كُدْرُ

قال: فانتبهتُ وأنا فَرِحٌ بالشعر، فدعوتُ مَن ضرب عليّ وغنّيته فإذا هو أوفقُ

(١) الجرعاء: الرملة المستوية لا تنبت شيئاً.

(٢) الشام: جمع شامة، وهي بقعة تخالف لون الارض، أي وإن أصبحت جزءاً أسود من الارض قد فقد كل ما كان له من معالم.

(٣) الصيفية: رياح الصيف. والكدر: جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة.

ما خلق الله ، فلمّا علمتُ ذلك ، وعملتُ هذا الغناء في شعر ذي الرّمة ، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحاناً ماخوريّةً ، منها :

صوت

أمنزِلَتي مَيٍّ سلامٌ عليكما هل الأزمنُ اللائي مَضَينَ رواجعُ
وهل يَرجِعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمى ثلاثُ الأثافي[١] أو رسومٌ بلاقعُ

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعاً من الماخوريّ بالوسطى ، وهو خفيف الثقيل الثاني . وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرّمة مشروحةً .

تلحينه لشعر ذي الرمة :

حدّثني محمد بن مَزيَد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال قال لي أبي :

قال لي جعفر بن يحيي يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذِن لي وللمغنّين في الانصراف يومئذ : صِرْ إليّ حتى أهبَ لك شيئاً حسناً ؛ فصرتُ اليه فقال لي : أيّما أحبُّ اليك : أهبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به، أم أرشدك إلى شيء تكسِب به ألفَ ألفِ درهم ؟ فقلت : بل يرشدني الوزير — أعزّه الله — إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحسن ؛ فقال : إنّ أميرَ المؤمنين يحفظ شعر ذي الرّمة حفظ الصِبا ويُعجبه ويؤثره، فإذا سمع فيه غناء، أطربه أكثر مما يُطربه غيره مما لا يحفظ شعره؛ فإذا غنّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة ، فقم على رجليك قائماً وقبِّل الأرض بين يديه وقل له : لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المؤمنين وهي حاجة تقوم عندي مقامَ كل فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرزَؤه ؛ فإنه سيقول

(١) ويروى : ثلاث الأثافي والديار البلاقع

ويروى : ثلاث الأثافي والديار البلاقع

و ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع

والأثافي : الأحجار التي توضع عليها القدر، واحدها أثفية .

لك : أيّ شيء حاجتُك ؟ فقل : قطيعةٌ تُقطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعة فيها لأحد ؛ فإذا أجابك الى ذلك ، فقل له : تُقطعني شعرَ ذي الرمّة أغني فيه ما أختاره وتحظُر على المغنّين جميعاً أن يداخلوني فيه ، فإني أُحبّ شعره وأستحسنه فلا أُحبّ أن يُنغِّصه عليّ أحدٌ منهم ، وتَوَثَّقْ منه في ذلك ؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه ، وما أنصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة ؛ وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسألت كما قال لي ، وتبيّنتُ السرور في وجهه ، وقال : ما سألتَ شَطَطا ، قد أقطعتك سُؤلتك ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد أستضخمتَ القطيعة وهو ساكت؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في التوثّق ؟ قال : تَوَثَّقْ كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهديّ إلّا جعلتَني على ثِقةٍ من ذلك بأنك تحلف لي أنك لا تُعطي أحداً من المغنّين جائزة على شيء يُغنّيه في شعر ذي الرُّمّة فإنّ ذلك وثيقتي ؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنّاه أحد منهم في شعر ذي الرُّمّة لا أثابه بشيء ولا بَرّه ولا سمع غناءه ؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وأنصرفنا . فغنّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرُّمّة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طَرِب وزاد طرُبه ووصلني فأجزَل ، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري ؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم .

أخبرني جعفر بن قُدامَة بن زِياد الكاتب قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو خالد الأسلميّ قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال :

قال إبراهيم الموصليّ : أُرتج عليّ فلم أجد شعراً أُصوغ فيه غناء أُغني فيه الرشيدَ، فدخلتُ الى بعض حُجَر داري مغموماً، فأسبلتُ الستورَ عليّ وغلبتني عيني، فتمثّل لي في البيت شيخٌ أشوَهُ الخِلقة ، فقال لي : يا موصليّ ، ما لي أراك مغموماً ؟ قلت : لم أُصِبْ شِعراً أُغنّي فيه الرشيدَ الليلةَ ؛ قال : فأين أنت عن قول ذي الرُّمّة :

ألا يا أسلَمي يا دارَ ميَّ على البِلى ولا زال مُنهَلًا بجرْعائك القطرُ
وإنْ(١) لم تكوني غيرَ شام بقفرةٍ تجُرُّ بها الأذيالَ صيفيَّةٌ كُدْرُ
أقامتْ(٢) بها حتى ذوَى العودُ في الثَّرَى(٣) وساق الثريّا في مُلاءته(٤) الفجرُ
وحتى أعتلى(٥) البُهمَى(٦) من الصيف نافضٌ كما نَفَضَتْ خيلٌ نواصيَها شُقْرُ

قال: وغنّاني فيه بلحن وكرّره حتى عَلِقتُه فانتبهت وأنا أُديره، فناديت جاريةً لي وأمرتُها بإحضار عود، وما زلتُ أترنّم بالصوت وهي تضرب حتى أستوى لي؛ ثم صرتُ الى هارون فغنّيته إياه، فأسكتَ المغنّين، ثم قال: أَعِد فأعدتُ، فما زال ليلته يستعيدُنيه، فلمّا أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنّا فيه، وقال: عليك بشعر ذي الرُّمّة فغنِّ فيه؛ فصنعتُ فيه غناء كثيراً، فكنتُ أغنّيه به فيُعجبه ويُجزل صِلتي.

أخبرني عمي وابن المَرزُبان والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله السُّلَميّ قال حدّثنا أبو غانم مولى جَبَلة بن يزيد السُّلميّ قال:

اجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلزَلٌ وبَرْصوما بين يَديِ الرشيد، فضرب زلزل وزَمر بَرْصوما وغنّى إبراهيم:

(١) ويروى: «فإن لم».

(٢) ويروى: «أقاموا» بالواو.

(٣) في رواية: «والنوى».

(٤) ملاءة الفجر: بياضه، شبه بالملاءة وهي الثوب الابيض.

(٥) ويروى: «اعترى».

(٦) البهمى (للواحد والجمع): نبت تجد به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر، فاذا يبس وعظم خرج له شوك مثل شوك السنبل ثم كان كلأ يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل وتنبت من تحته حبه الذي سقط من سنبله. والنافض: يبس يقع فيها فينفضها؛ وهذا في أول القيظ قبل شدّة الحر. قال أبو عمرو: نافض: يريد ريح الصيف، وشبه شوك البهمى إذا وقعت عليه فابيض بنواصي خيل شقر.

صوت

صَحا قلبي وراعَ (١) إليَّ عقلي وأقصر باطلي ونَسِيتُ جهلي
رأيتُ الغانياتِ وكُنَّ صُوراً (٢) إليَّ صَرَمْنني وقَطعْنَ حبلي

فطرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح : يا آدم ، لو رأيتَ من يحضُرُني من ولدك اليومَ لسرّك ! ثم جلس وقال : أستغفر الله .

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

حدّثني جَحظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان الرشيد يَجِد بماردة وَجداً شديداً ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أياماً ؛ فأمر جعفرُ بن يحيي العباسَ بن الأحنف فقال :

راجِعْ أحبّتك الذين هجرتَهم إنّ المُتيَّم قلّما يَتجنّبُ
إنّ التجنُّبَ إن تطاول منكما دَبَّ السُّلُوُّ له فعزّ المطلبُ

وأمر إبراهيمَ الموصليّ فغنّى فيه الرشيدَ ؛ فلما سمعه بادر الى ماردةَ فترضّاها؛ فسألتْ عن السبب في ذلك فعرفته، فأمرت لكل واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

أول جائزة من الرشيد :

أخبرني جعفر بن قُدامة عن حمّاد عن أبيه قال :

---

(١) راع بمعنى : رجع .

(٢) صور الى كذا (من باب علِم) إذا أمال عنقه ووجهه اليه فهو أصور والأنثى صوراء والجمع : صور . ويروى : « خزراً » .

أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وليَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم، فإنه قال يمدحه لمّا ولي :

صوت

ألم تَرَ أنّ الشمسَ كانت مريضةً فلمّا ولي هــارونُ أشرق نُورُها
فألبستِ[1] الدّنيا جمالًا بوجهــه فهارونُ وَاليها ويحيى وزيرُهــا

وغنّى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم.

قامر الرشيد بالنرد :

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ :

أنّ أباه لَعِب يوماً مع الرشيد بالنَّرْد في الخلعة التي كانت على الرشيد والخلعة التي كانت عليه هو، فتقامَرَ للرشيد، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه، ثم قال للرشيد : حُكم النّرد الوفاء به، وقد قَمِرتُ ووفّيتُ لك، فألبس ما كان عليّ؛ فقال له الرشيد : وَيلك! أنا ألبس ثيابك! فقال : إي والله إذا أنصفتَ، وإذا لم تُنصف قدرتَ وأمكنك؛ قال : ويلك! أوَ أفتدي منك؟ قال : نعم؛ قال : وما الفداء؟ قال : قل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنك أولى بالقول؛ فقال : أعطيك كلّ ما عليّ؛ قال : فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله في ذلك؛ فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم.

رهامة الحاسة :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبّة قال حدّثني عليّ بن عبد الكريم قال :

---

(١) في رواية : «تلبست».

زار ٱبنُ جامع إبراهيمَ الموصليَّ ؛ فأخرج اليــه ثلاثين جاريةً فضربْنَ جميعاً طريقةً واحدة وغنَّين؛ فقال ٱبن جامع : في الأَوتار وَتَرٌ غيرِ مستوٍ ؛ فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدّي مَثْناكِ ، فشدّته فٱستوى ؛ فعجبتُ أوّلا من فطنة ٱبن جامع لوتر في مائة وعشرين وترا غيرِ مستوٍ ، ثم ٱزداد عجبي من فِطنة إبراهيم له بعينه .

أخبرني إسماعيل بن يونس وحَبيب بن نَصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال :

كنّا مع الرشيد بالرَّقّة وكان هناك خَمّار أقصِده أشتري منه شراباً حسناً طيّباً، وربما شربت في حانته، فأتيته يوماً فبزَلَ[١] لي دَنّا في باطِيَة[٢] له، فرأيت لونه حسناً صافياً، فٱندفعتُ أغنّي :

صوت

إسقِني صَهبــاءَ صِرفاً   لم تُدَنَّسْ بمِــزاجِ
إسقِني والليــلُ داجٍ   قبلَ أصوات الدَّجاجِ
يا أبا وَهْب خليلي   كلُّ هَمٍّ لانفـراجِ
حــينَ تَوَّهتَ بقلبي   في أعاصيرِ الفِجــاجِ[٣]

— الغناء في هذه الابيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسياط ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق — قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتي، فقلت له : وَيحك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة؛ فقال : دَعني من النبيذ يا أبا إسحاق،

(١) بزل الدن : ثقبه، ويقال : بزل الشراب اذا صفاه .
(٢) الباطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين الشرب يغترفون منه .
(٣) الفجاج : جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بـين جبلين وهو أوسع من الشعب . ويروى : « في أعاصير العجاج » بالعين المهملة بدل الفاء .

ما لي أرى صوتك حزيناً حريقاً، مات لك بالله إنسان؟ فلما جئتُ الى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك.

مع الرشيد في مغامرة ماجنة:

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائنيّ حدّث قال:

قال إبراهيم الموصليّ قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، إني قد جعلت غداً للحَرَم، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين، فلا تشتغل غداً بشيء، ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة؛ فقلتُ: السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين؛ فقال: وحقِّ أبي لئن تأخرتَ أو اعتللتَ بشيء لأضربنَّ عنقك، أفهمتَ؟ فقلت: نعم، وخرجتُ فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صلّيت المغرب ركبت قاصداً اليه، فلما قرُبت من فِناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زَنبيلٌ كبير مُستوثَق منه بحبال وأربعِ عُرى أَدَمٍ وقد دُلِّيَ من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِد ليجلس فيه، فنازعتني نفسي الى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني، فنزلت فجلست فيه، ومُدّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوارٍ كأنهنّ المَها جلوسٌ، فضحِكنَ وطَرِبْنَ، وقلن: قد جاء والله من أردناه؛ فلما رأينني من قريب تَبادرْنَ الى الحِجاب وقُلن: يا عدوّ الله، ما أدخلك الينا؟ فقلت: يا عدوّاتِ الله، ومن الذي أردتُنّ إدخالَه؟ ولِمَ صار أولى بهذا منّي؟ فلم يزَل هذا دأْبنا وهنّ يضحكن وأضحك معهن؛ ثم قالت إحداهنّ: أمّا من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة؛ فأُخرج إليّ طعام ودُعيت الى أكله، فلم يكن فيّ فَضلٌ إلا أنّي كرِهت أن أُنسب الى سوء العشرة، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّرٍ(١)، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأخرجن إليّ ثلاث جوارٍ لهنّ

(١) المعذر: المعتذر.

فغنّين غناء مليحاً، فغنّت إحداهنّ صوتاً لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيمُ، هذا له؛ فقلت: كذَبتِ ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت: يا فاسقُ، وما يُدريك الغناء ما هو! ثم غنّت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً؛ فقلت: كذبتِ يا خبيثةُ، هذا للغريض؛ فقالت: اللهم أخزه، ويلك! وما يدريك! ثم غنّت الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن سُرَيج، هذا له؛ فقلت: كذبتِ هذا لإبراهيم، وأنت تنسُبين غناء الناس اليه وغناءه اليهم؛ فقالت: وَيحك! وما يدريك! فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرنَ بذلك جميعاً وطربنَ كلُّهن وظهرنَ كلُّهن لي وقلنَ: كتمتَنا نفسك وقد سررتَنا؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنّ الله؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتي مع الرشيد؛ فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً؛ فقلت: هو والله القتل؛ قلن: الى لعنة الله. فأقمت والله عندهنّ أسبوعاً لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودّعنني وقلن: إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا؛ قلت نعم؛ فأجلسنني في الزنبيل وسُرّحتُ؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دارَ الرشيد، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ في طلبي وأنّ من أحضرني فقد سُوّغ ملكي وأقطِع مالي؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد؛ فلما رآني شتمني وقال: السيف والنِطع! إيهِ يا إبراهيم، تهاونتَ بأمري وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ عليّ لذّتي! فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرُ فائت، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً، فاسمعْه، فإن كان عذراً فاقبله وإلّا فأنت أعلم؛ قال: هاتِه فليس يُنجيك؛ فحدّثته فوجم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجبٌ، أفتُحضِرني معك هذا الموضعَ؟ قلت: نعم، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل عندهنّ، وإن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: انظرْ؛ قلت: ذلك حاصلٌ اليك متى شئت؛ فعدَل عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب وطرب؛ فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ؛ فمضيت اليهنّ في وقت الوعد، فلما وافيتُ الموضعَ اذا الزنبيل معلّق، فجلست فيه

ومدّة الجواري فصعِدت، فلما رأينني تباشرنَ وحمِدنَ الله على سلامتي، وأقمتُ ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهنّ: إن لي أخاً هو عِدلُ[١] نفسي عندي، وقد أحبّ معاشرتكن ووعدتُه بذلك؛ فقلن: إن كنت ترضاه فرحباً بـه؛ فوعدتهن ليلة غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته؛ فلما كان الوقتُ خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعِدت وصعِد بعدي ونزلنا جميعاً، وقـد كان الله وفّقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فاستترنَ عني وعنـه ولا يسمعْ لكُنّ نطقة، وليكن ما تختَرْنَه من غناء أو تقُلْنه من قولٍ مُراسَلة؛ فلم يتعدّينَ ذلك وأقمنَ عـلى أتمّ سِترٍ وخفَر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألّا أخاطبه بأمـير المؤمنين، فلمـا أخذ مني النبيذُ قلت سهواً: يا أمير المؤمنين، فتواثبنَ من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن؛ فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلتَّ من أمر عظيم، والله لو برزتْ اليك واحدة منهنّ لضربتُ عنقك، قم بنا، فانصرفنا؛ وإذا هنّ له، قد كان غضِب عليهن فحبسهنّ في ذلك القصر؛ ثم وجّه من غد بخدَم فردّوهنّ الى قصره، ووهَب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهنّ.

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال:

دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: أنا اليوم كسلانُ خاثِرٌ[٢]، فإن غنّيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك؛ فغنّيتُه:

ولم يُرَ في الدنيا مُحبّانِ مثلُنا   على ما نلاقي من ذوي الأعين الخُزْرِ
صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا   عفيفانِ لا نغشى من الأمر ما يُزْري

فطرِب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

---

(١) العدل: النظير.

(٢) خثرت نفسه: غثت واختلطت.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد:

إنّ ابنتك دنانيرَ قد عملتْ صوتاً أعجبني وأعجبتْ أيضاً هي به، فقلتُ لها: لا تعجَبي به حتى أعرِضَه على أبيك أبي إسحاق؛ فقلتُ له: والله ما في معرفة الوزير — أعزّه الله — به ولا بغيره من الصنائع مَطعَن، وإنه لأصحُّ العالَم تمييزاً وأثقبُه فِطنة، وما أعجبه إلّا وهو صحيحٌ حسَن؛ فقال: إن كنتُ كما تقول أيضاً، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يمارسونها أفهمُ بها ممن يَعلَمها عن عُرُض من غير ممارسة، ولو كنا في هذه الصناعة متساويَين لكان الاستظهارُ برأيك أجودَ، لأنّ ميْلي الى صانعة الصوت ربما حسّن عندي ما ليس بالحسن، وإنما يتمّ سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة؛ فمضيتُ فوجدت ستارةً منصوبة وأمراً قد تُقدّم فيه قبلي؛ فجلستُ فسلّمت على الجارية، وقلت لها: تغنّيني الصوتَ الذي ذكره لي الوزير أعزه الله؛ فقالت: إن الوزير قال لي: إنِ استجاده فعرّفيني ليتم سروري به، وإلّا فاطوِ الخبرَ عني لئلا تزول رُتبته عندي؛ فقلتُ: هاتيه حتى أسمعه؛ فغنّت تقول:

نفسي أكنتُ عليكِ مدّعياً ... أم حين أزمعَ بينهم خُنتِ
إن كنتِ هائمةً بذكرهمُ ... فعلى فراقهمُ ألا حُمتِ

قال: فأحسنتْ والله وما قصّرتْ، فاستعدتُه لأطلب فيه موضعاً لأصلحه فيكون لي فيه معنى فما وجدتُ؛ قلت: أحسنتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ؛ ثم عدتُ الى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أنّ كثيراً من حُذّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله، ولقد استعدتُه لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت؛ فقال: وصفُكَ لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتني وسأسرّك؛ فلما انصرفتُ أتبعني بخمسين ألف درهم.

مع شاعرة:

حدّثني عمي وابن المرزبان قالا حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني إسحاق بن

عبد الله السُّلَميّ قال حدّثني عمر بن شبَّة قال حدّثني إسحاق ، ولم يقل عن أبيه ، قال :

والله إني لفي منزلي ذاتَ يوم وأنا مفكّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركبتُ وصرتُ اليه ؛ فقال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أُريك عجباً، فجلستُ ؛ فقال : عليّ بالأعرابية وأبنتِها ؛ فأُخرِجَتْ إليّ أعرابيَّة ومعها بُنيَّة لها عشرٌ أو أرجح ؛ فقال : يا إبراهيم، إن هذه الصَّبيّة تقول الشعر ؛ فقلتُ لأُمها : ما يقول أمير المؤمنين ؟ فقالت : هي هذه قدّامَك فسَلْها ؛ فقلت : يا حبيبة ، أتقولين الشعر ؟ فقالت نعم ؛ فقلت : أنشديني بعضَ ما قلتِ ؛ فأنشدتني :

صوت

تقول لأتراب لها وهي تمتري[1] دموعاً على الخدّين من شدّة الوجدِ
أكلُّ فتاةٍ لا محالةَ نازلٌ بها مثلُ ما بي أم بُليتُ به وحدي
بَراني له حبٌّ تَنشَّبَ في الحشى فلم يُبقِ من جسمي سوى العظم والجلدِ
وَجدتُ الهوى حُلواً لذيذاً بَديئه وآخرُهُ مرٌّ لصاحبه مُرْدي

قال الشّبّي[2] في خبره : قال إسحاق : وكان أبي حاضراً، فقال : والله لا تبرحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ في هذه الأبيات لحناً ؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبي وجميعُ من حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتى صنعتُ فيه لحناً وتغنّيتُ به وهي حاضرة تسمع . قال ابن المرزُبان في خبره ، ولم يذكره عمي ، : فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، قد أحسنَ روايةَ ما قلتُ ، أفتأذَن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : أفعلي ؛ فقالت :

---

(١) تمتري دموعاً : تستدرّها وتستخرجها .

(٢) الشبي : هو أبو زيد عمر بن شبة، منسوب الى والده شبة .

صوت

ما لإبراهيم في العلـــم بهذا الشأن ثاني
إنما عُمرُ أبي إسحـــاقَ زينٌ للزمـانِ
منه يُجنى ثمرُ اللهـــو وريحانُ الجنانِ
جنَّة الدنيا أبو إسحـــاق في كلّ مكانِ

قال : فأمر لها الرشيد بجائزة ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لها شطرها .

اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابيَّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثاني ثقيل . وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يُشكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل .

أخبرني محمد بن مَزيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت ، وغنّيتُه الرشيدَ وقلتُ :

صوت

هما فتـاتانِ لمَّا تعرفا خُلُقي   وبالشَّبابِ عـلى شَيبي تُدِلّانِ
رأيتُ عِرسَيَّ لمَّا ضمَّني كِبَري   وشختُ أزمعتا صرمي وهجراني
كلُّ الفَعال الذي يفعلْنَـه حَسَنٌ   يُضبي فؤادي ويُبدي سِرّ أشجاني
بل أحذَرا صَولةً من صَولِ شيخكما   مَهلًا عـلى الشيخ مَهلًا يا فتاتانِ

فطرب وأمر لي بظَبْيةٍ(١) كانت مُلقاة بين يديه ، فيها ألفُ دينار مسيَّفة(٢) ؛ وكان

(١) الظبية : الجراب ، وقيل : الجراب الصغير خاصة .

(٢) يقال : درهم مسيف اذا كانت جوانبه نقية من النقش .

ابن جامع حاضراً ، فقال : اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين ، وكان أشدَّ خلقِ الله حسداً ، فغنّاه :

صوت

ولقد قالت لأتراب لهـا كالمها يَلعَبْن في حُجرتهـا
خُذْن عني الظِّـلَّ لا يَتبَعُني ومَضَت[١] سَعياً إلى قُبّتهـا

فطَرِب وشرِب ، وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تبعه محمد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة فغنّى :

صوت

يَمشون فيها بكلِّ سابغـةٍ أُحكِم فيها القَتِيرُ[٢] والحلَقُ
يُعرَف إنصافُهم إذا شهِدوا وصبرُهم حين تَشخَص الحدَقُ

فاستحسنه وشرب عليه ، وأمر له بخمسمائة دينار . ثم غنّى علّويه :

صوت

يَجحَـدْنَ دَيني بالنّهار وأقتضي دَيني إذا وَقَذَ[٣] النُّعاسُ الرُّقَّدا
وأرى الغَوانيَ لا يُواصِلْنَ امرأً فقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلن الأمرَدا

فدعا به الرشيد وقال له : يا عاضَّ بظرِ أمّه ! أتغنّي في مدح المُرْد وذمّ الشِّيب

---

(١) يروى : « وعدت » .
(٢) القتير : رؤوس المسامير في الدرع .
(٣) وقذه النعاس : أسقطه وغلبه .

وستارتي منصوبة وقد يثبتُ وكأنك تعرّض بي! ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين دِرّة ويُخرجه من مجلسه، ففعل؛ وما انتفعنا به بقيّة يومنا ولا انتفع بنفسه، وجفا علّويه شهراً، ثم سألناه فيه فأذن له.

قال أبو الفرج: لإبراهيم أخبار مع خُنث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتُها في موضع آخر من هذا الكتاب؛ لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غِمار أخباره، وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره؛ وقد شرطتُ أن الشيء من أخبار الشعراء والمغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أفرِده، لئلّا يَقطع بين القرائن والنظائر مما تُضاف اليه وتدخل فيه.

في مرض الموت:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:

سمعتُ إسحاقَ الموصليّ يقول: لمّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنج على أبي ولزمه، وكان يعتاده أحياناً فقعد عن خدمة الخليفة وعن نَوبته في داره؛ فقال في ذلك:

صوت

مَــلَّ واللهِ طبيبي من[1] مُقاساة الذي بي
سوف أُنعَى عن قريبٍ لعــدوٍّ وحبيبِ

وغنّى فيه لحناً من الرَّمل، فكان آخِرَ شعرٍ قاله وآخرَ لحنٍ صنعه.

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

(١) يروى: «عن».

أن الرشيد ركب حماراً ودخل الى إبراهيم يعوده وهو في الأَبْزَن جالس، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيّدي كما قال الشاعر :

سَقيمٌ مَلَّ منه أقربوه   وأسلمه المُداوي والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله ! وخرج ، فلم يَبعُد حتى سمع الواعية[١] عليه .

المأمون يصلي عليه :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال :

مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكِسائي النحويّ والعبّاس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمةُ[٢] الخمّارة ، فرُفع ذلك الى الرشيد ، فأمر المأمونَ أن يُصلّيَ عليهم ، فخرج فصُفّوا بين يديه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوّل ؟ قيل : إبراهيم ؛ فقال : أخِّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف ، فقُدّم فصلّى عليهم ؛ فلما فرغ وانصرف ، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ فقال : يا سيّدي ، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله :

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنّها   لهي التي تَشقى بها وتُكابِدُ[٣]

فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم[٤]   إني ليُعجِبني المحبّ الجاحدُ

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدني باقيها ؛ فأنشدتُه :

لمّا رأيتُ الليلَ سدّ طريقه   عنّي وعذّبني الظلام الراكدُ

---

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) امرأة كانت تبيع الخمر ، وكانت جارة لإسحاق الموصلي ، وقد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة .

(٣) ويروى : « وتجاهد » .

(٤) في رواية : « همهم » .

والنَّجم في كَبِد السماء كأنه أعمى تحيَّر ما لديه قائدُ
ناديتُ مَنْ طَرَدَ الرُّقادَ بصدّه عمَّا أُعالج وهو خِلوٌ جاهدُ
يا ذا الذي صدَع الفؤادَ بهجره أنت البَلاء طريفُه والتَّالدُ
ألقيتَ بين جفون عيني حُرْقةً فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقدُ

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلتُ: بلى والله يا سيّدي.

برصوما الزامر يباكيه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال:

قال لي بَرْصوما الزامر: أمَا في حقي وخدمتي وميلي اليكم وشكري لكم ما أستوجِبُ به أن تَهبَ لي يوماً من عُمرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفني في شيء؟ فقلتُ: بلى ووعدتُه بيوم؛ فأتاني فقال: مُرْ لي بخِلْعة، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبَّةَ وَشْي؛ فلبسها ظاهرةً وقال: امضِ بنا الى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه؛ فمضينا جميعاً اليه وقد خَلَقتُه وطيَّبتُه؛ فلما صار على باب المجلس رَمى بنفسه الى الأرض فتمرَّغ في التراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زَمْره ويدور في المجلس ويقبِّل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويَزمِرُ حتى قضى من ذلك وَطراً، ثم ضرب بيده الى ثيابه فشقَّها، وجعلت أُسكِّتُه وأبكي معه، فما سكن إلا بعد حين؛ ثم دعا بثيابه فلبسها وقال: إنما سألتُك أن تخلع عليَّ لئلا يقال: إن برصوما إنما خرَق ثيابه ليُخلَع عليه ما هو خير منها؛ ثم قال: امضِ بنا الى منزلك فقد اشتفَيْتُ مما أردت؛ فعُدتُ الى منزلي وأقام عندي يومه، وانصرف بخِلعة مجدَّدة.

---

(١) يروى: «عمن».

المراثي التي قيلت فيه :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني القاسم بن يزيد قال :

لمّا مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ وهو يشرب وجواريه يغنّين ، فذكرنا إبراهيمَ الموصليّ وحذقه وتقدّمه ، فأفضنا في ذلك وإبراهيم مُطرق، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منّا مثلَ ما قاله صاحبه ، اندفع إبراهيم بن المهديّ يُغنّي في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيمَ — ويقال : إن الأبيات لأبي الأسد[1] — :

تولّى الموصليُّ فقد تولّتْ　　بشاشاتُ المَزاهرِ والقِيانِ
وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقى　　حياةُ الموصليّ على الزمانِ
ستَبْكيه المَزاهِرُ[2] والمَلاهي　　وتُسعِدُهنّ عاتقةُ الدِّنانِ
وتَبكيه الغَويّةُ إذ تولّى　　ولا تبكيه تاليةُ القُرانِ[3]

قال : فأبكى من حضر ؛ وقلت أنا في نفسي : أفتراه هو إذا مات من يبكيه : ألمحرابُ أم المصحف ؟! قال : وكان كالشامت بموته .

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حمّاد قال : أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته :

أقول له لمّا وقفتُ بقبره　　عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيّيتَ حُفرةً　　ولا زِلتَ تُسقى الغيثَ من سَبَلِ[4] القطرِ

---

(١) هو نباتة بن عبد الله الحماني ، من شعراء الدولة العباسية .
(٢) يروى : « المزامر » .
(٣) القران : القرآن .
(٤) السبل : ما سال من المطر .

لقد عزَّني[1] وَجدي عليكَ فلم يَدَعْ لقلبي نصيباً من عَزاء ولا صبرِ
وقد كنتُ أبكي من فِراقك ليلةً فكيف وقد صار الفِراقُ الى الحشرِ

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقب بوَسواسةَ قال: أنشدني حمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصليّ:

سلامٌ على القبر الذي لا يُجيبنا ونحن نُحيّي تُربَه ونخاطبُه
سَتَبْكيه أشرافُ الملوك إذا رَأَوا مَحلَّ التَّصابي قد خلا منه جانبُه
ويبكيه أهلُ الظَّرف طرًّا كما بكى عليه أميرُ المؤمنين وحاجبُه
ولمّا بدا لي اليأسُ منه وأَنزَفَتْ[2] عيونُ بواكيه ومَلَّتْ نوادبُه
وصار شفاءُ النفس[3] من بعض ما بها إفاضةَ دمع تَستَهِلُّ سواكبُه
جعلتُ على عينيّ للصبح عَبرةً ولِلَّيل أخرى ما بدتْ لي كواكبُه

قال: وأنشدني أيضاً حمّاد لأبيه يرثي أباه:

عليكَ سلامُ الله من قبرِ فاجع وجادكَ من نَوْء السِّماكَين وابلُ
هَلَ أنتَ مُحَيِّي القبرِ أم أنت سائل وكيف تُحيّاً تُربةٌ وَجنادلُ[4]
أَظلُّ كأني لم تُصبني مصيبةٌ وفي الصَّدر من وَجْد عليك بلابلُ
وَهوَّن عندي فَقدَه أنّ شخصه على كل حال بين عينيّ ماثلُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيوب المَدينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ ابن هِشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ:

---

(١) عزه الوجد: غلبه.

(٢) أنزفت العين: فنى ماؤها، ويقال أنزف الرجل البئر اذا استخرج ماءها كله فهو لازم متعد.

(٣) ويروى: «شفاء الناس».

(٤) ويروى: «وكيف يحيا تربه وجنادله».

أصبح اللهو تحت عفر التراب ثاوياً في محلّة الأحباب
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللهـو بخير الإخوان والأصحاب
بكت المسمعات حزناً عليه وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى رحم العود دمعة المضراب [١]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

دخلتُ الى الرشيد بعقب وفاة أبي، وذلك بعد شهر من يوم وفاته، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دمعت عيني، فكففتُها وتصبّرتُ؛ ولحني الرشيد فدعاني اليه وأدناني منه، فقبّلتُ يدَه ورجله والأرض بين يديه، فاستعبر، وكان رقيقاً؛ فوثبت قائماً ثم قلت:

في بقاء الخليفة الميمون خَلَفٌ من مصيبة المحزون
لا يضير المصابَ رُزْءٌ إذا ما كان ذا مفزعٍ الى هارون

فقال لي: كذاك والله هو، ولن تفقد من أبيك ما دمتُ حيّاً إلا شخصَه؛ وأمر بإضافة رزقه الى رزقي؛ فقلت: بل يأمر أميرُ المؤمنين به الى ولده. ففي خدمتي إياه ما يغنيني؛ فقال: أجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق.

صوت

من المائة المختارة

يا دار سُعدى بالجِزْع [٢] من مَلَلِ [٣] حُيّيتِ من دِمنةٍ ومن طَلَلِ
إني إذا ما البخيلُ آمنها باتت ضَموزاً منّي على وَجَلِ

(١) ويروى: «دمعة المحراب». ومن معاني المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه.

(٢) الجزع (بالكسر ويفتح): منعطف الوادي ووسطه أو منقطعه. ويروى: «الخيف» وهو ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

(٣) ملل: منزل على طريق المدينة الى مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون ميلاً.

لا أُمتِعُ العُوذَ بالفِصالِ ولا أبتاعُ إلا قَريبةَ الأجلِ

العوذ: الإبل التي قد نُتجت، واحدتها عائذ. يقول: أنحرها وأولادَها للأضياف فلا أُمتِعها. والضَّموز: الممسكة عن أن تجترّ. ضمز الجملُ بجِرّته إذا أمسك عنها، ودَسعَ[1] بها إذا استعملها. يقول: فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعتْ من جِرّتها فهي ضامزةٌ.

الشعر لابن هَرْمة. والغناء في اللحن المختار لمُرْزوق الصراف ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، ويقال إنه ليحيي بن واصل. وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه لدَحمانَ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، وأن فيه لابن مُحرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني، ووافقه ابن المكيّ. قال: وفيه لدَحمانَ خفيفُ رمَلٍ بالوسطى في الأوّل والثالث؛ وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثاني لإبراهيم، وأنّ لمَعْبد فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى، وأنّ فيه للهُذَليّ خفيفَ ثقيل، وأن فيه رمَلاً ينسب الى ابن مُحرز أيضاً.

شيء من ذكر ابن هرمة أيضاً

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ ونوفل بن مَيمون عن يحيي بن عُروة بن أُذَينة قال:

خرجتُ في حاجة لي، فلمّا كنت بالسَّيالة[2] وقفت على منزل إبراهيم بن عليّ بن هَرْمة، فصِحتُ: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنتُه: من هذا؟ فقلت: انظري، فخرجتْ إليَّ فقلت: أعلمي أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفاً؛ قال: فقلت:

(١) دسع الرجل: قاء ملء الفم.

(٢) السيالة: أوّل مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة.

هل من قِرًى؟ فإني مُقوٍ[1] من الزاد؛ قالت: لا والله، ما صادفتَه حاضراً؛ قلت: فأين قولُ أبيك:

لا أمتِعِ العُوذَ بالفِصال ولا أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

قالت: بذاك والله أفناها — أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيوب ابن عَباية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: — قال: فأخبرت إبراهيم بن هَرمة بقولها، فضمّها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقًّا، الدارُ والمَزرعةُ لك.

تكرم بخيل:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني نَوفل ابن ميمون قال حدّثني مُرَقِّع قال:

كنت مع ابن هرمة في سقيفة أمّ أذَينة، فجاءه راعٍ بقطعة من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مُرَقِّع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عزَب عنك قولك:

لا غنمي مُدّ في الحياة لها إلا لدَرْكِ[2] القِرى ولا إبلي

وقولُك فيها أيضاً:

لا أمتِعِ العُوذَ بالفصال ولا ولا أبتاع إلا قَريبةَ الأجلِ

فقال لي: مالك أخزاك الله! من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء.

---

(١) أقوى القوم: فنى زادهم.

(٢) ويروى: «إلا دراك».

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ عن أبيه :

أن ابن هرمةَ كان اشترى غنما للربح ، فلقيه رجل فقال له : ألست القائل :

لا غنمي مُدّ في الحياة لها إلا لدَرْك القِرى ولا إبلي

قال : نعم ؛ قال : فوالله إني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنك لكاذب ؛ فأحفظه ذلك فصاح : من أخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبها الناس جميعاً ؛ وكان ابنُ هرمة أحدَ البخلاء .

أول شعر قاله :

أخبرني الحرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني نوفل ابن ميمون قال حدّثني زُفَر بن محمد الفِهريّ : أن هذه القصيدة أولُ شعر قاله ابن هرمة .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي : حدّثنا عبد الله بن الوليد الأزديّ قال حدّثني جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين قال :

سمع مزبد[1] قول ابن هرمة :

لا أمتِع العُوذَ بالفصال ولا أبتاعُ إلا قريبةَ الأجَلِ

قال : صدَق ابن الخبيثة ، إنما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته .

---

(١) مزبد كمحدث اسم رجل صاحب النوادر ، وضبط كمعظم ، ووجد بخط الذهبي ساكن الزاي مكسور العين .

دفاع عن البخل :

أخبرنا وكيع قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عبدالله بن الوليد عن جعفر بن محمد ابن زيد عن أبيه قال :

اجتمع قوم من قريش أنا فيهم ، فأحببنا أن نأتي ابنَ هرمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده ، فلما انتهينا اليه خرج الينا فقال : ما جاء بكم ؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا اليك لمّا سمعناك قلت :

إنّ امرأ جعل الطريقَ لبيته ... طُنُباً[1] وأنكر حقّه للئيمُ

وسمعناك تقول :

وإذا تنوّر طارقٌ[2] مستنبحٌ ... نَبحتْ فدلّته عليّ كلابي
وعَوَينَ يَستعجلنه فلقينَه ... يَضرِبنه بشراشرِ[3] الأذنابِ

وسمعناك تقول :

كم ناقةٍ قد وجأتُ[4] مَنحرها ... بُمستهَلَ الشؤبوب أو جَملِ
لا أمتِع العُوذَ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

قال : فنظر الينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأرض عصابةٌ أضعفُ عقولاً ولا أسخَفُ ديناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدوّ الله يا دعيّ ، أتيناك زائرين وتُسمِعُنا هذا الكلام ! ؛ فقال : أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿ وأنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا

---

(١) الطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوهما ، وقد يستعار للطرف والناحية . ويروى : «ضرب الطريق ... طرقاً ... الخ» .

(٢) في رواية : «راكب» .

(٣) شراشر الأذناب : أطرافها .

(٤) وجأه : ضربه بسكين ونحوه .

يَفْعَلُونَ) أفيُخبِرُكم الله أني أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّي أن أفعلَ ما أقول ! ؛ قال فضحكنا منه وأخرجناه معنا ، فأقام عندنا في نزهتنا يَشرَكُنا في زادنا حتى أنصرفنا الى المدينة .

إعجاب الاصمعي به :

أخبرنا عمي قال حدّثني محمد بن سعيد الكُرانيّ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمه قال :

الحكَم الخُضريّ ، وأبن مَيادة ، ورؤْبة ، وأبن هرمة ، وطُفَيل الكِنانيّ ، ومَكين العُذْريّ ، كانو على ساقة[1] الشعراء ، وتقدّمهم أبن هرمة بقوله :

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا أبتاع إلّا قريبةَ الأجلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمي مُعجَباً بهذا البيت مُستحسِناً له ، وكان كثيراً ما يقول : أما ترَوْن كيف قال ! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً ؛ ثم يقول : ما يؤخِّره عن الفحول إلا قُربُ عهده . انتهى .

أخبرني محمد بن مزيَد والحسين بن يحيي ووكيع عن حمّاد عن أبيه قال :

قلت لمروان بن أبي حَفصة : مَنْ أشعر المحدّثين من طبقتكم عندك ؟ لا أعنيك ؛ قال : الذي يقول :

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

أخبرنا يحيي بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ عن أبي حُذافة قال : لمّا قال أبن هَرمة :

لا أمتع العوذَ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

(١) الساقة : المؤخرة، يقال : فلان في ساقة الجيش أي في مؤخرته .

قال ابن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه :

ما يشرب الباردَ القَراحَ ولا   يذبح من جَفرةٍ(١) ولا حَمَلِ(٢)
كأنه قِردةٌ يلاعبها   قردٌ بأعلى الهضاب من مَلَلِ

قال : فقال ابن هَرْمة : لئن لم أوتَ به مربوطاً لأفعلنّ بآل حُنَين ولأفعلنّ ؛ فوهبوا لابن الكَوْسَج مائة درهم وربطوه وأتوا به ابن هَرْمة فأطلقه ؛ فقال ابن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأعودنّ .

***

عود الى اخبار ابراهيم الموصلي :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثني هارون بن مُخارق عن أبيه قال :

كنّا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ابن جامع، فغنّاه ابن جامع ونحن يومئذ بالرَّقّة :

هاج شوقاً فِراقُك الأحبابا   فتناسيتَ أو نَسيتَ الرَّبابا
حين صاح الغرابُ بالبَين منهم   فتصامَمْتَ إذ سمعتَ الغُرابا
لو علمنا أنّ الفراق وَشيكٌ   ما انتهينا حتى نزورَ القِبابا
أو علمنا حين استقلّتْ نَواهم   ما أقمنا حتى نَزُمّ(٣) الركابا

— الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وذكرتْ دَنانيرُ عن فُليح أنّ فيه لابن

(١) الجفرة : من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش ، قال أبو عبيد : اذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه وأخذ في الرعي فهو : جفر، والأنثى جفرة .

(٢) ويروى : « جل » .

(٣) زم البعير : خطمه ووضع فيه الزمام .

سريج وابن محرز لحنين — . قال : فاستحسنه الرشيد وأعجب به واستعاده مراراً وشرب عليه أرطالاً حتى سكر ، وما سمع غيره ولا أقبل على أحد ، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلما انصرفنا قال لي إبراهيم : لا ترم[1] منزلك حتى أصير إليك ؛ فصرت الى منزلي ، فلم أغيّر ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته ، فتلقّيته في دهليزي[2] ، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي : يا مخارق ، أنت فسيلة[3] مني وحسني لك وقبيحي عليك ، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد ، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غنّاه أحسن صنعةً منه وأجود وأشجى ، وإنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته ، ولا مطعن على صوتك ، وإذا أطربته وغلبته عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظفر ؛ وسيصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ويخضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابن جامع فيردّ الصوت الذي غنّاه ويشرب عليه رطلاً ويأمر له بجائزة ، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ ردّته حتى تغنّي ما أعلّمك إياه الساعة ، فإنه يقبل عليك ويصلك ، ولستُ أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك ؛ فقلت : السمع والطاعة ؛ فألقى عليّ لحنه :

يا دارَ سُعدى بالجزع من مَلَلِ

وردّده حتى أخذته وانصرف ؛ ثم بكّر عليّ فاستعاد الصوت فردّدته حتى رضيه ؛ ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صرنا الى دار الرشيد ؛ فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً ، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به ، ثم أمر ابن جامع فردّ الصوت ودعا برطل فشربه ، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفّس حتى اندفعتُ فغنّيت صوت إبراهيم ، فلم يزل يصغي اليه وهو باهتٌ حتى استوفيته ؛

(١) رام : المكان يريمه : برحه، وأكثر ما يستعمل منفياً .

(٢) الدهليز : اسم الممر الذي بين باب الدار ووسطها ، فارسيّ معرّب . قال يحيى بن خالد : « ينبغي للانسان أن يتأنق في دهليزه، لأنه وجه الدار، ومنزل الضيف، وموقف الصديق حتى يؤذن له، وموضع المعلم، ومقيل الخدم، ومنتهى حدّ المستأذن » .

(٣) الفسيلة : النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغترس .

فشرب وقال: أحسنتَ والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره، وجعل يستعيد الصوت فأُعيده ويشرب عليه رِطلاً، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لي بمثلها؛ وجعل ابن جامع يَشغَب ويقول: يجيء بالغناء فيَدُسّه في أستاه الصبيان! إن كان محسناً فليُغنِّه هو، والرشيد يقول له: دع ذا عنك، فقد والله استقاد منك وزاد عليك.

صوت

من المائة المختارة

تَولّى شبابُكَ إلا قليلَا وحلّ المَشيبُ فصبراً جميلَا
كفى حَزَناً بفِراق الصِّبا وإن أصبح الشَّيبُ منه بَديلَا

الشعر والغناء لإسحاق. ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ابن عمرو.

اخبار اسحاق بن ابراهيم

قد مضى نسبه مشروحاً في نسب أبيه؛ ويُكنى أبا محمد، وكان الرشيد يُولَع به فيكنيه أبا صفوان، وهذه كِنية أوقعها عليه إسحاق[1] بن إبراهيم بن مُصعب مَزحاً. وموضعُه من العلم، ومكانُه من الأدب، ومحلّه من الرواية، وتقدُّمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف؛ وأمّا الغناء فكان أصغرَ علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه؛ فإنه كان له في سائر أدواته نُظَراء وأكفاء، ولم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لحَقَ بمن مضى فيه وسبق من بقي، ولَحَبَ[2] للناس جميعاً طريقه فأوضحها، وسهّل عليهم سبيله وأنارها؛ فهو إمامُ أهل صناعته جميعاً، ورأسهم ومعلّمهم؛ يَعرف ذلك منه الخاصّ والعامّ، ويشهد به الموافق والمفارق؛ على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضاً لأن يُدعى اليه أو يُسمّى به. وكان يقول: لوَددتُ أن أضرب كلما أراد مريدٌ مني أن أغنّيَ وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغنّي، عشرَ مقارع، لا أطيق أكثرَ من ذلك، وأُعفى من الغناء ولا ينسُبني من يذكرني اليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاء بحضرتي، فإنه أولى به وأعفُّ وأصدق وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القضاة.

مشاركته في غير الغناء:

وقد روى الحديثَ ولقي أهله: مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عُيَينة،

(١) المعروف أن الرشيد لم يعاصر اسحاق بن ابراهيم بن مصعب في بغداد، وأن اسحاق المصعي وأهل بيته من أهل بوشنج من أعمال خراسان ولم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيهـا. والأجدر به أن يكون «المأمون» بدل «الرشيد» ليتسق التاريخ وتتلاءم الحوادث بعضها مع بعض.

(٢) لحب الطريق: سلكه وأوضحه، ويستعمل لازماً فيقال: لحب الطريق اذا وضح.

وهُشَيم بن بَشير[1]، وإبراهيم[2] بن سَعد، وأبي معاوية[3] الضَرير، ورَوْح[4] بن عُبادة، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز. وكان مع كَراهته الغناء أضنّ خلق الله وأشدّهم بُخلًا به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه مُنتسباً اليه مُتعصِّباً له فضلًا عن غيرهم. وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائقه وميّزه تمييزاً لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده، ولم يكن قديماً مميَّزاً على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل، وثقيل الثقيل، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة، وهو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأوّل، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر، ولا يعرف المجاريَ التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثلَ ما ميّز الأجناس، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين، الصنف الأوّل منها هذا الذي ذكرناه، والصنف الثاني القدْر الأوسط من الثقيل الأوّل، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري، وألحق جميع الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هـذا الترتيب. ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلًا على أن يُصنّفه في كتابه؛ فقد ألف جماعةٌ من المغنّين كتباً، منهم يحيى المكيّ — وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم، وكلّهم كان يفتقر اليه ويأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطران الى الأخذ عنه — ألَف كتاباً جمع فيه الغناء القديم، وألحق فيه ابنه الغناء المُحدَث الى آخر أيامه، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط

---

(١) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، يكنى أبا معاوية، مات في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ.

(٢) هو ابراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ويكنى أبا إسحاق، وكان ثقة كثير الحديث وربما أخطأ فيه، توفي ببغداد سنة ١٨٣ هـ.

(٣) اسمه محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد، وكان ثقة كثير الحديث يدلس، توفي بالكوفة سنة ١٩٥ هـ.

(٤) هو روح بن عبادة القيسي من بني قيس بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وكان ثقة، توفي سنة ٢٠٥ هـ.

عظيم، حتى جعلا أكثر ما جنَّساه من ذلك مختلطاً فاسداً، وجعلا بعضه، فيا زعما، تشترك الأصابع كلّها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لما احتيج الى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صِنفين: الوسطى والبنصر. والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا؛ وقد ذكرته في رسالة عملتُها لبعض إخواني ممن سألني شرحَ هذا، فأثبتُّه واستقصيته استقصاءً يُستغنى به عن غيره. وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمته الأوائلُ مثل إقليدس ومَن قبله ومَن بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيا قد أفنوا فيه الدهورَ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب، فسأل إسحاقَ الموصليّ — أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب — بحضرتي، فقال له: يا أبا محمد، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكراً، واحمرّت أُذناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما؛ فقال لمحمد بن الحسن: الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب، فإن كنتَ تضرب أريتُك أين تخرج! فخجِل وسكت عنه مُغضباً، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن، فلم عنه. قال عليّ بن يحيى: فصار إليّ به وقال لي: يا أبا الحسن، إنّ هذا الرجل سألني عما سمعتَ، ولم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى، فإذا خرج اليك منها شيء فأعطِنيه؛ فوعدته بذلك؛ ومات قبل أن يخرج اليه شيء منها. وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يُؤثر عنه: أنه استخرج بطبعه عِلماً رسمته الأوائل لا يُوصَل الى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى، ثم تعلّم ذلك وتوصّل اليه واستنبطه بقريحته،

فوافق ما رسمه أولئك، ولم يَشِذَّ عنه شيء يحتاج اليه منه، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ اليه ولا عرفه، ثم تبيَّنَ بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته، فضله على أهلها كلِّهم وتميُّزه عنهم، وكونه سماءَهم أرضُها، وبحراً هم جداوله.

اسم أمه وجنسها :

وأمّ إسحاق امرأة من أهل الرَّيّ يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دُوشار التي كانت تُغنّي بالدُّفّ، فهَوِيَها إبراهيم وتزوَّجها. وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه.

برنامج دراسته اليومي :

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال :

بقيتُ دهراً من دهري أغلس في كلّ يوم الى هُشَيم فأسمع منه، ثم أصير الى الكِسائيّ أو الفرّاء أو ابن غَزالة[1] فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتي منصورَ زلزل فيضاربني طَرْقين[2] أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة[3] بنت شُهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي الأصمعيّ وأبا عُبيدة فأنشدهما وأحدّثهما فأستفيد منهما، ثم أصير الى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومَن لقيت وما أخذتُ وأتغدّى معه، فإذا كان العشاء رُحت الى أمير المؤمنين الرشيد.

أخبرنا محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

---

(١) لعله عبد الواحد بن أحمد بن غزال مقرىء.

(٢) الطرق (بالفتح) : صوت أو نغمة بالعود ونحوه، يقال : تضرب هذه الجارية كذا طرقاً .

(٣) عاتكة بنت شهدة : إحدى المغنيات المحسنات، وأمها جارية الوليد بن يزيد وكانت مغنية أيضاً .

أَخذ منّي منصورُ زلزل الى أن تعلّمتُ مثلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

أخبرنا محمد ابن العباس اليزيديّ قال حدثنا أحمد بن أبي خَيثمة قال :

كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فرحّب به وقال : هاهنا يا أبا محمد إلى جَنبي ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قرَّبتْ بيننا الآداب .

تقدير المأمون له :

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال حدثنا يَزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدثنا ابن شَبيب من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا ما سَبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلّيتُه القضاء، فما أعرف مثله ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا الفضل بن العبّاس الورّاق قال حدثنا المُخرّميّ (١) عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول :

صِرتُ الى سُفيان بن عُيَينة لأسمع منه ، فتعذّر ذلك عليّ وصعُب مَرامُه ، فرأيته عند الفضل بن الرّبيع ، فسألتُه أن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم اليه بحديثي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلته . قال : فقلت : تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به ؛ فسأله في ذلك ، ففرَض لي خمسة عشرَ حديثاً في كل مجلس ؛ فصرت اليه فحدّثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتني به ؟ قال : نعم ، وعقد بيده شيئاً ؛ قلت : أفأرويه عنك ؟ قال : نعم ، وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال :

---

(١) المخرّميّ : نسبة الى المخرم : محلة ببغداد .

هـذه خمسة وأربعون حديثاً ، وضحك اليّ وقال : قد سرّني ما رأيتُ من تَقَصِّيك في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك ، فصرْ إليّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئت .

أخبرني محمد بن يحيي الصُّولي قال حدّثني الحسين بن يحيي أبو الجُمان وَعون ابن محمد الكنديّ قالا : سمعنا إسحاق الموصليّ يقول :

جئتُ يوماً الى أبي معاوية الضَّرير ومعي مائة حديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلًا ضريراً ؛ فقال لي : إنّ أبا معاوية قد ولّاني اليوم حِجْبَتَه لينفعني ؛ فقلت : معي مائةُ حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها ؛ فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلما عرّفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأتَ ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا ؛ ثم أقبل عليّ يُرغّبني في الإحسان اليه ويذكر ضعفه وعنايته به ؛ فقلتُ له : أحتكِمْ في أمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ ، وقرأتُ عليه ما أردتُ وانصرفت .

بره بالعلماء :

أخبرني محمد بن يحيي الصُّولي قال حدّثني عليّ بن محمد الأسديّ قال حدّثني أحمد بن يحيي الشَّيباني ثَعلَب قال :

وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المدائنيّ ، فقال له : الى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي الى رجل هو كما قال الشاعر :

نَحمِلُ أشباحَنا الى مَلِكٍ   نأخذُ من ماله ومن أدبه

فقال له : ومَن ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ . قال أبو بكر : والبيت لأبي تمّام الطائيّ .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه :

كان إسحاقُ يُجري على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطِّه؛ فمرّ ابنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها في فمي فابتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنه ورّثني الشعرَ. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن مَزيَد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قال لي أبي:

أعطيتُ منصوراً زلزَلا من مالي خاصّة حتى تعلمتُ ضربَه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من الخلفاء ومن أبي. قال: وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفهَمه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تَفهّمه جاء فيه من الضرْب بما لا يتعلّق به أحد البتّة.

قدرته على الإجازة الشعرية:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرني به الأخفَش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني بـه يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبيّ عن إسحاق قال:

قال لي أبو زياد الكلابيّ : أَوْلَم جارٌ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرَّم يومي فلم يأتِ ، فقلت لامرأتي :

إنّ أبا سفيان ليس بُمولِمٍ فقُومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ [١]

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا ، إنما أرسلتُه يتيماً ؛ فقلتُ : أفلا أُجيزه ؟ قال : شأنَك ؛ فقلت له :

فبيتُكِ خيرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ وقِدرُكِ خيرٌ من وليمة جارِكِ

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأمي ، جئتَ والله به قَبَلاً [٢] ما انتظرتَ به القَرَبَ ، وما ألوم الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملّحَ بك ، وإنك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثله ، ولو كان الشباب يُشترَى لابتعتُه لك بإحدى عينيّ ويُمنى يديّ ، وعلى أن فيك بحمد الله ومَنّه بقيَّةً تَسرّ الوَدود ، وتُرغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلّبيّ والأخفش . وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي إما شَدّاد بن عُقبة وإما أبو مُجيب :

قالت امرأةُ القتّال الكلابيّ له : هل لكَ في فِلقة من حُوار نطبخُها لك ؟ فقال : لا والله ، نحن على وليمة أبي سُفيان ودَعوته ، وكان أبو سفيان رجلاً من الحيّ زُفّت اليه امرأتُه تلك الليلة ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه ، فقال :

إنّ أبا سفيان ليس بُمولِمٍ فقومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله .

---

(١) الفلقة : القطعة . والحوار : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل .

(٢) القبل : الارتجال أي التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه ، يقال : تكلم قبلاً فأجاد ، واقتبل الكلام والخطبة اقتبالا اذا ارتجلها ولم يكن أعدّها . والقبل أيضاً : أن يورد الرجل إبله فيستقي على أفواهها ولم يكن هيأ لها قبل ذلك شيئاً . والقرب : أن يكون بين القوم وبين الماء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم ويسوقونها اليه سوقاً شديداً . يريد أنه جاء به ارتجالا وعفو الخاطر من غير أن يتريث به ويكد سعياً في طلبه .

أخبرنا يحيي بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال :

أنشدتُ أعرابياً فهماً شِعراً لي ، فقال : أقفَرْتَ والله يا أبا محمد ؛ قلتُ : وما أقفرت ؟ قال : دعيتَ قَفرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أبدَعتَ) .

دقة حاسته الغنائية :

أخبرني عليّ بن سليان الأخفش وعمي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول :

دخلتُ على المأمون يوماً وعَقيدٌ يغنّيه أرتجالا وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق، كيف تسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري ؟ قال : نعم ، سألت عمي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه واستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين – أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك – إنّ الناس قد أكثروا في أمري حتى نَسبتْني فرقة الى التزيّد في علمي ؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك ؛ فقلت لعقيد : أردُد هذا الصوت الذي غنّيته آنفاً ، وتحفّظ فيه وضرَب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين أستوفاه : في أيّ طريقةٍ هذا الصوتُ الذي غنّيتَه ؟ قال : في الرَّمَل ؛ فقلت للضارب : في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رمَلا ويضرب ضارُبه هَزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! قال : وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين ، الأمرُ فيه الآن بيّن ؛ فغاظني ، فقلت له : بأيّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بيّناً قبلُ ؟ أتوهم أنك أستنبطتَ معرفة هذا ! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر من حضر أتباعاً لي واقتداء بقولي . فقال له المأمون : صدَق ، فأمسك ؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر ، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين .

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدّثني أبي :

أنّ الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة[١] بن خازم :

إذا كانت الأحرارُ أصلي ومَنصِبي ودافعَ ضَيمي خازمٌ وابن خازمِ
عَطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يداي الثّريّا قاعداً غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعجب منها ويستحسنها ، وكان بعد ذلك يذكرها ويُفضِّلها .

ولاؤه لخازم بن خزيمة :

قال ابن حَمْدون : وكان السبب في تولّي إسحاقَ خازمَ بنَ خُزيمة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالطا[٢] ، فقال له ابن جامع : يا من إذا قلتُ له يابنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبني أحد ؛ فمضى الى خازم بن خزيمة ، فتولّاه وانتمى اليه ، فقبل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

امتحنه المعتصم :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : قال إسحاق : كانت عندي صَنّاجة[٣] كنت بها مُعجباً ؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينا أنا ذاتَ

---

(١) هو خزيمة بن خازم بن خزيمة ، كان هو وأبوه من أشراف الدولة العباسية ، وقد ولي أبوه خراسان وعمان لأبي جعفر المنصور ، وكان هو من قوّاد الرشيد المبرزين الذين قاموا له بجلائل الأعمال .

(٢) تغالطا : تعاديا وتشاتما ، والمغالطة : شبه المعارضة ، يقال : ما لك تغالطني وتغالظني ، وتعارضني وتغايظني .

(٣) الصناجة : الضاربة بالصنج . والصنج (لفظ دخيل) : صفيحة مدورة تتخذ من صفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .

يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقّ دقًا شديداً ، فقلت : أنظروا من هذا ؛ قالوا : رسول أمير المؤمنين ؛ فقلت : ذهبتْ صَناجتي ، تجده ذَكرها له ذاكر فبعث إليَّ فيها ؛ فلما مَضى بي الرسول انتهيتُ الى الباب وأنا مُثخَن[١] ، فدخلتُ فسلَّمت ، فردّ السلام ، ونظر الى تغيّر وجهي فقال : اسكُن فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لمن هو ؟ فقلت : أسمَعُه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغنَّته وضربتْ ، فإذا هي قد شبَّهته بالقديم ؛ فقلت : زِدْني معها عوداً آخر فإنه أثبتُ لي ، فزادني عوداً آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلتَ ذلك ؟ فقلت : لمَّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنعة النساء ؛ ولمَّا رأيتُ جودة مَقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنها قد حَفظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكون أثبتَ لي فلم أشكُكْ ؛ فقال : صدقتَ ، الغناء لعَريب :

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد[٢] : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الطَّاهري[٣] قال : حدَّثتني مُخارقُ مولاتُنا قالت :

كان لمولاي الذي علَّمني الغناء فرّاش رُوميّ ، وكان يغنّي بالروميَّة صوتاً مليحَ اللحن ؛ فقال لي مولاي : يا مخارق ، خذي هذا اللحنَ الروميّ فانقُليه الى شعر من أصواتك العربيَّة حتى أمتحن به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته ؛ ففعلتُ ذلك ؛ وصار اليه إسحاق فأحتبسه مولاي ، فأقام وبعث إليَّ أن أدخلي اللحنَ الروميّ في وسط غنائك ؛ فغنَّيته إياه في دَرْج أصوات مرّت قبله ، فأصغى اليه إسحاق ، وجعل يتفهَّمه ويُقَسّمه ويتفقد أوزانَه ومقاطعه ويوقع عليه بيده ،

(١) مثخن : مهموم محزون ، يقال : أثخنه الهم اذا غلبه .

(٢) هو أبو عبيد الله بن أبي سعيد الورّاق ، وكان أخباريا نسابة راوية للشعر .

(٣) هو اسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين ، واليه ينسب .

ثم أقبل على مولاي فقال : هذا صوت روميّ اللحن ، فمن أين وقع اليك ؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجه لحناً رومياً لا يعرفه ولا العلّةَ فيه ، وقد نُقل الى غناء عربيّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يخفَ عليه .

مناظرة بين المغنين :

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني عَلّويه الأعسر ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال :

تناظر المغنّون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضُّرّاب وحِذقَهم ، فقدّم إسحاق زَلزَلا على مُلاحظ ، ولملاحِظ في ذلك الرياسة على جميعهم ؛ فقال له الواثق : هذا حَيف وتَعَدٍّ منك ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتحنهما فإن الأمر سينكشف لك فيهما ؛ فأمر بهما فأُحضِرا ؛ فقال له إسحاق : إن للضُّرّاب أصواتاً معروفة ، أفأمتحنهما بشيء منها ؟ قال : أجلْ افعلْ ، فسمّى ثلاثة أصوات كان أوّلها :

عُلّق قلبي ظبيةَ السَّيبِ[1]

فضربا عليه ، فتقدّم زَلزَل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عمّا ادّعاه في مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ! ولم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يكن أحد في زماني أضربَ منّي إلا أنكم أعفيتموني ، فتَفَلَّتَ منّي ؛ وعلى أن معي بقيةً لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحظ ، شوّشْ عودَك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛

---

(١) السيب : كورة من سواد الكوفة ، وهو أيضاً نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلّط الأوتار تخليط متعنِّت فهو لا يألو ما أفسدها ، ثم أخذ العودَ فجسَّه ساعةً حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُلاحِظ ، غنّ أيّ صوت شئتَ ، فغنّى ملاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقرة واحدة ، ويَدُه تصعَد وتنحدر على الدَّساتين[1] ؛ فقال له الواثق : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ! أطرح هذا على الجواري ؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلُح لهنّ ، إما بلغني انّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديْ كِسرَى فأحسن فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقَّبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه الى عوده فشوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصلَح في مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد الى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة ، فامتحن العود فعرف ما فيه ، ثم قال : « زِهْ[2] وزِهْ وزهانْ زِهْ » ، ووَصله بالصِلة التي كان يصل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضعَ التي يخرج النغم كلها منه فيها ، من أعاليها الى أسافلها ، وكلّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه ، كما أعرف ذلك في مواضع الدّساتين ؛ وهذا شيء لا تفي به الجواري قال له الواثق : صدقتَ ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُلّقَ قلبي ظبيــةَ السِّيبِ جهلا فقــد أغري بتعذيبي

---

(١) الدساتين والدستانات : ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه ، وهي كلمة فارسية ، وتسمي العرب ذلك : العتب (بالتحريك) .

(٢) كلمة فارسية ومعناها: أحسنت أحسنت .

نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنا مَجَاسِدٌ[1] يَنفَحْن بالطِّيبِ
تَصُدُّها عنَّا عَجوزٌ لها[2] مُنكَرةٌ[3] ذاتُ أعاجيبِ
فكلَّما هَمَّتْ[4] بإتيانها قالت: تَوَقَّيْ عَدْوَةَ الذِّيبِ

الشعر والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر.

بخله بالغناء:

حدَّثني عليّ بن هارون قال حدَّثني محمد بن موسى اليَزيديّ قال حدَّثتني دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصليّ، وكانت من كبار جواريه وأحظى مَن عنده، ولقيتُها فقلت لها: أيَّ شيء أخذتِ عن مولاك من الغناء؟ فقالت: لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قطّ! كان أبخل بذلك، وما أخذتُ منه قطّ إلا صوتاً واحداً، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مُثخَنٌ سكراً، فدخل الى بيت كان ينام فيه، فرأى عوداً معلّقاً فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صِحْ لي بدِمْن؛ فجاءني الغلام فخرجتُ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُستلقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده، وقد اسْتَحْفَرَ[5] في نَغَمِه وتنوّق[6] فيها حتى استقام له، وهو:

صوت

أَلَا ليلُكِ لا يَذْهَبْ ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ

(١) المجاسد: القمصان، واحدها مجسد (بضم الميم من أجسده بالهمز، أو جسده بالتضعيف) وهو ما صبغ بالجسد أي الزعفران.

(٢) ويروى: «لنا».

(٣) منكرة: مبغضة مكروهة.

(٤) همت: أصله «هممت» حذفت إحدى الميمين تخفيفاً. هم بالشيء: نواه وأراده.

(٥) استحفر في الشيء: مضى فيه ولم يتمكث.

(٦) تنوّق في الشيء: جوّده وتأنق فيه.

وهـذا الصّبح لا يأتي ولا يـدنو ولا يَقرُبْ

فلمّا سمعتُه علمتُ أني إن دخلتُ اليه أمسك، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه ؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبني فقال : يا غلام ، أين دِمْن؟ فقلت : هأنذي ؛ فقال : مذ كم أنتِ واقفة؟ فقلت : منذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذته ؛ فنظر إليّ نظَرَ مُغضَب أَسِفٍ ، ثم قال : غنّيه ، فغنّيته حتى استوفيتُه ؛ فقال لي وقد فَتَر وخجِل : قد بقِيتْ عليكِ فيه بقيّة أنا أُصلحها لك ؛ فقلت : لست أحتاج الى إصلاحكَ إياه ، وقد والله أخذتُه على رَغمك ؛ فضحك . لحنُ هذا الصوت من الهزَج بالبنصر ، والشعر والغناء لإسحاق .

أخبرنا يحيي بن عليّ قال قال لي إسحاق :

كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أَخلَّ ببعضه، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، تركَ ابنُ جامع الناسَ يجُلون خلفَه ولا يلحقونه . وفي هذا الصوت خاصّة ؛ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدَق ، وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء ؛ فقال : كذَب والله يا أمير المؤمنين ؛ فقلت : يا سيّدي ، أنا أوقفه على نُقصانه، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين ؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمِع في الإصابة ، فقلت : آفتُه في البيت الثاني ، فليردُدْه ؛ فردّه فنقص من أجزائه وقِسمته ، فعرفتُه فأقرّ به ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة ؛ فقال : أوَيُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي عن إسحاق ؛ فذكر نحواً مما ذكره يحيي ؛ وذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم ؛ وزاد فيها فقال :

أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُقِفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به

مُخارِقٌ وعَلّويه؛ فقال: أو يُعفيني أميرُ المؤمنين من كلامِه! فإنـه يَعدِل عندي البُخْتُجَ(١)؛ قلت: يا أميرَ المؤمنين، وما يفعل البُخْتُج؟ قال: يُسلِح؛ قلت: قد والله فعل ذلك كلامي به، ومنه هرب؛ فضحك وغطّى فاه وقـام؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصعَبيّ أنّي قد أغضبته، فضرب بيده الى السيف؛ فقلت له: لا تحسَب أنّي أغضبتُه؛ فما كنت لأُكلّم عمّه بين يديه بهُزْء من غير إذنه، فأمسك؛ وكان لا يُقدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهن إلا بادر الى سيفـه تعظيماً للأمير وإجلالاً له.

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأً فأنكرتُه؛ فقـال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأً؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هـل تسمع خطأً؟ فقال: لا؛ فأعاد عليّ السؤال، فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه الى الناحية اليسرى ثم قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين: مُرِ الجواريَ اللواتي عـلى اليمين يُمسِكن، فأمرهنّ فأمسكنَ؛ فقلت لإبراهيم: هل تَسمع خطأً؟ فتسمّع ثم قال: ما هاهنا خطأ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، يُمسِكنَ وتضرب الثامنـةُ. فأمسكنَ وضربتِ الثامنة، فعرف إبراهيمُ الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، هاهنـا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تُمارِ إسحاقَ بعدها؛ فإن رجـلاً فهِم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حَلقاً لجديرٌ ألا تماريَه؛ فقال: صدقتَ يا أمـير المؤمنين. وقال الحسين بن يحيى في خـبره: وكان في الأوتار كلّها مَثنًى فاسدٌ

(١) البختج: العصير المطبوخ.

التسوية . وقال فيه : فطرِب أمير المؤمنين المأمون، وقال : لله درّك يا أبا محمد ؛ فكنّاني يومئذٍ .

ثناء الواثق عليه :

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثني أحمد بن حَمدُون قال :

سمعتُ الواثق يقول : ما غنّاني إسحاق قط إلا ظننتُ أنه قد زِيد لي في مُلكي، ولا سمعته يغنّي غناء ابن سُرَيج إلا ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر، وإنه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ من نعم المُلك التي لم يُحظَ بمثلها؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لاشتريتهنّ له بشَطْر ملكي .

يدخل مع الفقهاء :

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال :

سأل إسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله اليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين، فإذا أراده للغناء غنّاه؛ فأجابه الى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال : فحدّثني محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر أنه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده، إذ دخل يحيي بن أكثم وعليه سَوادُه[1] وَطويلتُه، ويدُه في يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد عَلّويه أن يُجنّ، وقال : يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنّ حتى

(١) السواد : شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم . والطويلة : قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة .

يجلسا بين يدي الخليفة !. ثم مضت على ذلك مدّة، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له في لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة؛ قال: فضحك المأمون وقال: ولا كلّ ذا يا إسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة الف درهم؛ وأمر له بها.

في مجلس الواثق:

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حَمدون قال:

كان المغنون جميعاً يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلا إسحاقَ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة؛ فإن أمره الخليفه أن يغنّي أحضر له عوداً، فإذا غنّى وفرغ سُلّ من بين يديه الى أن يطلبه. وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه رَفْعاً له من أن يدعوه باسمه؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يُعِد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيُتمّه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذَكَرَ إسحاقَ فيه، فقال: وعارض مَعْبداً وابنَ سُرَيج فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته، ولم يَبلُغه؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه.

نقد فني ساخر:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخنّاق:

سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ: إن إبراهيم بن المهديّ يَعيبك بتركِكَ تحريكَ الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نَفي بما علمناه، فإنا لا نحتاج الى الزيادة فيه. ثم قال له: فإنه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكُه عنده أن

يكون كثيرَ النغَم، وليس يفعل ذلك، إنما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة الى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار[1] للكِتاب، وهو حينئذٍ بأن يُسمّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرِّكَ؛ فضحك عَلّويه ثم قال: فإن إبراهيم يسمّي غناءكم هذا الممسك المِداديّ؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافي[2] الكثير العرض والطول المداديّ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرِّك الضِّراليّ، وهو الخفيف السخيف[3] من الثياب في لغة الحاكة، حتى تُدخل الغناء في جملة الحِياكة وتخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعَلّويه: بحياتي عليك إلّا ما أعدتَ عليه ما جرى؛ فقال له: لا وحياتِك لا فعلتُ؛ فإنه يعلم مَيلي إليكم، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخَنّاق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤْيده، ففعل وسار الى إبراهيم فأخبره، فجعل كلّما أخبره شيئاً تغيّظ وشتم إسحاقَ بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل كلّما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال أخبرني محمد بن راشد الخَنّاق قال:

إني لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ، فسُررتُ بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي اليك حاجة؛ قال قلت: قل ما شاء الله؛ قال دَعْني في بيتك، ودَعْ غلامَيك عندي: بُديحاً وسليمانَ — وكانا خادمين مغنّيين — ومُرْهما أن يغنّياني، وأتني بفلان ليغنّيني أيضاً، بحياتي عليك، وانطلِقْ الى إبراهيم بن المهديّ، فإنه سيُسَرّ بمكانك، فاشرب معه أقداحاً، ثم قل له: يا سيّدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سَلْ، فقل له: أخبرني عن قولك:

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّي

---

(١) الأسكدار: كلمة فارسية معناها حامل البريد.

(٢) الجافي من الثياب: الغليظ.

(٣) السخيف من الثياب: القليل الغزل.

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول: «ذهبتو» بالواو، فإن قلتَ: «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللحن والشعر، وان مددتَها قبُح الكلام وصار على كلام النَّبَط؛ فقلت له: يا أبا محمد، كيف أخاطب إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي اليك وقد كلّفتك إياها، فإن أستحسنتَ أن تردّني فأنت أعلم؛ قال: أفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ؛ ثم أتيتُ إبراهيم، وجلست عنده مَلِيًّا، وتجارينا الحديثَ الى أن خرجْنا الى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لي إسحاق، فتغيّر لونه وانكسر، ثم قال: يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجُرمُقانيّ ابن الزانية؛ قل له عنّي: أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعبَث. قال: فخرجتُ الى إسحاق فحدّثته بذلك فقال: الجُرمُقانيّ والله منا أشبهُنا بالجرامِقة لغةً وهو الذي يقول: «ذهبتو»؛ وأقام عندي يومَه فرِحاً بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه.

فساد ما بين صديقين:

قال عليّ بن محمد قال لي أبي:

كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما؛ فإنه طابق[1] إبراهيمَ بن المهديّ عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في محمد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق:

وَندْمان صِدْقٍ لا تُخاف أذاتُه ولا يلفِظ الأخبارَ لفظَ ابن راشدِ
دعاني الى ما يشتهي فأجبتُه إجابةَ محمود الخلائق ماجدِ
فلا خيرَ في اللّذات إلّا بأهلها ولا عيشَ إلّا بالخليل المُساعدِ

قال: فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجَوْه بأشعار لم تبلغ مرادَه، فلم يُظهرها. وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه:

---

(١) طابقه على الأمر: وافقه ومالأه.

وأبيات شعر رائعات كأنها إذا أُنشدت في القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّزَ وأقلولَى[1] لردّ جوابها أبو جعفر يَغلِي كما غَلَتِ القِدْرُ
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه عليها أُناس كي يكون له ذكْرُ
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يَقرِضونها وأضيعُ منها من يَرى أنها شعرُ

قال: فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ واستكفّه وصالحه، فرجع اليه.

أخذ ابراهيم بن المهدي صوتاً له:

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ قال حدّثني منصور بن محمد بن واضح:

أن إبراهيم بن المهديّ طرَح في منزل أبيه:

صوت

أمن آلِ لَيلى عرفتَ الطُّلولا بذي حُرُضٍ[2] ماثلاتٍ مُثولا
بَلِينَ وتحسَب آياتِهنّ عن فَرْطِ حَوْلين رِقّا مُحِيلا[3]

— الشعر لكعب بن زُهير. والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر، وماخوريّ بالوسطى. وفيه للزُّبير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل — قال: فجاءنا إسحاق يوماً، وأقام عند أبي، وأخرجنا اليه جوارِيَنا، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم ابن المهديّ من غنائه؛ فقال إسحاق: من أين لك هذا؟ قال: طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى؛ فقال إسحاق: وما لأبي إسحاقَ أعزّه الله

(١) تحفز الرجل واقلولى: إذا استقل على رجليه ولما يستو قائماً وقد تهيأ للوثوب.
(٢) ذو حرض: واد لبني عبد الله بن غطفان، بينه وبين معدن النقرة خمسة أميال.
(٣) فرط الشيء: مضى وذهب. وأحال: أتى عليه أحوال أي سنون.

ولهذا الصوت! هذا أنا صنعتُه ، وليس هو كما طرَحه . قال : فسأله أبي أن يغنّيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي : اكتب الى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبستُه ، وأنه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي ألقيتَـه في منزلك الذي أسكنه ، فزعم أنه صنعه ، وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلني الله فداك . قال : فكتبتُ الرُّقعة وأنفذتها الى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلتُ فِداك ، صدَق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما ذكره ، لكنّي لعِبت في وسطه لعباً أعجبني . قال : فقرأ إسحاقُ الرقعة فغضب غضباً شديداً ، ثم قال لي : اكتب اليه : « إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعبْ في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتك الى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنع أنت إن كنت تُحسن ، والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غيرَ مُشارِك في جِدّ الناس بلعبك ومُفسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيدك الله ، ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تُمَخرق[1] فيه وتقول : «جَندَرْتُه» . قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجندِر صنعةَ القدماء ويحسّنها .

مناظرة في الغناء :

قال عليّ بن محمد حدّثني جدّي حَمدون :

انّ إسحاق قال لإبراهيم بن المهديّ بحضرة المعتصم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحرز ومَعبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحسنون تمام الصّنعة ولا استيفاء الغناء ، ويعجزون عمّا به يكمل ويتمّ ويحسن ، وأنه أقدر على الصنعة منهم ؟ قال : أقول : إنه جاهل أحمق ؛ قال : فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياء لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمّمتَها وحسّنتها بجندرَتك ؛ قال : فضحك المعتصم وبقي إبراهيمُ واجماً مُطرقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه ؛ وما سمعتُه أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء

(١) مخرق : موّه . وجندره : أصلحه وصقله .

المتقدمين، حتى يُطنِب في صنعته ويُشتهى أستماعه منه، كما كان يَدّعي قديماً. قال: وكان حَمدون يقول: كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلاً، حتى يحضُر إسحاق، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأته، ولا يدعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه؛ وكان إسحاق آفته، كما أنّ لكل شيء آفة.

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخمورٌ أتنسّم الهواء، فمررت برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرُّمّة:

صوت

ألم تعلمي يا ميّ أنّي وبيننا ... مَهاوٍ لطَرْف العين فيهنّ مَطرَحُ (١)
ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ (٢) ... أمامَ المَطايا تَشرئبّ وتَسنَحُ
من المؤلِفاتِ الرملِ أدماءُ (٣) حُرّةٌ ... شُعاعُ الضّحى في مَتنها يتوضّحُ
هي الشِّبْهُ أعطافاً وجيداً ومُقلةً ... ومَيّةُ منها بَعدُ أبهى وأملحُ
كأن البُرَى (٤) والعاجَ عِيجَتْ مُتونُه ... على عُشَرٍ نَهّى (٥) به السيلَ أبطحُ

(١) مهاو: جمع مهواة وهي ما بين الجبلين. يريد الشاعر أن يصفها بأنها مهاو بعيدة يسرح فيها البصر فلا يرده شيء.

(٢) أم شادن: كنية الظبية، والشادن: ولدها الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. ويقال: ظبية مشدن أي ذات شادن يتبعها. وتشرئب: ترفع رأسها لتنظر، وكل رافع رأسه مشرئب. وتسنح: تعرض، وقيل: تسنح: تأتي عن شمالك.

(٣) ويروى: «من الآلفات الرمل»، و«المولعات». ومن الموطنات. والأدماء: واحدة الأدم، وهي — كما قال الأصمعيّ —: الظباء البيض تعلوهن جدد فيهن غبرة، فان كانت خالصة البياض فهي الآرام. وحرة: كريمة. ويتوضح: يبرق.

(٤) البرى: الخلاخيل، الواحدة برة، وكل حلقة تسميها العرب برة. والعاج: أسورة تتخذه نساء العرب من العاج، وعيجت: لويت. والعشر: شجر ناعم لين مستو. شبه ساعديها وساقيها بشجر العشر في الاستواء واللين.

(٥) نهى الشيء: أبلغه وأوصله، والأبطح: بطن الوادي. ومرجع الضمير في «به» شجر العشر مراداً به مكانه الذي ينبت فيه. وعدّى «نهى» بالباء لأنه ضمن معنى «حبس»، أي إن بطن الوادي حمل السيل وأبلغه للمكان الذي ينبت فيه شجر العشر وحبسه به فهو لذلك ريان ممتلىء.

لئن كانت الدنيــا عليّ كما أرى ... تباريحَ من ميٍّ، فَلَلموتُ أرْوحُ

فأعجبني، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم. لحنُ إسحاقَ في هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر.

حدّثني يحيى بن محمد الطّاهريّ قال حدّثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال:

اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رفيقي محموماً، فدفعنا الى وكيل له أعجميّ خُراسانيّ، وقال له: انحدرْ بهذين الغلامــين الى بغداد الى إسحاق الموصليّ؛ ودفع اليه مائة ألف درهم، وشِهْرِيّاً[1] بسرجه ولجامه، وثلاثة أدراجٍ[2] من فِضّة مملوءة طِيباً، وسبعةَ تُخوتٍ[3] من بَزّ خُراسانيّ، وعشرةَ أسفاطٍ[4] من بَزّ مصر، وخمسةَ تخوتٍ وَشْيٍ كوفيّ، وخمسة تخوتِ خَزّ سُوسِيّ، وثلاثين ألف درهم للنفقة؛ وقال للرسول: عرّفْ إسحاقَ أن هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان، وجّه بهما اليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في دَرْجٍ[5]، وقال له: كلما علّمهما صوتاً أدفع اليه ألف درهم، حتى يتعلّما بها مائة صوت، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع اليه الشِّهريّ، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فأدفع اليه بكل صوت دُرجاً من الأدراج، ثم لكل صوت بعد ذلك تختاً أو سَفَطاً، حتى يَنفَد ما بعثتُ به معك؛ ففعل، وانحدرنا

---

(١) الشهرية: ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل.

(٢) الأدراج: جمع درج (بالضم) وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها، ويجمع أيضاً على درجة (بكسر ففتح).

(٣) التخت: وعاء تصان فيه الثياب، فارسيّ، وقد تكلمت به العرب.

(٤) أسفاط: جمع سفط (بالتحريك) وهو ما يعبى فيه الطيب ومــا أشبهه من أدوات النساء، وقيل: هو كالجوالق او كالقفة.

(٥) الدرج (بالفتح وبالتحريك): الذي يكتب فيه، يقال: أنفذته في درج الكتاب أي في طيه. وهو يطلق على الصحيفة من أي نوع ومن أي مقياس.

الى بغداد، فأتينا إسحاق، وغنّينا بحضرته، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ؛ فلم يزل يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرنا سيّدُنا. ثم سِرنا الى سُرّ مَن رأى، فدخلنا اليه وغنّيناه جميعَ ما أخذناه فسرّه ذلك. وقدِم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى، ولقيه مولانا، فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا الى الواثق وقال: إنكما ستَرَيان إسحاقَ بين يديه، فلا تُسلِّما عليه ولا تُوهماه أنكما رأيتماه قطّ، وألبَسنا أقبيةً خُراسانيةً ومضينا معه؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له: يا سيّدي، هذان غلامان اشتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة؛ فقال: غنّيا، فضربنا ضرباً فارسياً وغنّينا غناء فهليذياً؛ فطرِب الواثق وقال: أحسنتما، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واندفعنا نغنّي ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر الينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق: وحياتِك يا سيّدي وبَيْعتِك، وإلّا كلّ مِلكٍ لي صدقة وكل مملوك لي حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصّتهما كيت وكيت؛ فقال له أحمد: ما أدري ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراساني؛ فقال له: بَلَغ وَلْعُك[١] إليّ! ونخّاس خراسانيّ من أين يحسن أن يختار مثلَ تلك الأغاني!؛ فضحك أبو أحمد ثم قال: صدَق، أنا احتلتُ عليه، ولو رُمتُ أن يعلّمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيتُه لَما فعل؛ فقال له إسحاق: قد تمّت عليّ حيلته. وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتَهما فخذهما؛ فقال: لا أفجعك بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعني حضورَهما؛ فقال له: قد بذلتُ لك المِلك فلم تُؤْثِره، أفتراني أمنعك الخدمةَ! فكنّا نخدمه بنَوْبة.

منزلته عند الواثق:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدّثني ابن فيلا الطُّنبوريّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال:

---

(١) الولع: الكذب.

قال الواثق في بعض العَشايا : لا يبرح أحدٌ من المغنّين الليلةَ ، فقد عزمتُ على الصَّبوح في غد ؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له : لا وحياتك ما أبيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له : فبحياتي إلّا بكّرتَ يا أبا محمد . قال : فرأيت مخارقاً وعَلّويه قد تقطّعا غيظاً ؛ وبِتنا في بعض الحُجَر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبي دُواد ماشيه في زِيّه وسَواده وطَويلتُهُ مثل طويلته ، فدخلت فأعلمتها ؛ فقامت على عَلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، رَخينا كُ يدخل الى الخليفة مع قاضي القضاة ! أسمعتم بأعجبَ من هذا البخت قطّ ! فقال له مُخارق : دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد . ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُواد ودُعيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالسٌ في صف الندماء لا يخدج منه ، فإذا أمره الواثق أن يُغنّي خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به ؛ فإذا فرَغ من القدَح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمّه ، ورجع الى صفّ الجلساء .

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بوَسواسة قال حدّثني حمّاد قال :

قال لي أبي : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم ابن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تَغنَّ :

شَربتُ مُدامَةً وسُقيتُ أخرى وراح المُنتشون ومـا انتشيتُ

فغنّيته ؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت : ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه ، وإن شئتَ فغنّه ، فإن لم أجدك أنك تخطئْ فيه منذُ ابتدائك الى انتهائك فدمي حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قرّبتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطَك ، فإذا نازَعناها أحدٌ بـلا علم لم نجد بُدّاً من الايضاح والذبّ ؛ فقال : لا غَرْوَ ولا لوم عليك ؛ فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبل إبراهيم بن

المهديّ عليّ وقال: وَيلك يا إسحاق! أتجترئ عليّ وتقول ما قلتَ يابنَ الفاعلة! لا يَكني؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه؛ فقلت له: أنت تشتُمني، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يابن الزّانية؛ أوَ تُرى أنّي كنت لا أحسن أن أقول لك: يابن الزانية؛ ولكن قولي في ذَمّك ينصرف جميعه الى خالك الأعلم[1]، ولولاك ذكرتُ صناعتَه ومذهبه — قال إسحاق: وكان بَيطاراً — قال: ثم سكتُّ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكوني وأنّ الرشيد سوف يسأل مَن حضر عمّا جرى فيخبرونه، فتلافيتُ ذلك، ثم قلت: أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير اليك فلا تزال تهدّدني بذلك وتُعاديني كما تُعادي سائرَ أولياء أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفِّياً؛ وأرجو ألّا يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده، وأن يقتل دونها؛ فإن صارت اليك — وبالله العِياذ — فحرامٌ عليّ العيشُ يومئذٍ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنعْ حينئذٍ ما بدا لك. قال: فلمّا خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتَمني وذكر أمّي واستخفّ بي؛ فغضِب وقال: ما تقول؟ ويلك! قلت: لا أعلم، فسَلْ مَنْ حضر؛ فأقبل على مسرورٍ[2] وحُسَين؛ فسألها عن القصّة؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد[3] الى أن انتهيا الى ذكر الخلافة، فسُرّي عنه ورجع لونُه، وقال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقدِر على جوابك، إرجع الى موضعك وأمسِك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر بألّا أبرَح، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيري؛ فساء ظنّي وأهمّتني نفسي؛ فأقبل عليّ وقال: ويلك يا إسحاق! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زنّيتَه[4] ثلاث مرات، أتُراني لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت! ويلك! لا تعُدْ؛ حدِّثني عنك، لو ضربك إبراهيم، أكنتُ أقتصّ لك

(١) الأعلم: الذي بشفته العليا أو في جانبيها شق.

(٢) مسرور وحسين: خادمان كانا للرشيد.

(٣) تربد وجهه: تغير وتعبس.

(٤) زناه (بالتشديد): قذفه ونسبه الى الزنا.

منه فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟ ! أُتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟! فقلت : يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتَني بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلنّي، وما أشك في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة فأُحضر، وقال : قم فانصرف؛ وقلت لجماعة من الخَدَم، وكلّهم كان لي مُحِبّاً وإليّ مائلًا ولي مُطيعاً : أخبروني بما يجري، فأخبروني مِن غد أنه لمّا دخل وبّخه وجهّله وقال له : أتستخفُّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتُقدِم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي؟ هاه[1] هاه ! أتُقدم على هذا وأمثاله ! وأنت ما لَكَ وللغِناء، وما يُدريك ما هو ! ومَن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلغ مبلغَ إسحاق الذي غُذِي به وعُلِّمه وهو صناعته ! ثم تظن أنك تُخطِّئه فيما لا تدريه، ويدعوك الى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ! أليس هذا مما يدلّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسِبكَ الناسُ الى الجهل المُفرط ! ألا تعلم – ويلك – أنّ هذا سوء أدب وقلّة معرفة وقلة مُبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح !. ثم قال : والله العظيم وحقِّ رسوله، وإلا فأنا نَفِيٌّ من المهديّ، لئن أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابّته، أو سقط عليه سقفُه، أو مات فجأة، لأقتلنّك به؛ والله ! والله ! والله ! فلا تعرض له وأنت أعلم، قم الآنَ فاخرجْ؛ فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت اليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم؛ وجعل ينظر اليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك، ثم قال له : إني لأعلم محبّتك في إسحاق وميلَك اليه والى الأخذ عنه، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلّا بعد أن يرضَى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسِن اليه وأكرمه وأعرف حقَّه وبِرّه وصِلْه، فإذا فعلتَ ذلك

---

(١) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك وللوعيد . وتكون ايضاً في موضع آه التي للتوجع .

ثم خالفك فيا تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لي: قم الى مولاك وابنِ مولاك فقبِّلْ رأسه؛ فقمت اليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

أعاذلُ قد نَهيتِ فما انتهيتُ وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذل ما كبِرتُ وفِيّ مَلهًى ولو أدركتُ غايتكِ انتهيتُ
شَربتُ مُدامةً وسُقيتُ أخرى وراح المنتشون وما انتشيتُ
أبيتُ مُعذَّباً قَلِقاً كئيباً لِما ألقاه من ألم وفَوْتِ [1]

الغناء لابن مُحرِزٍ ثقيلٌ عن ابن المكيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

منادمته الرشيد :

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أرسل إليّ الرشيد ذاتَ ليلة، فدخلت اليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرَّد وسراويلُ مورَّدة وقِناعٌ مورَّد كأنها ياقوتة على وردة ؛ فلما رآني قال لي : اجلس، فجلستُ؛ فقال لي : غنِّ، فغنَّيت :

تَشكّى الكُميتُ الجريَ لما جَهَدْتُه وبيَّنَ لو يَسطيعُ أن يتكلّما

فقال : لمن هذا اللحن ؟ فقلت : لي يا أمير المؤمنين؛ فقال : هاتِ لحنَ ابن سُرَيج،

(١) في هذا الشعر إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ .

فغنَّيتُه إياه؛ فطرِب وشرب رِطلًا وسقى الجاريةَ رطلًا وسقاني رطلًا؛ ثم قال: غنِّ، فغنَّيته:

صوت

هاجَ شوقي بَعدَ ما شُيِّبَ أصداغي بُرُوقُ
مَوْهِناً[1] والبَرْقُ مما ذا الهوى قِدماً يَشُوقُ

فقال: لمن هذا الصوت؟ فقلت: لي؛ فقال: قد كنت سمعت فيه لحناً آخر؛ فقلت: نعم، لحن ابن مُحرِز؛ قال: هاته، فغنَّيته فطرب وشرب رطلًا، ثم سقى الجارية رطلًا وسقاني رطلًا؛ ثم قال: غنِّ، فغنَّيته:

أفاطم مهلًا بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

فقال لي: ليس هذا اللحن أريد، غنِّ رَمَل ابن سُرَيج؛ فغنَّيته وشرب رطلًا وسقى الجارية رطلًا، ثم قال: حدِّثني، فجعلتُ أحدِّثه بأحاديث القِيان والمغنِّين طوراً، وأحاديثِ العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأنشِده أشعار القدماء والمحدَثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضلُ بن الرَّبيع، فحدَّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكهنَّ ووَصَفهنَّ بالحُسن والإحسان والظَّرف والأدب؛ فقال له: يا عبَّاسيُّ، هل تَسخُو نفسُك بهنَّ؟ وهل لك من سَلوةٍ عنهنَّ؟ فقال له: والله يا أميرَ المؤمنين، إني لأسخو بهنَّ وبنفسي، فبها فَداك الله؛ ثم قام فوجَّه بهنَّ اليه، فغَلَبن على قلبه، وهنَّ سِحر وضياء وخُنث ذات الخال؛ وفيهنَّ يقول:

إنَّ سِحراً وضياءً وخُنُثْ هنَّ سِحرٌ وضياءٌ وخُنُثْ
أخذتْ سحرٌ ولا ذنبَ لها ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني مَيمون بن هارون عن إسحاق قال:

---

(١) الموهن، ومثله الوهن: نحو من نصف الليل، وقيل: هو بعد ساعة منه، وقيل: هو حين يدبر الليل.

أتيتُ عُبَيدَ الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلتُ اليه حَصِرْتُ؛ فقال لي: إنّ الحَصَر رائدُ الحياء، والحياء عَقِيدُ الايمان، فانبسِطْ وأزِلِ الوحشة، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب؛ فقلت له: والله لقد سررتَني بخطابك، وزِدتَني ببِرِّك عجزاً عن جوابك؛ ولله درّ القُطامِيّ حيث يقول:

أمّا قريشٌ فلن تلقاهمُ أبداً ... إلّا وهم خيرُ من يَحفى ويَنتعِلُ

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيثم قال حدّثني أبو هِفّان قال:

وجّه أحمد بن هشام الى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب اليه:

إشربْ على الزعفرانِ الرَّطبِ مُتّكِئاً ... وأنعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطَّربِ
فحُرمة الكأس بين الناس واجبةٌ ... كحرمة الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال: فكتب اليه إسحاق:

أذكرْ أبا جعفرٍ حقًّا أُمتّ به ... أنّي وإياك مَشغوفان بالأدبِ
وأننا قد رضعنا الكأسَ دِرَّتَها[1] ... والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسبِ

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

لمّا أراد الفضل بن يحيي الخروجَ الى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع:

فِراقُك مثلُ فراق الحياةِ ... وفقدُك مثلُ افتقاد الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وفاء ... أفارق فيك وكم من كَرَمْ

قال: فضمّني اليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَها من يَصلح من الخارجين معنا، لأهديتَ بذلك إليّ أنساً وأذكرتَني بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال

(١) أصل الدرة: اللبن.

يَرِد عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلما غُنّي بهذا الصوت . قال الصوليّ : وهو من طريقة الرَّمَل .

أخبرني عمي قال حدّثني عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال :

قال لي الأصمعيّ : لمّا خرجنا مع الرشيد الى الرَّقّة قال لي : هل حملت معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت : نعم، حملتُ منها ما خفّ حمله ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً؛ فقال : هذا لمّا خفّفتَ، فلو ثقّلتَ كم كنتَ تحمل ؟ فقلت : أضعافَها؛ فجعل يَعجَب .

مدحه المعتصم :

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال :

لمّا ولي المعتصم دخلتُ اليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُستنطِقاً؛ فأنشدتُه :

صوت

لاحَ بالمَفرِقِ(١) منك القَتيرُ(٢) ... وذَوى غصنُ الشَّبابِ النَّضيرُ
هزِئتْ أسماء منّي وقالتْ ... أنتَ يابنَ الموصليّ كبيرُ
ورأت شيباً برأسي(٣) فصدّتْ ... وابنُ ستّين بشَيبٍ جديرُ
لا يَرُوعَنْكِ شَيبي فإنّي ... مع هذا الشَّيب حلوٌ مَزِيرُ(٤)

(١) المفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر .

(٢) القتير : الشيب، وقيل : هو أول ما يظهر منه .

(٣) ويروى : « علاني » .

(٤) المزير : الظريف .

قد يُفَلّ[١] السيفُ وهو جُرازٌ ويَصُول الليثُ وهو عَقيرُ[٢]
يا بني العبّاس أنتمْ شفـاءٌ وضيـاءٌ للقُلوب ونورُ
أنتمُ أهـل الخلافةِ فينـا ولـكم مِنبرُها والسريرُ
لا يزال المُلك فيكم مَدى الدّهـــرِ مُقيماً ما أقـام ثَبيرُ[٣]
وأبو إسحـاق خـيرُ إمامٍ ما له في العالمـين نظـيرُ
ما له فيما يَريش ويَـبري غـيرُ توفيق الإله وزيرُ
واضـح الغرّة للخير فيـه حين يبدو شاهدٌ وبشيرُ
زانه هَدْيٌ تُقًى وجـلالٌ وعفافٌ ووقـارٌ وخيرُ
لو تُباري جودَه الريحُ يوماً نَزَعتْ وهي طَليحٌ[٤] حَسيرُ

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة . ثم دخلتُ اليه يوم مقدمه من غزاته ، فأنشدتُه قولي فيه :

صوت

لأسماءَ رسمٌ عفـا باللِّوى أقـامَ رهيناً لطول البِلى
تعاوَرَه الدهرُ في صَرْفـه بكَرِّ الجديدين حتى عفـا
إذ البينُ لم تُخشَ رَوْعاته ولم يصرفِ الحيَّ صَرفُ الرَّدى
وإذ مَيعةُ[٥] اللهو تجري بنـا وحبلُ الوصال متينُ القُوى
فذلـك دهرٌ مضى فابكِهِ ومَن ضاق ذرعاً بأمرٍ بكى
وهـل يَشفِينّك من غُلّة بكاؤك في إثْر ما قـد مضى

---

(١) الفل : ثلم ينال حد السيف . والجراز (بالضم) : الماضي القطاع .

(٢) عقير : مجروح أو مقطوع القوائم .

(٣) ثبير : من جبال مكة بينها وبين عرفة .

(٤) طليح : تعب هزيل . وحسير : كليل معي .

(٥) ميعة اللهو والشباب والنهار والسكر وكل شيء : أوله وأصله .

إلى ابن الرشيد إمامِ الهدى   بعثنا المطيَّ تَجوب الفَلا
إلى مَلِـكٍ حلَّ من هاشمٍ   ذُؤابةَ مجـدٍ مُنيفِ الذُّرى
إذا قيـل أيٌّ فتى هاشمٍ   وسيِّدُها كان ذاك الفتى
بـه نَعَش الله آمالَنـا   كما نَعَش الأرضَ صَوْبُ الحيا
إذا ما نوى فِعلَ أُكرُومةٍ   تجـاوز من جُوده ما نوى
كساه الإلـهُ رداءَ الجمـال   ونورَ الجـلال وهَديَ التقى

قال: فأمر لي بجائزة، وقال: لستُ أحسُب هذا لك إلا بعد أن تَقرِن صناعتَك فيه بالأخرى (يعني أن أغنّي فيه وفي: «هَزِئتْ أسماء مني»)؛ فصنعتُ في:

هزئت أسماء منّي... ...

لحناً، وفي:

لأسماء رسم عفا باللّوى

لحناً آخر وغنّيته بهما، فأمر لي بألفيْ دينار.

نسبة هذين الصوتين

هزِئتْ أسماءُ منّي وقالت   أنت يابنَ الموصليّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. والآخر:

لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوى   أقام رَهيناً لطول البِلى

الغناء لإسحاقَ ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن أبي العلاء، قال: غنّيتُ يوماً بين يدي الواثق لحنَ إسحاق في:

هَزِئتْ أسمـاء منّي وقالت   أنت يابنَ الموصـليّ كبيرُ

قال : فنظر إليَّ مخارقٌ نظراً شَزْراً وعضَّ شَفته عليَّ ؛ فلما خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت : يا أستاذ ، لِمَ نَظرتَ إليَّ ذلك النظرَ ؟ أأنكرتَ عليَّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟ فقال لي : وَيحك ! أتدري أيَّ صوت غَنَّيتَ ! إن إسحاق جعل صَيحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيِّق وَعِر صعبِ المُرْتقى ، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرتقيه عن محجَّته الى جانب الوادي هوَى ، وإن مال الى الجانب الآخر نطحه حرفُ الجبل فتكسَّر ؛ صِر إليَّ غداً حتى أصحِّحه لك .

اخذه لحناً من مؤذن :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه :

أن إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذِن أذَّن به على باب المعتصم ، فأصغى اليه فأعجبه ، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحنُ ؛ فبنى عليه لحنَه :

هزئتْ أسماء منّي وقالتْ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ :

أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوماً ، فكتب اليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبى ، وكتب اليه : إني سأهدي اليك هديّةً للفَصْد حسنةً ؛ فوجّه اليه بُدَيحاً غلامه ، فغنّاه لحنَه في :

هزئتْ أسماء منّي وقالتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهديّة ، فإن كان أذِن لك في طرحه على الجواري فافعل ؛ فقال له : بذلك أمرني ؛ وقال لي : إنك ستقول لي هذا القول ،

فقال: إن قاله لك فقل له: لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة؛ فضحك إبراهيم، وألقاه بُدَيح على جواريه. وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب الى أبيه بهذه الهديّة؛ وهذا خطأ؛ لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد، فكيف يُهدي اليه هذا الصوت!

أخبرنا يحيي بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن أبي العلاء قال:

اندفع محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر يوماً يغنّي هذا الصوت؛ فالتفت الينا مُخارق فقال: خرجَ[1] ابن الزانية!

محاورة بين مغنيين:

حدّثني عمي قال حدّثني أبو جعفر محمد بن الدِّهقانة النّديم قال حدّثني أحمد بن يحيي المكيّ قال:

دعاني الفضل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومخارقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضعة؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب الى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير اليه ويُعلِمه الحالَ في اجتماعنا عنده؛ فكتب اليهم: لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير اليكم بعد ساعة؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر، ثم وافى إسحاقُ فجلس، وجاء غلامه بقطْرَمِيز[2] نبيذ فوضعه ناحيةً، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه، وكان عَلّويه يغنّي الفضل ابن الرَّبيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو:

فإنْ تَعجَبي أو تُبصري الدّهرَ طَمَّني[3] بأحداثه طمَّ المقصّ بالجَلَم[4]

(١) خرج: نبغ.

(٢) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج. قال الشاعر:

أنا لا أرتوي بطاس وكاس فاسقنيها بالزق والقطرميز

(٣) طمّني: غمرني.

(٤) الجلم (بالتحريك): الذي يجز به الشعر والصوف، ومثله الجلمان بلفظ التثنية.

فقد أترك الأضيافَ تَندى رِحالُهم ... وأُكرمهم بالمحض والتامك السَّنِم[1]

— ولحنه من الثقيل الثاني — فقال له إسحاق : أخطأتَ يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأنا أُصلحه لك ؛ فجُنَّ عَلّويه واغتاظ وقامت قيامته ؛ ثم أقبل على علّويه فقال له : يا حبيبي ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنما أردتُ تهذيبَك وتقويمك، لأنك منسوبُ الصواب والخطإ الى أبي وإليّ، فإن كرهتَ ذلك تركتك وقلت لك : أحسنتَ وأجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هذا أردتَ ؛ ولا أردتَ إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبِرْني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لمّا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِط للاصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أن يَشغَلك عنه شيء إلا الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قطرميزُ نبيذٍ ترفّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تَنشَط، كما تفعل الأكفاء، بل تَزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تَعمِد الى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم أحد فتَعيبه ليتمّ تنغيصُك إياه لذّته ! أمَا والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك الى مثل ما دعاك اليه الأمير ، بل بعضُ أتباعهم ، لبادرتَ وباكرتَ وما تأخرت ولا اعتذرتَ ؛ قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاقَ ؛ فقال له إسحاق : أمّا ما ذكرته من تأخري عنه الى الوقت الذي حضرتُ فيه ، فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثِق بذلك مني وإلا ذكرتُ له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفّعي عنه ، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب الى صنائعه وأستمنحه وأعيش من فضله مذ كنتُ، وهذا تَضريبٌ[2] لا أبالي به منك . وأما حَملي النبيذَ معي ، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه ، وإن لم أجده لم أقدِر على الشرب وتنغّص عليّ يومئذ ، وإنما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي. وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختياره،

---

(١) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . والتامك : العظيم السنام من الإبل، ومثله السنم .

(٢) التضريب : الإغراء بين القوم .

وإنما أردتُ تقويمك ، ولست والله تراني مُتتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوّماً شيئاً من خطئك ؛ وأنا أغنّي له – أعزّه الله – هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأتَ فيه وقصّرت . وأما البرامكة وملازمتي لهم فأشهرُ من أن أجحده ، وإني لحقيقٌ فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشرَه ، وذلك والله أقلُّ ما يستحقّونه مني . ثم أقبل على الفضلِ – وقد غاظه مدحُه لهم – فقال : اسمع مني شيئاً أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبيرٍ في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي ، فإن وجدتَ لي عذراً وإلا فلُمْ : كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره ، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريّ وجواريه الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم اليه ، فأتبيّن الضّجر والتنكّر في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت اليها أنا وغلماني وجواريّ ، وكانت داراً واسعة ، فلم أرضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوا مثله عندي ؛ ففكرت في ذلك وكيف أصنع ، وزاد فِكري حتى خَطَر بقلبي قُبح الأُحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة ، وأني لا آمَنُ في وقت أن يستأذن عليّ صاحبُ داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجّه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدري ضِيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ الى الصحراء أتفرّج فيها مما دخل على قلبي ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا مفكر لا أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانُه إليّ ؛ وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : الى الوزير ؛ فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خجِلاً ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت اليه برداء ونعل وأعلمته أني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلمّا رآني تبسّم وقال : ما هذا الزّيّ يا أبا محمد ! احتبسنا لك بالبر والقصد والتفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله يا سيّدي ، ولكني أصدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من

أوّلها الى آخرها؛ فقال: هذا حقّ مستورٌ، أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله! وزاد فقال: لا تَشغَلْ قلبَك بهذا، يا غلام، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة؛ فجاؤوني بخلعة تامّة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت ووُضع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضها توقيعاً لي بجائزة، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع اليه الرّقاع وسارّه بشيء، فزاد طمعي في الجائزة؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمة؛ ثم اتّكأ يحيي فنام، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري؛ فلمّا تجاوزت الدارَ قال لي غلامي: الى أين تمضي؟ قلت: الى البيت؛ قال: قد والله بِيعتْ دارك، وأشهد على صاحبها، وابتيع الدّربُ كلّه ووزِن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانياً؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حِسابي، وجئت أنا لا أدري ما أعمل؛ فلمّا نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارّه يحيي قد قام إليّ فقال لي: ادخل — أيدك الله — دارَك حتى أدخل الى مخاطبتك في أمر أحتاج اليك فيه؛ فطابتْ نفسي بذلك، ودخلت ودخل إليّ فأقرأني توقيعَ يحيي: «يُطلَق لأبي محمد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها». والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل: «قد أمرتُ لأبي محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلِقْ اليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي». والتوقيع الثالث الى جعفر: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله». والتوقيع الرابع الى محمد: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفرش يَبتذِله، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته». وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بُورِك لك فيه فاقبِضه؛ فقبضتُه

وأصبحت أحسن حالًا من أبي في منزلي وفرشي وآلتي؛ ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر، وقالوا: لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غن الصوت ولا تبخَل على أبي الحسن بأن تُقوّمه له؛ فقال: أفعل؛ وغنّاه، فتبيّن عَلويه أنه كما قال: فقام فقبّل رأسه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد؛ وردّده[1] إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلويه.

ولقد رُوي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام، وقد أخبرني الخبر بهذا أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشميّ قالا:

دعا عليّ بن هشام إسحاق الموصليّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبكّر فأجابه؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارق وعَلويه؛ فقال له عليّ بن هشام: أين كنت الساعة يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجد من القيام به بدّاً؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى عَلويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

صوت

إلهي مَنحتَ الوُدّ منّي بخيلةً ... وأنت على تغيير ذاك قديرُ

شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه ... وإنّ امرأً أخفى الهوى لصبورُ

— الغناء لسليمان أخي أُحيحة، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو — فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيلكَ! فوضع عَلويه العود وشرب رطلاً وشرب عليّ بن هشام؛ ثم تناول العود وغنّى:

(١) رده: أعاده مثل ردّده.

صوت

ولقـد أسمو الى غُرَفٍ   في طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُهْ(١)
حوله الأحراسُ تحرُسُـه   ولديه جاثماً أَسَـدُهْ

— الغناء لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو — فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيلكَ! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له: دعاك الأمير — أعزّه الله — لتُبكّر اليه، فجئته ظُهراً، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما الأمير — أعزّه الله — عليّ فخطّأتني فيهما، وزعمتَ أنك لا تغنّي بين يدي الأمير — أعزّه الله — ولا تغنّي إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد، ولو دعاك بعض البرامكة لكنت تُسرع اليه ثم تغنّي مُنذُ غُدوةٍ الى الليل! فقال إسحاق: إني والله ما أردت انتقاصاً منك، ولا أقول مثله لغيرك ولا أُريد ازدراء من أحد، ولكني أردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديب؛ فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك. ثم أقبل على عليّ بن هشام، فقال له: أعزّك الله، إني أحدّثك عن البرامكة بما تُقيم عذري فيما ذكره: دخلت على يحيى بن خالد يوماً، ولم أكن أردت الدخول عليه، وإنما ركبت متبذِّلاً(٢) لهمٍّ أهمّني، وكنت نازلاً مع أبي في داره، فضِقْتُ صدراً بذلك وأحببت النُّقلة عنه، ونظرت فإذا يدي تَقصُر عمّا يُصلحني؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً مما قلته. وزاد فيه: أنه دخل الى يحيى بن خالد وهو مُصطبح؛ فلما رآه نعرَ(٣) وصفّق، وأنه وقّع له بمائتي ألف درهم، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفضل بمائة وخمسين ألفاً، وكلُّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألفٍ مائة ألف. وقال فيه: فبكى عليّ بن هشام ومن حضر، وقالوا: لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أبداً؛ وأخذ إسحاقُ العود فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له: أنت أستاذنا وابن

(١) جوده: معالمه، واحده جدّة.

(٢) التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع.

(٣) نعر: صاح وصوّت.

أستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غِنًى ؛ ثم غنَّى بعد ذلك لحنه : « تشكَّى الكميتُ الجريَ » ، ولم يزل يغنّي بقيّةَ يومه كلّما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة .

سيد الصنعة :

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا عَون بن محمد قال حدّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال :

أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فلمّا جلست واطمأننت ، أخرج إليّ خادمُه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير أعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله :

صوت

يرتاح للدَّجْن(١) قلبي وهو مقتسَمٌ ... بين الهموم ارتياحَ الأرض للمطرِ
إني جعلتُ لهذا الدّجن نِحلتَه(٢) ... ألّا يزول ولي في اللهو من وَطَرِ

وتحت هذين البيتين : « تقدّمْ — جُعِلت فداك — إلى مَن بحضرتك من المغنّين بأن يُغنّوا في هذين البيتين ، وألقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذَته فأنفِذها إليّ مع رسولي » ؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلي ؟ فقال : نعم ، إسحاق الموصليّ ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغَه ؛ فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقتَ والله ! وهكذا

(١) الدجن : إلباس الغيم الأرض، وقيل : إلباسه أقطار السماء .

(٢) النحلة : المذهب والنوع، يعني أنه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو، وكان من عادتهم أنهم يستحسنون ذلك إذا أدجن اليوم .

يقول من يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى ، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر ؛ فقلت : أفعل وقد برِئتُ من العُهدة ؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرّادين .

شيب مغن :

حدّثني جَحظة قال حدّثني ميمون إسحاق الموصليّ قال :

قال لي المعتصم أو قال لي الواثق : لقد ضحك الشَّيب في عارَضيك ؛ فقلت : نعم يا سيّدي، وبكيت ؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنَّيت فيها :

توَلّى شبابُك إلا قليلَا وَحلّ المَشيب فصبراً جميلَا
كفى حَزَناً بفِراق الصِّبا وإن أصبح الشيبُ منه بَديلَا
ولمّا رأى الغانياتُ المَشيبَ أغضَيْنَ دونك طَرفاً كَليلَا
سأندُب عهداً مضى للصِّبا وأبكي الشبابَ بكاء طويلَا

فبكى الواثق وحزن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلت بشَطْر مُلكي؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه .

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني حَمدون بن إسماعيل قال : لمّا صنع أبوك لحنَه في :

قِفْ بالديار التي عَفا القِدَمُ وغيّرَتها الأرواحُ(١) والدِّيَمُ

رأيتهم (يعني المغنّين) يأخذونه عنه ويَجهدون فيه ؛ فتُوُفّي والله وما أخذوا منه إلا رَسمه .

(١) الأرواح : جمع ريح كالأرياح والرياح .

نسبة هذا الصوت

صوت

قِفْ بالديار التي عَفا القِدَمُ وغيّرتْها الأرواحُ والـدِّيَمُ
لمَّا وقفنـا بها نسائلُهـا فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ⁽¹⁾
ذِكراً لعيشٍ مضى إذا ذكروا ما فات منه فإنـه سَقَمُ
وكل عيش دامت غضارتُـه منقطِعٌ مرّةً ومنصرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه .

حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني هارون اليتيم قـال حدّثني عُجَيف بن عَنبَسة قال :

كنت عند أمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصليّ، فغنّاه :

قُلْ لمن صَدّ عاتباً ونأى عنكَ جانبا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثاً؛ فقال له إبراهيم بن المهديّ : قـد أستحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال : نعم، خذوه فقد أعجبني؛ فأجتمع جماعةُ المغنّين : مخارِقٌ وعَلّويه وعَمرو بن بانـة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّةً قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه . قال هارون : فنحن في هـذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر، فقال له عُجَيف : يا أبا جعفر، كنت أحدِّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت وأنّي عددت خمسين

(١) سجم : جمع سجوم، يقال : سجمت العين الدمع (من بابي ضرب وقعد) : أسالته قليلًا كان أو كثيراً، فالعين ساجمة وسجوم. ويقال : سجم الدمع (من باب قعد) : سال، فالفعل لازم متعد .

مرة؛ فقال محمد: إي والله! – أصلحك الله – ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّةً وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أوّلهم ما قدَرت – علم الله – على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذاً، فلا أدري: ألِكثرة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته؛ ومن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً! أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني عُجَيف بن عَنبَسة بهذا الخبر فذكر مثله سواء.

قال أبو أيّوب وحدّثني حمّاد عن أبيه قال:

كنت يوماً عند المعتصم، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال: وَدِدت أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا آتيك به على هذا الوزن في أحسنَ من هذا الشعر:

صوت

قُلْ لمن صدّ عاتباً ونأى عنك جانباً
قد بلغتَ الذي أرد ت وإن كنت لاعباً

فأعجبه، وقال لي: قد والله أحسنت! وأمر لي بألفَيْ دينار، ووالله ما كانت قيمتها عندي دانِقين[1].

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاقَ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

الأمين يغضب عليه:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني ابن المكيّ عن إسحاق قال:

(١) الدانق: سدس الدرهم معرب «دانك» بالفارسية.

غَضب عليَّ المخلوع(١) فأقصاني وجفاني، فاشتدَّ ذلك عليَّ – قال: وجفاني وهو يومئذٍ بالأنبار – فحُملتُ عليه بالفضل بن الرَّبيع، فطلب اليه فشفَّعه المخلوع ودعاني وهو مُصطبح، فلم أزل متوقّفاً وقد لبستُ قَباء وخُفّاً أحمر واعتصبتُ بعِصابة صفراء وشدَدت وسطي بشُقّةٍ حمراء من حرير؛ فلما أخذوا في الأهزاج دخلتُ وفي يديَّ صفاقتان وأنا أتغنّى:

صوت

إسمع لصوتٍ طريبٍ(٢) من صَنعةِ الأنباري(٣)
صوتٍ مليح خفيف يطير في الأوتارِ

– الشعر والغناء لإسحاق، هزجٌ بالبنصر – فسُرَّ بذلك محمد، وكان صوتهم في يومهم ذلك، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم. وأخبرني جحظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ قال حدّثني أبي أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر، وذكر مثل ما ذكره يحيى؛ وزاد فيه قال: وكان سبب تسمية محمد لي بـ« الأنباري » أني دخلت عليه يوماً وقد لُثتُ(٤) عمامتي على رأسي لَوْثاً غير مستحسَن، فقال لي: يا إسحاق، كأنَّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار.

عبادة القديم:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ ابن يحيى قال حدّثني أبي:

(١) المخلوع: هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد.

(٢) ويروى: « ظريف ».

(٣) الأنباري: نسبة الى الأنبار، وهي مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ.

(٤) لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً: لفها وعصبها.

قال إسحاق : قلت في ليلة من الليالي :

صوت

هل إلى نظرةٍ اليكِ سبيلُ ... يُروَ[١] منها الصَّدى ويُشفى الغليلُ
إنَّ ما قلَّ منك يكثُرُ عندي ... وكثيرٌ ممن تحبّ القليلُ

قال : فلما أصبحت أنشدتها الأصمعيّ، فقال : هذا الدّيباج الخُسرُوانيّ[٢]، هذا الوَشْي الإسكندرانيّ، لمن هذا ؟ فقلت له : إنه ابن ليلته ؛ فتبيَّنت الحسدَ في وجهه، وقال : أفسدّته ! أفسدّته ! أما إنَّ التوليد فيه لبيّن. في هذين البيتين لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه : فقال لي عليّ بن يحيي بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعجَب بهذا المعنى ويكرره في شعره، ويرى أنه ما سُبِق اليه؛ فمن ذلك قوله :

صوت

أيها الظَّبيُ الغَريرُ ... هل لنا منك مُجيرُ
إنَّ ما نوّلتني منـك وإنْ قلَّ كثيرُ

— لحنُ إسحاقَ خفيف ثقيلٍ بالوسطى — فقلت : إنك قد سُبقت الى هذا المعنى، فقال : ما علمتُ أنَّ أحداً سبقني اليه؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيل :

قِفِي وَدِّعينا يا مليحُ بنظرةٍ ... فقد حان منّا يا مليح رحيلُ

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر .

(٢) الخسرواني : نوع من الثياب منسوب الى خسرو شاه من الأكاسرة .

أليس قليلًا نظرةٌ إنْ نظرتُها   إليكِ وكلّا ليس منك قليلُ
عُقَيلِيَّةٌ أمَّا مَلاثُ[1] إزارها   فوَعْثٌ وأما خَصْرُها فضَئيلُ

صوت

أيا جنَّة الدنيا ويا غايةَ المُنى   ويا سُؤْلَ نفسي هل إليكِ سبيلُ
أراجعةٌ نفسِي إليَّ فأغتدِي   مع الرَّكْب لم يُقتل عليكِ قتيلُ
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ   ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ

قال : فحلف أنه ما سمِع بذلك قطُّ . قال عليّ بن يحيي : وصدق، ما سمع بها . الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيلي .

حدَّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكة قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال :

عاتبني إبراهيم بن المهديّ في تركِ المجيء إليه، فقال لي : مَن جمع لك مع المودَّة الصادقة رأياً حازماً، فاجمعْ له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمة ؛ فقلت له : جعلني الله فداك، إذا ثبتتِ الأصول في القلوب، نطقتِ الألسن بالفروع، والله يعلم أنَّ قلبي لك شاكٍ، ولساني بالثناء عليك ناثر؛ وما يظهر الودّ المستقيم إلا من القلب السليم؛ قال : فأَبرِئْ ساحتَك عندي بكثرة مجيئك إليَّ ؛ فقلت : أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نُوَباً أتيقَّظ لها كتيقُّظي للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصّراً؛ فضحك وقال : من يقدر على جواب المغنّين ! فقلت : مَنِ اتّخذ الغناء لنفسه ولم يتَّخذه لغيره ؛ فضحك أيضاً، وأمر لي بخلَع ودنانيرَ وبِرذَوْن

(١) ملاث الشيء : الموضع الذي يدار فيه ذلك الشيء ويلف . وملاث الإزار : مادون الخصر أي العجز وما تحته . ووعث : لين، يقال : امرأة وعثة، ووعثة الأرداف، كأن الاصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها .

وخادم. وبلغ الخبرُ المعتصمَ، فضاعف لإبراهيم ما أَعطاني، فرُحتُ وقد رِبحت وأربحتُ.

حدّثنا الحَرَميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال:

عتَب عليّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عنّي؛ فكتبت اليه: «إنّ لكل ذنب عفواً وعقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأمّا مثلي من العامّة فذنبه لا يغفر، وكسره لا يُجبر؛ فإن كنت لا بدّ معاقِبي فإعراضٌ لا يؤدّي الى مقت».

حدّثني الحَرَميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال:

كان يختلف إليّ رجلٌ من الأعراب، وكان الفضل بن الربيع يقرّبه ويتظرف كلامَه، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى اليه؛ فقال له الفضل: فيما كنتم؟ قال: كنا في قِدْرٍ تفور، وكأس تدور، وغناء يَصور[1]، وحديثٍ لا يَحور[2].

يصنع الشعر وينحله الأعراب:

حدّثنا الحَرَميّ قال حدّثنا الحسين بن طالب قال:

كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، وينشده للأعراب، وكان يُعايي بذلك أصحابَه ويُغرب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ:

لَفَظ الخدورُ عليك حُوراً عِيناً أنسَين ما جمع الكِناسُ قَطِيناً[3]

(١) يصور: يصوت.

(٢) لا يحور: لا يرجع، يريد أنه دائماً مجدّد طليّ غير معاد.

(٣) لفظ: أخرج. والقطين: اسم جمع لقاطن، وهو من قطن بالمكان اذا أقام به وتوطنه.

فإذا بَسمنَ فعنْ كمثل غمامةٍ ... أو أُقحوان الرمل بات مَعِيناً [١]
وأصحُ من رأتِ العيونُ محاجراً ... ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيوناً
وكأنما تلك الوجوهُ أهلّـةٌ ... أقمرْنَ [٢] بين العشر والعشرينا
وكأنهنّ إذا نَهضْنَ لحاجةٍ ... ينهضن بالعَقِداتِ [٣] من يَبرِينا

قال : وأنشدني أيضاً مما كان ينسبه الى الأعراب وهوله :

ومكحولة العينيْن من غير ما كُحْلِ ... مُهَفهفَةَ الكَشحَين ذات شَوًى [٤] خَدْلِ
مُنَعّمة الأطراف مُفعَمة البُرى [٥] ... روادفُها تحكي الدّهاس [٦] من الرملِ
صَيُود لألباب الرجال، متى رنت [٧] ... الى ذي نُهى جَلْد القُوى وافرِ العقلِ
تخلّى النّهى عنه وحالفه الصِّبا ... وأسلمه الرأيُ الأصيل الى الجهلِ
شبيهة كُثبانٍ يَرُوقك تحتها ... عناقيدُ كرم جادَها غَدَق الوَبْلِ
رمتْني فخلّت نائطي [٨] ولم تُصِب ... لها نائطيْ قلبٍ ولا مَقتلاً نَبلي

إعجاب الرشيد بشعره :

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدّثت عن الأصمعيّ قال :

---

(١) معين : ريان .

(٢) أقمر الهلال : صار قمراً .

(٣) العقدات : جمع عقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقد . ويبرين : من أصقـاع البحرين، وهناك الرمل المعروف بالكثرة .

(٤) الشوى : الأطراف . وخدل : ممتلئ ضخم، أي هي ممتلئة الذراعين والساقين .

(٥) البرى : جمع برة، وهي الحلقة سواراً كانت أو خلخالا أو قرطاً . يصف ذراعيها وساقيها بالامتلاء .

(٦) الدهاس : المكان اللين السهل الذي تغيب فيه القوائم للينه . أي إن روادفها ضخمة في لين . ويقال : امرأة دهاس، أي عظيمة العجيزة .

(٧) في رواية : «إذا رنت» .

(٨) النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن .

دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ(١) النَّفس؛ فأنشده إسحاق يقول:

صوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اْقصُري فذلكَ شيءٌ ما اليه سبيلُ
أرى الناس خُلّانَ الكرامِ ولا أرى بَخيلًا له حتى المماتِ خليلُ
وإني رأيتُ البُخل يُزْري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يُقال بخيلُ
ومن خير حالات الفتى لو علمتِه إذا نال خيراً أن يكون يُنيلُ
فعالي فعالُ المُكثِرين تجمُّلًا وما لي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغنى ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ

قال: فقال الرشيد: لا تَخَفْ إن شاء الله؛ ثم قال: لله دَرُّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدّ أصولَها، وأحسن فُصولَها، وأقلّ فُضولَها! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعيّ: فعلمتُ يومئذٍ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّي. وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً مما ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف.

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق، وأخبرني به جعفر بن قُدامة ووَكيع عن حمّاد عن أبيه قال:

كنتُ عند الفضل بن الرّبيع يوماً، فدخل اليه اْبن اْبنه عبدُ الله بن العبّاس ابن الفضل وهو طفل، وكان يَرِقّ عليه لأنّ أباه مات في حياته، فأجلسه في حِجره وضمّه اليه ودمعت عيناه؛ فأنشأتُ أقول:

(١) لقست نفسه (من باب فرح): غثت وخبثت.

صوت

مَدَّ لكَ اللهُ الحياةَ مَدّاً حتى يكون ابنُكَ هذا جَدّاً
مؤزَّراً بمجده مُردَّى(١) ثم يُفدَّى مثلَ ما تُفدَّى
أشبه منك سُنَّةً وخَدّاً(٢) وشِيَماً مَرضيَّةً ومجدَ
كأنه أنت إذا تَبدَّى شمائلاً محمودةً وقَدّاً

قال : فتبسَّم الفضلُ وقال : أمتعني اللهُ بكَ يا أبا محمد، فقد عُوِّضتُ من الحزن سروراً وتسلَّيتُ بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدامة : وحدَّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره ابنٌ له .

غنّى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل، يقال: إنه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى به . وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة عن بِدْعة الكبيرة: أنّ الرمل لعَريب، وأنّ لحن أبي عيسى خفيفُ رملٍ .

حدّثني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمد اليَزيديّ عن إسحاق قال :

أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك :

إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعُد رأيتَ مَعُوداً أكرمَ الناسِ عائدا
وجاء بنو العباس يبتدرونه مِراضاً لما يشكوه مَثْنى وواحد
يُفَدُّونه عند السلامِ وكلُّهم مُجِلٌّ له يدعوه عمّاً ووالدا

(١) مؤزر : من الإزار . ومردّى : من الرداء .

(٢) السنة : الوجه لصقالته وملاسته، أو هي الجبهة والجبينان .

قال : وكان الفضل مضطجعاً، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي : أعِد يا أبا محمد فأعدتُ، فأمرني فكتبتُها، وسُرّ بها وجعل يردّدها حتى حفِظها .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق، وأخبرني الحسن ابن عليّ الخفّاف قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك عن إسحاق قال :

جاءني الزُّبير بن دَحْمان يوماً مسلِّماً فاحتبسته؛ فقال لي : أمرني الفضل بن الربيع بالمسير اليه؛ فقلت له :

أقِمْ يا أبا العوّام وَيحك نَشرَبِ وَنَلهُ مع اللاّهين يوماً وَنَطرَبِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخُذه بشكرٍ واتركِ الفضل يَغضَبِ

فأقام عندي وسُررنا يومَنا؛ ثم صار الى الفضل؛ فسأله عن سببِ تأخّره عنه؛ فحدّثه الحديثَ وأنشده البيتين؛ فغضِب وحوّل وجهه عنّي، وأمر عوناً حاجبَه بألّا يُدخلني اليه ولا يستأذنَ لي عليه ولا يُوصِلَ لي رقعةً ؛ فقلت :

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دُمتَ غضبانَا وما لم يَعُد عنّي رضاكَ كما كانَا
فأحسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ تُعوّدني عند الإساءة إحسانَا

قال : وأنشدته إيّاهما ، فضحك ورضي عنّي وعاد الى ما كان عليه . وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزيَد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، فذكر مثله وزاد فيه : فقلت في عَوْن حاجبه :

عَوْنُ يا عونُ ليس مثلَك عونُ أنت لي عُدّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندي والله إن رضي الفضـــل غلامٌ يُرضيك أو بِرْذَوْنُ

قال : فأتى عونٌ الفضل بالشعرَين جميعاً؛ فقرأهما وضحك وقال : وَيحك ! إنما عرض لك بقوله : « غلام يُرضيك » بالسَّوءة؛ قال : قد وعدني ما سمعتَ ، فإن

شئتَ أن تحرمنيه فأنت أعلم ! فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسوله فصرتُ اليه فرضي عنّي .

أخبرني جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيي المكيّ المرتجل قال حدّثني أبي قال حدّثني الزُّبير بن دَحمان قال :

دخلتُ يوماً على الفضل بن الرَّبيع مُسلِّماً ؛ فقال لي قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح ، فصِر إليَّ بُكرةً ؛ فكنت أنا والصبحُ كفرَسَيْ رِهان ؛ فلما أصبحتُ في غدٍ جعلتُ طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت اليه ، فلما جلستُ قال لي : أَقِمِ اليومَ عندي ؛ فعرّفته خبري ؛ فقال :

أَقِمْ يا أَبا العَوّام وَيحك نشربِ   ونَلهُ مع اللّاهين يوماً ونطربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه   فخذه بشكرٍ واتركِ الفضل يغضبِ

فقلت : إني لا آمَنُ غضبَه ، وأنا بين يديك ؛ فقال لي : أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبُوق الناس ، فأقِمْ وارْفُقْ بنفسك ثم امضِ اليه ؛ فأجبته الى ذلك ؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع ، فأقمتُ حتى سَكِرتُ . وذكر باقيَ الخبر نحواً مما ذكر إسحاق . انتهى .

حدّثني جحظة قال حدّثني محمد بن المكيّ المُرتجل قال : قلت لزُرزور الكبير : كيف كان إسحاق يَنفُق(١) على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمةً ؟ قال : كنّا والله يا بنيّ نحضُر معه فنجتهد في الغِناء ونُقيم الوَهَجَ(٢) فيه ويُقبل علينا الخلفاء ، حتى نطمعَ فيه ونظنّ أنا قد غلبناه ، فإذا غنّى عمِل في غِنائه أشياء من مُداراتِه(٣) وحِذقه ولُطفه حتى يُسقطنا

(١) نفق الشيء : راج ورغب فيه .

(٢) الوهج : التوقد ، ولعله هنا كناية عن اضطرام الامر وحدته فيا هم فيه من شأن الغناء .

(٣) داريت الظبي مداراة : احتلت له وختلته حتى أصيده . ولعله يريد أن اسحاق يحتال للأنغام حتى يؤلف بينها ويأتي في ذلك بما يعجز عنه غيره .

كلَّنا ويُقبِلَ عليه الخليفة دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغيَ اليه ، ونَرى أنفسنا اضطراراً دونه .

أوّل من أحدث التخنيث في الغناء :

حدّثنا جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدّثني أبي قال :

كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتاً منه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلا صوتَه فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلُطفه وحِذقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويَبُذَّهم جميعاً ويفضُلَهم ويتقدّمهم . قال : وهو أوّلُ من أحدث التخنيث ليوافق صوتَه ويشاكله ، فجاء معه عجباً من العَجَب ؛ وكان في حَلقه نبوٌّ عن الوتر . أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العُبَيس بن حَمْدون : أنّ إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف ، وإنما أحتال بحذقه لمنافرة حَلقه الوتر ، حتى يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع .

أخبرنا جحظة قال حدّثني الهشاميّ عن أبيه قال :

كان المغنون إذا حضروا وليس إسحاقُ معهم غنّوا هُوَيني وهم غير مفكرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجِدّ .

قصته مع نافذ حاجب جعفر البرمكي .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال :

قال أبي وقد أنصرف من دار الرشيد : رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول : لستُ أراه ولا يَغشاني ؛ فقلت : إني لآتيه كثيراً فأُحجب عنه ويصرفني نافذٌ حاجبه ويقول : هو على شُغل ؛ قال : فبلّغه أبي ذلك ؛ فقال له : قل له : أنِكْه أمّه إذا فعل ؛ فأقمتُ أياماً ثم كتبتُ اليه :

جُعِلتُ فداءكَ من كل سوء ... الى حُسن رأيك أشكو أناسا
يَحُولون بيني وبين السلام ... فلستُ أسلّم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلا شِماسا[1]

وقد أخبرني الخبرَ محمدُ بن مَزيد عن حَمّاد عن أبيه، فذكر مثله وقال: كان خادمٌ يحجُبه يقال له: نافِذ، فقال: إذا حجبك فنِكْه؛ فلما كتبتُ اليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلتُ اليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه، وقال لي: أفعلتَها يا عدوّ الله! فغضب نافذٌ حتى كاد يبكي، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرّض لي.

حدّثني الحسين بن أبي طالب قال حدّثني عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليزيديّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال:

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم، ثم كُلِّم فيه فرضي عنه ودَعا به؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله[2]؛ فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً، ثم قال له في أثناء كلامه:

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّة ... ولا أنتَ بالغتَ في المَعذِرهْ
ولا أنتَ ولّيتني أمرَها ... فأغفرَ ذنبك عن مَقدِرهْ

هكذا في الخبر؛ وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ.

أخبرنا الَحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال حدّثني إسحاقُ قال:

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافتَه ورجاءَه،

---

(١) شماساً: عناداً.

(٢) استقاله: طلب منه أن يقيله.

إنك لمن طرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ ، وإنّ في كِبَرِك لَما زان الجليسَ وسرّه .

مع زهراء الكلابية :

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الدّيناريّ قال حدّثنا إسحاق قال :

قالت لي زهراء الكلابيَّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْداذْبه ؟ فقلت : مات ؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم ، غفر اللهُ لصَداه[1] ، لقد كان يُحِبُّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهراء : حدّثيني عن قول الشاعر :

أُحِبُّكِ أنْ أُخبِرتُ أنّكِ فارِكٌ[2] لزوجكِ إنّي مُولَعٌ بالفَوارِكِ

ما أعجَبَه من بغضها لزوجها ؟ فقالت : عرّفتْه أنّ في نفسها فَضلةً من جمال وشمخاً بأنفها وأُبّهةً ، فأعجَبتْه .

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدّثتُ عن غير واحد :

انّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيّام فرآه لقِسَ النَّفْس ، فقال له : أما ترى يا أمير المؤمنين طِيبَ هذا اليوم وحُسنَه ! فقال المعتصمُ : ما يدعوني حسنُه الى شيء مما تريد ولا أنشطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يومُ أكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أُنشِّطك ؛ قال : أوَ تفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : يا غِلمان ، قدِّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ ، وأحضِروا الندماء والمغنّين ؛ فأُتي بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنّون ؛ فغنّاه إسحاق :

---

(١) الصدى : جسد الانسان بعد موته .

(٢) الفارك من النساء : التي تبغض زوجها .

صوت

سُقيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ ... فنِعْم محلّةُ المَلِك الهُمامِ
لقد نَشَر الإله عليك نُوراً ... وخصّك بالسّلامة والسلامِ

— الشعرُ والغناء لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسبّابة في مَجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبير بن دَحمان لحناً من الرّمَل بالوسطى — قال: فطرِب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلّا وَصله وخلَع عليه وحمله؛ وفَضَّل إسحاقَ في ذلك أجمع.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهرويه قال حدّثنا ابنُ أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن إسحاق قال:

أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينار في أوّل يوم دخلتُ اليه فغنّيتُه:

عَلِق القلبُ بزَوْعا(١)

فأستحسنه وأستعاده ثلاث مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لي بألف دينار؛ فكان أوّلَ جائزةٍ أجازَنِيها:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:

كان أبي ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب، فلما جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقون مَنْ حضَر وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه الى أبي بقَدَحِ نبيذٍ فلم يأخذه؛ ورآه إسحاق فقال له: لِمَ لا تشرب؟ فكتب اليه أبي:

أَصبحْ نديمُك أقداحاً يُسلسِلها ... من الشَّمُول(٢) وأَتبِعْها بأقداحِ

---

(١) زوع: من أسماء النساء.

(٢) الشمول: الخمر.

من كفِّ ريمٍ مليح الدَّلِّ ريقته   بعد الهجوع كمسك أو كتفَّاحِ
لا أشربُ الرَّاح إلا من يديْ رشأٍ   تقبيلُ راحته أشهى من الرَّاحِ

فضحك وقال : صدقتَ والله ، ثم دعا بوصيفة كأنها صورة ، تامَّةُ الحسن لطيفةُ الخصر في زيِّ غلام عليها أقبيةٌ[1] ومنطقةٌ ، فقال لها : تولَّيْ سقيَ أبي محمد ؛ فما زالت تسقيه حتى سكر ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلِّ مالها في داره اليه ، فحُملتْ معه .

مع زهراء الكلابية :

أخبرني عمي قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصَّبَّاح قال :

كانت امرأةٌ من بني كِلاب يقال لها زَهراء تحدّث إسحاقَ وتُناشدُه ، وكانت تَميل اليه ، وتَكني عنه في عشيرتها إذا ذكَرته بجمل ؛ قال : فحدّثني إسحاقُ أنها كتبتْ اليه وقد غابت عنه تقول :

وَجدي بجُمْلٍ على أنّي أجَمْجِمُه[2]   وجدُ السَّقيم ببُرءٍ بعد إدْنافِ
أو وجدُ ثكلى أصاب الموتُ واحدَها   أو وجدُ مُغتربٍ من بين ألّافِ

قال : فأجبتُها :

أقرِ السلامَ على الزَّهراء إذ شَحطتْ   وقُلْ لها قد أذقْتِ القلبَ ما خافا
أما رَثيتِ لمن خلّفتِ مكتئباً   يُذري مدامعَه سحّاً وتوكافا[3]
فما وَجدتُ على إلفٍ أفارقُه   وجدي عليك وقد فارقتُ ألّافا

---

(١) الأقبية : (جمع قباء بالفتح) وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل : ثوب يلبس فـوق القميص ويتمنطق عليه .

(٢) أجمجمه : أكتمه وأخفيه .

(٣) يقال : وكف الدمع توكافاً ، إذا سال وقطر قليلاً قليلاً .

أخبرني عمي قال حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله ابن مالك قال أنشدني إسحاقُ لنفسه :

سقى اللهُ يوم الماوَشانِ[١] ومَجلِساً به كان أحلى عندنا من جَنى النَّحلِ
غداةَ اجتنينا اللهوَ غضّاً ولم نُبَلْ[٢] حِجابَ أبي نصر ولا غضبة الفضلِ
غدَوْنا صِحاحاً ثم رُحنا كأنّنا أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخَبلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوَشان ؟ فضحك وقال : لو لم أكتُبك الأبياتَ لما سألتَ عما لا يَعنيك ؛ ولم يخبرني .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابيّ :

انه كان يَصِف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثني عليه ويذكر أدبَه وحفظَه وعلمَه وصدقَه ، ويَستحسن قولَه :

صوت

هل الى أن تنامَ عيني سبيلُ إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي من لا أُسمِّي فعيْني كلَّ يوم وجْداً عليه تَسيلُ

— الشعرُ والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى — قال : وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق . وحديثُ موسى عن حمّاد أتمّ، واللفظُ له .

---

(١) هو ناحية وقرى، في وادٍ في سفح جبل أروند من همذان، وهو موضع نزه فرح .

(٢) لم نبل : أصله نبالي، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف، كما حذفت النون في «لم نك» بعد تسكينها، فحذفت الالف لالتقاء الساكنين .

أوّل صوت وآخر صوت صنعه :

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق قال :

أوّلُ صوت صنعه أبي :

إني لأُكني بأجبالٍ عَنَ أجبُلِها وبأسم أوْديةٍ عن إسم واديها

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفْ نُحيِّ المَغانيا والطُّلولَ البواليا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته في :

لقد بَخلتْ حتى لوَ أنّي سألتُها

قال حمّاد وحدّثني أبي قال :

كان المغنّون يحسُدونني مُذْ كنتُ غلاماً ، فلمّا مات أبي صنعتُ هذا الصوت، فهو أوّل صوت صنعتُه بعد وفاته ، وهو :

أمِنْ آل ليلى عَرفْتَ الطّلولا بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد أنتحله ؛ فقال لي الرشيدُ في ذلك؛ فقلتُ : هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنعْ في شعر الأخطل :

أعاذِلتيّ اليومَ وَيْحَكما مَهلا وكُفّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا العَذْلا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي . وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذي أختبره به الرشيدُ قولُه :

كنت صبًا وقلبي اليومَ سالٍ عن حبيبٍ يُسيء في كل حالِ

وذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه اليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرني بذلك محمد بن يحيي الصّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق، وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد قال :

أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي :

ألم تسألْ فتُخبرَك المَغاني وكيف وهنّ مُذْ حِجَجٍ ثَماني
بَرِئتُ من المنازل غيرَ شوقٍ الى الدار التي بِلوَى أبانِ
ديارٌ للّتي لَجلَجتُ فيها ولو أُعربتُ لَجّ بها لساني
فكادَ يَظَلّ للعينين غربٌ برَبْعَيْ دِمنةٍ لا يَنطِقانِ

قال : فحدّثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا الى ما جاء بعد ذلك فأذْعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

قِفْ نُحيِّ المَغانِيا والطُّلولَ البَواليا
وعلى أهلِها فنُحْ وابْكِ إن كنتَ باكيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

أمن آلِ ليلى عَرَفتَ الطُّلولا بذي حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولا

يَلين وتحسَبُ آياتِهنَّ عن فَرْط حولَيْن رَقًّا مُحيلَا

الشعر لكعب بن زُهَير . والغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر .

صوت

أعاذِلتيَّ اليومَ وَيْحكما مَهلَا وكُفّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا العَذْلا
دعاني تَجُدْ كفّي بمالي فإنني سأُصبح لا أستطيع جُوداً ولا بُخلا
إذا وضعوا فوق الصَّفيح[1] جنادلًا عليّ وخلَّفتُ المطيَّةَ والرَّحلا
فلا أنا مجتازٌ إذا ما نزلتُه ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيتُ به أهلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

إني لأَكني بأجبال عَنَ أَجْبُلِها وباسم أودية عن إسم واديها
عَمْداً ليَحْسَبها الواشون غانيةً أخرى وتحسَبَ[2] أني لا أباليها
ولا يُغيّر وُدّي أن أهاجرها ولا فراقُ نَوًى في الدار أَنْويها
وللقَلوصِ ولي منها إذا بَعُدتْ بوارحُ الشّوق تُنضِيني وأُنضِيها

الشعر لأعرابيّ، والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالبِنصر .

حدّثني جَحظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حَمدون قال :

---

(١) الصفيح : حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر .

(٢) المعنى على نصب الفعل واضح، وهو أنه يريد أن يعمى عليها كما عمي على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يباليها . ولا يبعد أن يرفع الفعل على أن يكون المعنى أنه ينسبها الى الخطإ في هذا الظن وينكره عليها .

قال إسحاق للواثق يوماً : الأهزاج من أملح الغناء؛ فقال الواثق : أمَا إذا كانت مثلَ صوتك :

إني لأكني بأجبال عَنَ أجبُلِهـا وبأسم أودية عن اسم واديهـا

فهي كذلك .

قال أحمد بن أبي طاهر حدَّثني أحمد بن يحيى الرازيّ عن محمـد بن المُثنَّى عن الحجّاج بن قُتَيبة بن مُسلم قال :

قال إسحاق : بعث إليَّ طلحةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشُّراة[1] وقد أصابته ضربة في وجهه ؛ فقال لي الغلام : أجِبْ ؛ فقلت : وما يعمـل ؟ قال : يشرب ؛ فمضيت اليه فإذا هو جالسٌ قد عصَب ضربتَه وتقلنس بقَلَنسوة ؛ فقلت له : سبحانَ الله أيها الأمير ! ما حملك على لُبْس هذا ؟ قال : التبرُّم بغَيره ، ثم قال : غنِّ :

إنّي لأكني بأجبالٍ عنَ أجبُلِها

قال : فغنَّيتُه إياه، فقال : أحسنتَ والله ! أعِـدْ ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلَّى العَتَمة وأنا أغنّيه؛ فأقبل على خادم له بالحضْرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدارُ سبعينَ ألفَ درهم ؛ قال : تُحمَل معه . فلمّا خرجتُ من عنده تبِعني جماعـةٌ من الغِلمان يسألوني، فوزّعتُ المال بينهم؛ فرُفِع الخبر اليه فأغضبه ولم يوجّه إليَّ ثلاثاً؛ فجلست ليلًا وتناولت الدَّواةَ والقِرطاسَ فقلت :

علَّمني جُودُك السَّماحَ فما أبقيتُ شيئاً لديَّ من صِلَتِكْ

لم أبقِ شيئاً إلّا سمحتُ به كأنَّ لي قُدرةً كمَقدرتِكْ

تُتلِف في اليوم بالهِباتِ وفي السّاعة ما تجتنيـه في سَنتِكْ

فلستُ أدري من أين تُنفق لو لا أنَّ ربّي يَجزي على صِلتِكْ

---

(١) الشراة : الخوارج .

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ، فصِرتُ اليه ودخلت عليه فسلّمت؛ فرفع بصرَه إليّ وقال: اسقُوه رطلًا فسُقيتُه، وأمر لي بآخرَ وآخرَ فشربتُ ثلاثاً؛ ثم قال لي: غنّ:

إني لأُكني بأجبال عن أجبلها

فغنّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها، وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت؛ فقال: ادنُ فدنوت، وقال: اجلس فجلست، فاستعاد الصوتَ الذي صنعتُه فأعدتُه. فلما فهمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له: أحضِرني فلاناً فأحضره؛ فقال: كم قِبَلك من مال الضِياع؟ قال: ثمانُمائة ألفِ درهم؛ فقال: احضُرْ بها الساعةَ؛ فجيء بثمانين بَدرة؛ فقال للخادم: جئني بثمانين غلاماً مملوكاً، فأُحضِروا؛ فقال: احملوا هذا المال؛ ثم قال: يا أبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطِي لأحد منهم شيئاً.

مهاجاته محمد بن راشد:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال:

كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثيرَ الغِشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب والحضورِ لسَمَره، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسني جوائزَه ويُواتِر[1] صِلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين، فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه. وخرج إسحاق يوماً الى بستان له بباب قُطرُبل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرة ومحمد بن راشد الخَنَّاق والحرّاني؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ، فتوجّع له إسحاق وذكر أُنسه به وتمنّى حضورَه، وذكره القومُ فأطنبوا في نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده؛ وذكره محمد بن

(١) يواتر: يتابع.

راشد ذكراً لم يحمده أصحابه عليه، وزجره إسحاق، فأمسك عنه؛ فلما انصرفوا من مجلسهم نُمي الى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره؛ فكتب الى موسى بن صالح:

ألا قُلْ لموسى الخيرِ موسى بنِ صالحٍ ومَن هو دون الخلق إلفي وخُلصاني [1]
ومَن لو سألت الناس عنه لأجمعوا على أنه أفتى [2] مَعَدٍّ وقحطانِ
لعَمري لئن كان الأميرُ تمنّاني بمجلس لذّاتٍ ونُزهةِ بُستانِ
لقد زادني ما كان منه صبابةً وجدّدَ لي شوقاً اليه وأبكاني
وما زال ممتناً عليّ يخصّني بما لستُ أُحصي من أيادٍ وإحسانِ
هو السيّد القَرْم الذي ما يُرى له من النّاس إن حصّلته أبداً ثاني
نمَتْه رَوابي مُصعَب وبَنى له كريمُ المساعي في أرُومته باني
يَعِزّ عليّ أن تفوزوا بقُربه ولستُ اليه بالقريب ولا الدّاني
فيا ليتَ شعري هل أرُوحنّ مرّةً اليه فيلقاني كما كان يلقاني
وهل أرَيَنْ يوماً غضارة مُلكه وسلطانه لا زال في عزّ سلطانِ
وهل أسمَعَنْ ذاك المُزاحَ الذي به إذا جئتُه سلّيتُ همّي وأحزاني
إذا قال لي «يا مرْدَ مي خَرْ» وكرّها عليّ وكنّاني مُزاحاً بصفوانِ

(هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل اشرب النبيذ).

فيا لكَ من مَلهًى أنيقٍ ومجلسٍ كريمٍ ومن مَزْح كثيرٍ بألوانِ
وهل يَغمِزَنْ بي ذوا الهَنات ابنُ راشدٍ وذاك الكريمُ الجدِّ من آل حَرّانِ
وهل أرَيَنْ موسى الكريمَ ابنَ صالحٍ يُنازعني صوتاً إذا هو غنّاني

---

(١) الخلصان: الخالص من الأخدان، يستوي فيه الواحد والجمع، يقال: هم خلصاني، وهو خلصاني.

(٢) أفتى: أفعل تفضيل من الفتوّة وهي الكرم والمروءة.

(يريد الغناء في :

فلم أرَ كالتَّجمير مَنظَرَ ناظرٍ ولا كليالي النَّفرِ أفتنَ ذا هوى)
إذا صاح بالتجمير ثم أعاده بتحقيق إعراب صحيحٍ وتبيانِ
أولئك إخواني الذين أُحبّهم وأوثرهم بالودّ من بين إخواني
وما منهمُ إلّا كريمٌ مهذّبٌ حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّانِ

فأجابه محمد بن راشد :

بعثتَ بشعرٍ فيه أنّ رسالةً أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ
بشوق وذكرٍ للجميل ولم يكن لموسى لعَمْري في سَلامته ثاني
ولكن نَطقْنا بالذي أنت أهلُه وما تستحقّ من صديقٍ ونَدمانِ
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْرُه كخُبرِ نَدامى قد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَن فَسدْتَ عليه من خليل وخُلصانِ
ولم يَعْرُه شوقٌ اليك ولم يَجِدْ لِفَقْدك مَسّاً عند نُزْهة بستانِ
حَمِدتَ النَّدامى كلّهم غيرَ إنسان ألا إنما يَجني على نفسه الجاني
فلا تَعتُبِ الإخوانَ من بعدها فما تَنقَّصُ إخوانِ المودّة من شاني

قال : فأجابه إسحاق :

عجبتُ لمخذولٍ تَعرّض جانياً لِلَيثٍ أبي شِبلينِ من أُسدِ خَفّانِ [١]
أتانا بشعرٍ قاله مثلِ وجهه تَزَخْرَفَ فيه واستعان بأعوانِ
فجاء بألفاظٍ ضِعافٍ سخيفةٍ ومَضْغُها تَضيغُ أهوجَ سكرانِ
دَعُوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه وإلّا وُسِمتم أو رُميتم بشهبانِ
فإنكمُ والشعرَ إذ تدّعونه كمُعتسِفٍ في ظلمة الليل حيرانِ
صَهٍ لا تعودوا للجواب فإنما ترومون صَعباً من شماريخ [٢] ثَهلانِ

(١) خفان : موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً وهو مأسدة .

(٢) الشماريخ: رؤوس الجبال وأعاليها . وثهلان : جبل باليمن ، وقيل : بالعالية .

أنا الأسد الوَرْدُ[1] الذي لا يَفُلّه ... تظاهُرُ أعداءٍ عليه وأقرانِ
ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه ... فأعياكُمُ في كلّ سرٍّ وإعلانِ
لَعَمري لئن قلتم بما أنا أهلُه ... ليستنفدنّ القولَ تعظيمُكم شاني
وَجحدُكُمُ إيايَ ما تعلمونه ... وإقرارُكم عندي بذلك سيّانِ
ألا يزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا ... وموسى وذاك الشيخُ من آل حرّانِ
ولاسيما مَن بان للناس شرُّه ... فما يتمارى في مذاهبه اثنانِ

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قَرْقارَةُ قال :

قال لي محمد بن عمر الجُرجانيّ وقد تذاكرْنا إسحاقَ يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرّةً في زمانه، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً ووَقاراً ووفاءً وجودةَ رأيٍ وصحّةَ مودّة . كان واللهُ يُخرِس الناطقَ إذا نطق، ويُحيّر السامعَ إذا تحدّث، لا يَمَلّ جليسُه مجلِسَه، ولا تمجّ الآذانُ حديثَه، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك، وإن ناظرك أفادك، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيَقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

غنى في شعر مكتوب في بساط :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال :

أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصِّينيّ أن يُخرَج ؛ فأُخرج فيما أُخرج منه بساطٌ طَبَريّ أو أصبَهْذانيّ[2]، مكتوب في حواشيه :

---

(١) الورد : الجريء .

(٢) أصبهذان : مدينة في بلاد الديلم، بينها وبين البحر ميلان .

صوت

لَجَّ بالعين واكِفُ مِن هَوًى لا يُساعِفُ
كلّما جَفّ دمعُه هيّجتْه المعازِفُ
إنما الموتُ أن تفا رقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّان في الفؤا دِ تَليدٌ وطارِفُ

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث الى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغنّى به اليومَ. قال أحمد: وسمعها أبي منه فقال: لو كان هذا الهَزَج لحكَم الوادي لكان قد أحسن. يريد أنّ حكماً كان صاحبَ الأهزاج.

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني ابن المكيّ قال:

تذاكرْنا يوماً عند أبي صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين:

صوت

الطُّلول الدَّوارِسُ فارقتْها الأوانِسُ
أوْحشت بعد أهلها فهي قَفْرٌ بَسابِسُ (١)

— الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر — قال: فقال أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى؛ «الطلول الدوارس» كلمتان، و«فارقتها الأوانس» كلمتان، وقد غنّى فيها أستهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَع ورجّع النغمةَ وأستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه. ثم

(١) البسابس: جمع بسبس وهو القفر.

قال : إسحاقُ واللهِ في زمانِنا فوق ابنِ سُرَيجٍ والغَرِيض ومَعبَد، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعرَفوا فضلَه واعترفوا له به . وأخبرني عمّي عن يزيد بن محمد المهلّبيّ : أنه كان عند الواثق فغنَّته شجاً هذا الصوتَ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكيّ قاله؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو اتّفقت عليه قريحتاهما .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال :

أرسل إليّ الفضلُ بن الرَّبيع يوماً والى الزُّبير بن دَحمان، فوافق مجيئُنا شغلاً كان له، فصِرنا الى بعض حُجَره، فنَعَستُ فنِمتُ فإذا زُبَير يحرّكني فانتبهتُ فإذا خبّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق[1] يُغنّي :

صوت

بِدَيرِ[2] القائمِ الأقصى غزالٌ شَفَّني أحوى
بَرى حبّي له جسمي وما يَدري بما ألقى
وأُخفِي حبّه جُهدِي ولا واللهِ ما يَخفى

– الشعر والغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيل بالبنصر – قال : فقال لي الزُّبير : تَضَنّ بهذا وانظرْ من يبتذله! فقلت : لا أَضِنّ بغناء بعد هذا .

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطيّب السَّرَخسيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد :

(١) الشوبق : خشبة الخباز، والمشهور «الشوبك» بالكاف وفتح الشين .

(٢) دير القائم الأقصى : موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد .

كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة؛ فغنّى مخارِق في الثقيل الاول :

صوت

أعــاذلُ لا آلوكِ إلّا خَليقتي فلا تجعلي فوقي لسانَــك مِبرَدَا
ذَريني أكنْ للمالِ ربًّا ولا يكن لِيَ المــالُ ربًّا تَحمَدي غِبَّه غدَا
ذَريني يكنْ مالي لِعرْضي وقايةً يَقِي المالُ عِرْضي قبل أن يتبدّدَا
ألم تعلمي أنّي إذا الضيفُ نابني وعَزّ القِرى أقري السَّديفَ[١] المُسرْهَدَا

فقال له المأمون : لمن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهِزَبْر الجالس (يعني إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأعِدِ الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رِطلًا ؛ ثم التفت الى إسحاق فقال له : غنِّ هــذا الصوت ؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدورُ الى عَلّويه ، فقال له : غنِّ فغنّى في الثقيل الأوّل أيضاً :

صوت

أريتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ بواقِصةٍ[٢] ومَشرَبُنــا بَرُودُ[٣]
فلم أرَ مثلَ موقدِها ولكن لأيّــة نظرةٍ زَهَرَ[٤] الوَقُودُ
فبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيهــا أُكابدُها وأصحــابي رُقودُ
كأنّ نجومَها رُبطتْ بصَخرٍ وأمراسٍ[٥] تــدور وتستريدُ[٦]

---

(١) السديف : السنام وقيل : شحمه . والمسرهد : المقطع أو السمين .

(٢) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقيل : العقبة لبني شهاب من طيء، ويقال لها : واقصة الحزون، وهي دون زبالة بمرحلتين .

(٣) البرود : البارد .

(٤) زهر الوقود : أضاءت ناره .

(٥) الأمراس : الحبال .

(٦) لعلها «تستريد» اي : تذهب وتجيء ؛ اذ الشاعر يريد أن يصف ليلته بالطول حتى كأن نجومها ربطت بأمراس شدّت بصخر فهي تدور وترجع الى حيث كانت ولا تغور .

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟ فقال : لهذا الجالس – وأشار الى إسحاق – فقال لعَلّويه : أعِدْه فأعاده ، فشرب عليه رطلًا ؛ ثم قال لإسحاق : غَنِّه فغنّاه ، فلم يطرَب له طَرَبَه لعَلّويه . فالتفت إليّ إسحاق ثم قال لي : أيها الأمير ، لولا أنه مجلسُ سرور وليس مجلسَ لَجاجٍ وجِدال لأعلمتُه أنه طرب على خطإٍ ، وأنّ الذي استحسنه إنما هو ترايد[1] منهما يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه ، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا . ثم أقبل عليهما فقال : يا مخنَّثان ، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رِفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر ؛ فضحك المأمون وقال له : ما كان ما رأيتَه من طَرَبي لهما إلّا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلًا بفضلك .

حدّثني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثني إسحاق قال :

دخلتُ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس والغناء ؛ فجلستُ وغنّيته :

صوت

اشتهينا في ربيعٍ مرّةً زَهَمَ[2] الوحشِ على لحم الإبلْ
فغدَونا بطُوالٍ هيكَلٍ[3] كعَسِيب النخل مَيّادٍ خَضِلْ

– الشعر يقال : إنه لأعشى هَمْدان ، والغناء لأحمد النَّصْبيّ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق

(١) يقال : ترايد فلان في كلامه وتزيد : اذا تكلف الزيادة فيه وجاوز ما ينبغي .
(٢) الزهم : شحم الوحش من غير أن يكون فيه زهومة، أي كراهة ريح أو تغير .
(٣) الهيكل : الضخم من كل حيوان .

الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق – فتبسّم وقال: وأين رأيت لحم الابل! فغنّيته:

صوت

ليس الفتى فيهم إذا شَرِبَ الشرابَ مُؤَنَّبا
لكن يروحُ مُرَنَّحاً حسنَ الثيابِ مُطَيَّبا
يسقونه صِرْفاً على لحم الظباء مُضَهَّبا[1]

فقال: هذا أشبه، وشرب. ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن – قال: والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ –:

صوت

أبى القلبُ اليانيّ الذي تُحْمَدُ أخلاقُهْ
وَيَرْفُضْ له اللحنُ فما تُفْتَقُ أرتاقُهْ
غزالٌ أدعجُ العين رَبيبٌ خَدَلَّجٌ[2] ساقُهْ
رماني في قلبي وأرميه فأشتاقُهْ

فطرِب وقال: هذا والله أحسن صيد وألذّه، وشرِب عليه بقيّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لي بجائزة. هكذا ذُكِر في هذا الخبر أن الثقيل الأوّل لابن مُحرز وقد قيل ذلك. وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنبورة، وأن لحن ابن مُحرز خفيفُ ثقيلٍ.

---

(١) لحم مضهب: مقطع.

(٢) الخدلج: الممتلئ الساقين.

دقته في الوصف :

حدّثني عمي قال حدّثني فَضْل اليزيديّ قال :

قال لي إسحاق يوماً في عُرض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبيقيّ[١] كأنما قُدَّ من جِرْم الزُّهرة[٢] ؛ فضحِكتُ ؛ فقال : ما أضحكك ؟ فقلت : من مبالغتك في الوصف ؛ فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثا قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

أخبرنا يحيي بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

قال لي إسحاق : وَدِدت أنّ كل يوم قيل لي : غَنّ أو قيل لي عند ذِكري : المغنّي ، ضُرب رأسي خمسةَ عشرَ سوطاً ، لا أقوى على أكثر منها ، ولم يُقل لي ذلك .

أخبرنا يحيي قال حدّثنا حمّاد قال : صنع أبي لحنه في : « تَشكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ » على لحن أذانٍ سمعه .

كثرة حفظه لأهزاج القدماء :

أخبرنا يحيي قال حدّثنا حمّاد قال :

تذاكرنا يوماً الهزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة: ما أقله في الغناء القديم! فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غناهم ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحد ومجرى واحد، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات .

---

(١) دبيقيّ : منسوب الى دبيق وهي بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر .

(٢) الزهرة : كوكب من السيارة معروف .

حدّثني يحيى قال حدّثني أخي قال حدّثني عافية بن شَبيب قال:

قلت لزُرزُور: ما لكم تَذِلّون لإسحاق هذا الذلَّ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتاً منه، وما في صنائعكم وَصْمة! فقال لي: لا تقلْ ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرّصاص في النار!.

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

لاَعبتُ الفضل بن الرّبيع بالنَّرْد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب عليّ وَهجرني، فكتبت اليه:

يقول أُناسٌ شامتون وقد رأَوْا ... مُقامي وإغبابي الرواحَ الى الفضلِ
لقد كان هذا خُصّ بالفضل مرّةً ... فأصبح منه اليومَ مُنصرِمَ الحبلِ
ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علِمته ... لَقطّعتُ نفسي بالملامـة والعذلِ

وعرضتُ الأبيات عليه؛ فلمّا قرأها ضحك وقال: أشدّ من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً؛ والله لولا أنّي أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه، وأنّ حسنك وقبيحك مضافان إليّ لأنكرتني؛ فأصلح الآن قلبَ عون — وكان يَحجُبه — لخاطبته في ذلك فكلّمني بما كرهت؛ فقلت: أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله!؛ وكان عون يُرمى بالأُبنة فقلت فيه:

وذاكِرِ أمرٍ ضـاق ذرعاً بذكره ... وناسٍ لداء منـه مُتّسِع الخَرقِ

قال: ثم علمت أنه لا يتمّ لي رِضا الفَضل إلا بعد أن يرضى عون، فقلت فيه:

عَونُ يا عَونُ ليس مثلك عونُ ... أنت لي عُـدّةٌ إذا كان كونُ
لك عندي والله إن رَضيَ الفضـــلُ غلامٌ يُرضيك أو بِرْذَوْنُ

فدخل الى الفضل فترضّاه لي فرضي؛ ثم قال له: ويلك يا عون! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى الى قوله: «غلام يرضيك»! هذا تعريض بك؛ قال: فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير!.

أخبرني الصوليّ قال حدّثني عون عن إسحاق ، وأخبرني بعضَ الخبر إسماعيل أبن يونس عن عمر بن شبّة عن إسحاق ، ولفظُ الخبر وسياقتُه للصّوليّ، قال :

استدناني المأمونُ يوماً وهو مُستلقٍ على فراش حتى صارت ركبتي على الفراش، ثم قال لي : يا إسحاق ، أشكو اليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدّد جماعةً من خواصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيّدي بتفضُّلك عليّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أني ممن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدّي ، وهذا رأيٌ يجلّ عنّي ولا يبلغه قدري ؛ فقال : ولمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيّدي علّمتني ألّا أقول إلا ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال ؛ فضحك وقال : قد بلغني أنك في هذه الأيّام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيّدي، ما سمعه أحدٌ إلا جواريّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غنّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصَّحْو يمنعاني أنْ أؤدّيه كما تريد، فلو آنس أمير المؤمنين عبدَه بشيء يُطربه ويقوى به طبعه كان أجود ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارة فغنّي من ورائها وشربنا أقداحاً؛ فقال : يا إسحاق، أما جاء أوانُ ذلك الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيّدي ، وغنّيتُه لحني في شعر الراعي :

صوت

ألم تسأل بعارمةَ[1] الديارَا ... عن الحيّ المُفارقِ أين صارَا[2]
بلى ساءلتها فأبتْ جواباً ... وكيف تُسائل الدِّمَنَ القِفارَا

— لحن إسحاق في هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى — قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي : يا إسحاق ، لا طَلبَ بعد وجود البُغية ،

(١) عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد، وقيل : ماء لبني تميم بالرمل .
(٢) ويروى : «سارا» .

ما أشرب بقيّة يومي هذا إلّا على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلَع عليّ خِلعةً من ثيابه .

حدّثني الصوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال :

كانت أعرابيّة تَقدَم عليّ من البادية فأُفضل عليها، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في عِلمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أريتني نجداً بفصاحتك ، وأحللتني الرّبيع بسماحتك ؛ فلا اطّرَدَ لي قولٌ إلّا شكرتك ، ولا نَسمتْ لي ريحٌ إلا ذكرتك .

حدّثني الصوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني المُغيرة بن محمد المهلّبيّ عن إسحاق قال :

كان أبو المُجيب الربعيّ فصيحاً عالماً ، فقال لي : يا أبا محمد ، قد عزمتُ على التزوّج فأعنّي وقوّني ؛ قال : فأعطيتُه دنانيرَ وثيابا . فغاب عنّي أياماً ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مُجيب ، هاهنا أبيات فاسمعها ؛ فقال : هاتها ؛ فقلت :

يا ليتَ شعري عن أبي مُجيبِ   إذ بات في مَجاسِدٍ[1] وطيبِ
معانقاً للرّشأ الرّبيبِ   أأحمدَ[2] الحفارُ في القليبِ
أم كان رِخواً ذابلَ القضيبِ

قال : فقال لي : الأخيرُ والله يا أبا محمد .

حدّثني الصوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال :

---

(١) المجاسد : جمع مجسد، وهو القميص الذي يلي البدن .

(٢) أحمد الشيء : أتى ما يحمد عليه . والحفار : المسحاة وما يحفر به، وهو مستعمل هنا على سبيل المجاز .

كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتذمّمت[١] أن أجوزه ولا أدخل اليه، فدعوتُ بدَواةٍ وقرطاس وكتبتُ اليه :

رجعنا بالصفاء الى الخليـلِ فليس الى التهاجُر من سبيلِ
عتابٌ في مُراجعـةٍ وصفحٌ أحقُّ بنـا وأشبهُ بالجميلِ

قال : ووجّهت بالرُّقعـة وقصدت بابه ، فخرج إليّ حتى تلقّاني ، ورجعنا الى ما كنّا عليه .

اختيار حفظه :

حدّثني الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن المعتزّ عن الهشاميّ قال :

كان أهلنا يعتبرون[٢] على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبتين فَهِمتين خلف السِّتارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبُطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأها من دفتر؛ فعلموا حينئذٍ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلّا الحقّ.

حدّثني الصوليّ قال حدّثني أحمد بن مَزيَد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال :

كنّا عند المأمون ، فغنّاه عَلّويه :

صوت

لِعَبْدَةَ دارٌ مـا تـكلّمنا الدارُ تَلوح مَغانيهـا كما لاح أسطارُ
أُسائلُ أحجـاراً ونُؤياً[٣] مُهدّماً وكيف يردّ القولَ نؤيٌ وأحجارُ

---

(١) تذمّمت : استنكفت .
(٢) اعتبر الشيء : اختبره ونظر فيه وردّه الى نظيره فحكم عليه بحكمه .
(٣) النؤي : الحفير أو الحاجز حول الخباء او الخيمة يدفع عنها السيل يميناً وشمالا ويبعده .

— الشعر لبَشَّار، والغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق — قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي، وقد أخطأ فيه عَلّويه؛ قال : فغنِّه أنت فغنّيته، فَاستعادنِيه مراراً وشرب عليه أقداحاً، ثم تمثل قولَ جرير :

وَابن اللَّبون[1] إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صَولةَ البُزْلِ القَناعِيسِ

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ثَوابة، فقال فيه : حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبد الله بن العبّاس الرّبيعيّ قال :

اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنّى عَلّويه :

لعبدةَ دار ما تكلِّمنا الدارُ

فقال له إسحاق : أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال عَلّويه : أمّ من أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق : شتمنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم.

حواره مع علويه عند الواثق :

حدّثني جَحظة قال حدّثني أبو العُبَيس بن حَمدون عن أبيه عن جدّه قال :

كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغنّي إلا الخليفةَ أو وليّ عهده أو رجلا من الطاهريّة مثلَ إسحاق بنِ إبراهيم وطبقتِه؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يُضرِّب[2] بين مُخارِق وعَلّويه وإسحاق، ففعل حتى

(١) ابن اللبون : ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكمله. ولز : شدّ ولصق. والقرن : الحبل الذي يقرن به البعيران. والبزل : جمع بازل، وهو البعير الذي فطر نابه أي انشق. والقناعيس : جمع قنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم الشديد.

(٢) التضريب : الإغراء.

تهاتروا؛ ثم قال لإسحاق : كيف هما الآن عندك ؟ فقال : أمَّا مُخارق فمُنادٍ طيِّبُ الصوت؛ وأمَّا عَلّويه فهو خير حِمارَي العِبادي[١]، وهو على كل حال شُيَيْء (يريد تصغيره)؛ فوثب علّويه مُغضَباً، ثم قال للواثق : جواريــه حرائرُ ونساؤه طوالقُ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك، أن يصدُق عما أسأله عنه، لأتوبنَّ عن الغناء ما عِشتُ؛ فقال له الواثق : لا تُعربد يا عليّ، نحن نفعــل ما سألت ؛ ثم حلّف إسحاق أن يصدُق فحلف؛ فقال له : مَن أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك ؟ قال : أنت . قال : فمن أضربُ الناس بعد ثَقيف ؟ قال : أنت . قال فمن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق ؟ قال : أنت . قال عَلّويه لإسحاق : أهذا قولُك فيَّ وأنت تعلم أنّي مُصَلِّيَ[٢] كلِّ سابق فاضل، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا يكون ! فما أنت وغنــاؤك الذي لا يُسمَع انخفاضاً ! فغضِب إسحاقُ، وانتهر الواثقُ عَلّويه . ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثناه الى موضع البَمّ[٣]، وزيرَه الى موضع المَثلَث، وجعل البمَّ والمثلثَ مكان الزير والمَثنى، وضرب وقال : ليغنِّ من شاء منكم؛ فغنّى مُخارِق عليه :

تَقطَّع من ظَلّامةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أنْ لم يكن يَتقطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شيء ولا بان فيه اختلال ؛ فعظُم عجبُ الواثق من فعله ؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً، فكان والله أحسنَ رقصاً من كُنَيش وعبد السلام — وكانا من أرقص الناس — فقــال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبداً في صناعته كمَثل كمال إسحاق .

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني إسحاق قال :

---

(١) يشير بهذا الى المثل المشهور، وهو ما يقال من أنه كان لعبادي حماران، فقيــل له : أيّ حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا . ويروى أنه قال حين سئل عنهما : هذا هذا، أي لا فضل لأحدهما على الآخر . يضرب في خلتين إحداهما شر من الأخرى .

(٢) المصلي : التالي للسابق من خيل السباق . والسابق : الاول .

(٣) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزاهر .

دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهب بالشِّطرَنج، فغلبه عبد الله، وأومأ إليّ بأن أكايده؛ فقلت:

قد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ مثلَ ذَهابِ الشهرِ بالمُحاقِ [١]

فقال لي عبد الله: إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله:

إذا أتاها طالبٌ يَستامُها تكاثرتْ في عينه كِرامُها

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال:

أنشدتني أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ، فٱستحسنتُها، وصنعت فيها لحناً غنّيته الواثقَ؛ فٱستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ وهما:

عسى الله يا ظَمياءُ أن يَعكِسَ الهوى فتلقَينَ ما قد كنتُ منكِ لَقيتُ
ثراءً فتحتاجي إليّ فتعلمي بأنّ به أجزيكِ حين غَنيتُ

حدّثني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن مَروان قال قال لي يحيى بن مُعاذ:

كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَوا فهما أخوان، وإذا ٱلتقيا عند خليفة تَكاشَحا أقبحَ تكاشُح؛ فٱجتمعا يوماً عند المعتصم؛ فقال لإسحاق: يا إسحاق، إن إبراهيم يَثلُبك ويَغضّ منك ويقول: إنك تقول: إنّ مخارقاً لا يُحسن شيئاً ويتضاحك منك؛ فقال إسحاق: لم أقل يا أمير المؤمنين: إن مخارقاً لا يُحسن شيئاً، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجه وتخريجي! ولكن قلت: إنّ مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه

(١) المحاق (بالضم والكسر): آخر الشهر اذا امحق الهلال فلم ير.

ويتغيّر في كل حال، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقلّه نفعاً لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شيء واحد . ولكنّي أفعل الساعةَ فعلاً إن زعم إبراهيمُ أنه يُحسنه فلستُ أُحسِن شيئاً، وإلّا فلا ينبغي له أن يدّعيَ ما ليس يُحسنه . ثم أخذ عوداً فشوّش أوتارَه، ثم قال لإبراهيم : غنِّ على هذا أو يغنّي غيرُك وتضرِب عليه ؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم، قد سمعتَ، فما عندك ؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقاً ؛ فقال له إسحاق : غنِّ حتى أضربَ عليك فأبى ؛ فقال لزُرْزُور : غنِّ فغنّى وإسحاق يضرِب عليه حتى فُرغَ من الصوت ما علِم أحد أنّ العود مشوّش . ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوّشه وجعل كلّ وترٍ منه في الشدّة واللين على مقدار العود المشوّش الاول حتى آستوفى؛ ثم قال لزُرزور : خذ أحدَهما فأخذه، ثم قال : أنظر الى يدي وأعمل كما أعمل وأضرِب ففعل؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرِب وزُرزور ينظر اليه ويفعل كما يفعل ؛ فما ظنّ أحدٌ أن في العودَين شيئاً من الفساد لصحة نَغَمِها جميعاً الى أن فُرِغ من الصوت . ثم قال لإبراهيم : خذ الآنَ أحد العودين، فاَضرب به مبدأً أو عَمودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسِن شيئاً؛ فلم يفعل وآنكسر انكساراً شديداً؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون .

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني عمي الفَضل قال :

دعاني إسحاقُ يوماً، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبير بن دَحمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسنُ يوم؛ فآلتفت اليّ إسحاقُ ثم قال : يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر :

أنت والله من الأيـــام لَدنُ الطَّرَفينِ
كلّما قلّبتُ عينيّ فني قُــرةِ عَينِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق، إنّي أصبحت اليوم قَرِماً[1] الى غنائك فغنّني؛ فغنّيته :

من الظباء ظِباءٌ همُّها السُّخُبُ[2] ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
لا يَغتربنَ ولا يَسكُنَّ باديةً وليس يَدرِينَ ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطع يلزمها والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يَجبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته، وخلع عليّ خِلعةً من ثيابه .

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

خرجتُ مع الواثق الى الصالحيّة[3] وهو يريد النزهة، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ؛ فقال لي : بحياتي أذكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً اليها؟ فقلت : نعم، وغنّيتُه :

صوت

وما زلت أبكي في الديار وإنما بكائي على الأحباب ليس على الدارِ

قال : فأمر لي بمائة الف درهم وصرَفني .

وأخبرني محمد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه، وحدّثني به عليّ بن هارون عن عمه عن حمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ، قال :

ما وَصلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق . ولقد انحدرتُ معه

---

(١) القرم (بالتحريك) في الأصل : شدة الشهوة الى اللحم، ثم كثر حتى قـالوا : قرمت الى لقائك .

(٢) السخب : جمع سخاب وهي قلادة تتخذ من قرنفل وغيره . والمعنى : أن في الظبـاء صنفاً (يكنى به عن النساء) همه التزين والتجمل يفتن القلوب ولا يألف إلا النعيم .

(٣) الصالحية : محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين .

الى النَّجَف[1]، فقلت له : يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة؛ فقال : هاتِها؛ فأنشدتُه :

يا راكبَ العيسِ لا تَعجَلْ بنا وقِفِ　　نُحيِّ داراً لسُعدى ثم نَنصرِفِ

حتى أتيتُ على قولي :

لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبَلٍ　　أصفى هواء ولا أعذى[2] من النَّجَفِ
حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحر من جوانبها　　فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحر في طرفِ
وما يَزالُ نسيمٌ من يَمانِيَةٍ[3]　　يأتيك منها بريَّا رَوضة[4] أُنُفِ

فقال : صدقتَ يا إسحاق، هي كذلك . ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولي في مدحه :

لا يحسَبُ الجودَ يُفني مالَه أبداً　　ولا يرى بذلَ ما يَحوي من السَّرَفِ

ومضيت فيها حتى أتممتُها؛ فطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد، وكنَّاني يومئذٍ، وأمر لي بمائة الف درهم؛ وانحدر الى الصالحيَّة التي يقول فيها أبو نُوَاس :

بالصالحيَّة من أكنافِ كَلْواذِ[5]

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت :

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ　　فكيف اذا ما ازددتَ منها غداً بُعدَا
لعَمرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى　　لَوَ انّا وجدنا عن فِراقٍ لها بُدَّا
اذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقطَّعتْ　　من الشوق أو كادت تموت بها وَجدَا

(١) النجف : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها .

(٢) أعذى : أطيب هواء، يقال : عذا المكان يعذو اذا طاب هواؤه .

(٣) ويروى :

« ... ... من أيامنه　　يأتيك منه ... ... »

(٤) الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

(٥) كلواذا : مدينة كانت قرب بغداد في ناحية الجانب الشرقي منها .

كفى حَزَنًا أن رُحتُ لم أستطع لها وَداعاً ولم أُحدِثْ بساكنها عهدًا

قال : فقال لي : يا موصليّ، أشتقتَ الى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان؛ فقال : هاتهما؛ فأنشدتُه :

حَنَنتَ الى الأُصيبيَةِ الصِّغارِ وشاقك منهمُ قربُ المَزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً(١) اذا دَنَتِ الديّارُ من الديارِ

فقال لي : يا اسحاق، صِرْ الى بغداد فأقِمْ مع عيالك شهراً ثم صِرْ الينا، وقد أمرتُ لك بمائة الف درهم .

الواثق يباريه في التلحين :

أخبرنا يحيي بن عليّ قال أخبرني أبي قال :

لمَّا صنع الواثق لحنَه في :

أيا مُنشِرَ المَوتى أقِدني من التي بها نَهِلَتْ(٢) نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها قَذى العين من سافي التراب لضَنَّتِ

أُعجِب به إعجاباً شديداً ؛ فوجّه بالشعر الى اسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه ؛ فصنع فيه لحنَه الثقيل الاولَ، وهو من أحسن صنعةِ اسحاق ؛ فلمَّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر اسحاق بالصنعة في هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا . قال عليّ بن يحيي قال اسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن .

---

(١) وفي رواية أخرى لهذا الشطر :

وكل مفارق يزداد شوقاً

(٢) النهل (بالتحريك) : الشرب الاول، والعلل الشرب الثاني .

نسبة هذين الصوتين

صوت

أيا مُنشِرَ الموتى أقِدني من التي بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لوَ انّي سألتُها قَذى العين من سافي التراب لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيّ، والغناء للواثق ثاني ثقيل في مجرى البنصر. وفيه لُمخارق رَمَلٌ، ولعَريبَ رمل. ومن الناس من ينسُب هذا الشعر الى كثيّر وهو خطأ من قائله:

أنشدني هذه الأبياتَ عمي قال: أنشدني هارون بن عليّ بن يحيي، وأنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابيّ فقال:

صوت

ألا قاتل اللهُ الحمامةَ غدوةً على الغصن ماذا هيّجتْ حين غنَّتِ
تَغنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهَيَّجت(١) من الشوق ما كانت ضلوعي أجَنَّتِ

غنّى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثانيَ ثقيل بالوسطى.

فلو قَطَرتْ عينُ أمرئٍ من صَبابةٍ دماً قطرتْ عيني دماً فألَمّتِ
فما سكتتْ(٢) حتى أوَيتُ لصوتها وقلت تُرَى هذي الحمامةُ جُنَّتِ
ولي زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قتلنني بشوق الى نايٍ(٣) التي قد تولّتِ

(١) ويروى: «فهاجني».
(٢) وفي رواية: «سكت».
(٣) يروى: «نادي».

إذا قلتُ هذي زَفْرةُ اليومِ قد مضتْ فمَنْ لي بأخرى في غدٍ قد أظلَّتِ
فيا مُحيِيَ الموتى أَقِدْني من التي بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّي سألتُها قَذَى العينِ من سافي التراب لضَنَّتِ
فقلتُ ارْحَلا يا صاحبيّ فليتني أرى كلَّ نفسٍ أُعطِيتْ ما تمنَّتِ
حلفتُ لها بالله ما أمُّ واحدٍ إذا ذكَرَتْه آخِرَ الليلِ حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيَّةٍ قذفَتْ بها صُرُوفُ النَّوى من حيثُ لم تكُ ظنَّتِ
إذا ذكرَتْ ماءَ العِضاهِ[1] وطِيبَه وبَرْدَ الحِمى من بطن خَبْتٍ[2] أرَنَّتِ
بأكثرَ منّي لوعةً غيرَ أنني أُجَمْجِمُ[3] أحشائي على ما أجَنَّتِ

وأما لحن إسحاقَ فإنه غنَّى في :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّي سألتُها

وأضاف اليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو :

فإن بَخِلتْ فالبخل منها سجيَّةٌ وإن بذَلَتْ أعطت قليلاً وأكْدَتِ[4]

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمد المهلّبي ، وحدَّثني به عمي عن أبي جعفر بن دِهقانةَ النَّديم عن أبيه قال :

كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق : هذا وقع الينا البارحةَ فأسمعه ،

---

(١) العضاه : ضرب من الشجر له شوك .

(٢) الخبت : الوادي العميق الوطيء ينبت ضروب العضاه، وهو أيضاً علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال لها خبت الجميش . وأرنت المرأة في نوحها : صاحت مع البكاء، وقيل : الإرنان : الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند البكاء .

(٣) يقال : جمجم شيئاً في صدره اذا أخفاه ولم يبده . يريد أنه طوى أحشاءه على ما أجنته وجعلها غطاء له .

(٤) أكدت : قللت عطاءها ومنعته .

فكان ربّما أصلح فيه الشيء بعد الشيء. فكاده مخارق عنده وقال له: إنما يستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقارِبَك ويستخرجَ ما عندك، فإذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع؛ قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك؛ فقال له مخارق: فأنا أغنّيه «أيا منشر الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال: فافعلْ. فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق: كيف ترى هذا الصوت؟ قال له: فاسدٌ غيرُ مَرْضيّ؛ فأمر به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه، وأمر بنفيه الى بغداد. ثم جرى ذكرُه يوماً. فقالت له فَريدةُ: يا أميرَ المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سَرّه، ويفهم من غامض عِلل الصنعة ما لا يفهمه غيره؛ فليُحضِرْه أميرُ المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يَصدُقَه عما يسمع، وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسداً فصدَق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِل وأُحضِر، فأظهر الرضا عنه ولزِمه أياماً؛ ثم أحلفه لَيَصْدُقَنّ عما يمرّ في مجلسه فحلف له. ثم غنّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده؛ ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده، وقال له: ليس على هذا سمعتُه في المرّة الأُولى، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مُخارِق إياها؛ فسكن غضبُه ووَصل إسحاقَ وتنكّر لمُخارِق مدّة.

أخبرنا يحيي بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ:

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهريّ، وقد كان تكلّم له في حاجة فقُضيت، فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمنيّةٌ ولا تبلغه رغبة. قال: فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه. ثم مكثنا ما شاء الله،

وأرسل الواثق الى محمد[١] بن إبراهيم يأمره بإخراجي اليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغنّي فيه ، وهو :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

فغنَّيته إيَّاه ، فأمر لي بمائة ألفِ درهم . فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناء منّي . فلمّا طال مُقامي قلت له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّي ؛ فقال لي : ولِمَ ؟ وَيحك ! فقلت : لأنّي لا أصحِحه ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها منّي ؟ (يعني شجا ، وهي التي كان أهداها الى الواثق وعمل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه الى شعرائه ومُغنّيه ، وهو الذي في أيدي الناس الى اليوم)؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذه منّي ويأخذونه منها ؛ فأمر بها فأُخرجت وأخذَته على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ، فقلت للواثق عند وَداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أمنيّةٌ ولم تبلغه رغبة ؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : أي إسحاقُ أتعيد الدعاء ! فقلت : إي والله أُعيده قاضٍ أنا أو مغنّ . وقدِمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسلِّماً عليه ؛ فقال لي : وَيحك يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيها الأمير؛ قال قال لي : ويحك ! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحننا حتى أفسده علينا . قال عليّ بن يحيي : فحدّثني إسحاق قال : استأذنتُ الواثقَ عدّة دفعات في الانحدار الى بغدادَ فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في :

خليليّ عُوجا من صدور الرّواحلِ

ثم غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجب من صحّة قِسمته ومُكث صوته أياماً ، ثم قال لي : يا إسحاقُ ، قد صنعتَ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته ، وأمر من وراء

(١) هو محمد بن ابراهيم بن مصعب بن زريق أخو اسحاق بن ابراهيم الطاهري، كان من القوّاد الكبار في ايام المعتصم والواثق والمتوكل، قتل في خلافة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ.

السِّتارة فغنَّوه؛ فقلت: قد والله يا أمير المؤمنين بَغَّضتَ إليَّ لحني وسمَّجته عندي، وقد كنت استأذنته في الانحدار الى بغداد فلم يأذن لي؛ فلما صنع هذا اللحنَ وقلتُ له ما قلتُ، أتبعتهُ بأن قلت له: قد والله يا أمير المؤمنين اقتصصتَ مني في «لقد بخلت» وزدتَ؛ فأذن لي بعد ذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت

خليليَّ عُوجاَ من صدور الرَّواحل ... بجَرْعاء[1] حُزْوَى فابكيا في المنازلِ
لعلَّ انحدار الدَّمع يُعقب راحةً ... من الوَجْدِ أو يَشفي نَجيَّ البَلابلِ[2]

الشعر لذي الرُّمَّة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين. وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر.

أخبرني أحمد بن عمَّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدَّثني كَثير بن أبي جعفر الِحزاميّ الكوفيّ عن أحمد بن جَوّاس الحَنَفيّ عن أبي بكر بن عَيَّاش قال:

كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ عليّ، حتى مررتُ ذات يوم بالكُناسة[3]، فإذا أنا بأعرابيّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشد:

خليليَّ عُوجاَ من صدور الرَّواحلِ ... بجَرْعاء حُزوَى فابكيا في المنازلِ

(١) الجرعاء: الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل، وحزوى: موضع بنجد في ديار تميم، ويروى: «بجمهور حزوى». والجمهور: الرملة العظيمة المشرفة على ما حولها.

(٢) البلابل: الهموم في الصدور.

(٣) الكناسة: محلة بالكوفة.

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِب راحةً من الوجد أو يَشفي نَجيَّ البَلابلِ

فسألتُ عنه فقيل لي : هذا ذو الرُّمّة ، فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيت فأجد لذلك راحة ؛ فقلت : قاتل الله الأعرابيّ ! ما كان أعلمَه وأفصحَ لهجتَه !.

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال :

قلت لإسحاق : أيما أجودُ، لحنُك في « خليليّ عوجا » أم لحن الواثق ؟ فقال : لحني أجودُ قِسمةً وأكثر عملاً، ولحنُه أطرَبُ، لأنه جعل رَدّته من نفس قِسمته، وليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّن من نفسه . قال عليّ بن يحيى : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتها كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة الواثق أعلمُ منه بالغناء .

أخبرني عليّ بن هارون قال :

كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحنَ إسحاق في « لقد بخلَتْ » . قال : ومن الدّليل على ذلك أنه قلّما غُنّي في صوت واحد بلحنين فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون ، ولا يُشهَر من اللحنين إلا أجودُهما ، ولحنُ الواثق أشهرُهما ، وما يَروي لحنَ إسحاقَ إلا العجائزُ ومن كَثُرتْ روايتُه .

حدّثني جحظة عن ابن المكيّ المرتجل عن أبيه أحمد بن يحيى قال :

كان الواثق يَعرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلح فيها الشيء بعد الشيء .

أخبرنا حسين بن يحيى عن حمّاد :

أنّ آخر صوت صنعه أبوه : « لقد بخلَتْ » ، ثم ما صنع شيئاً حتى مات .

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال :

دخل أعرابيّ من بني سُلَيم سُرّ مَن رأى – وكان يُكنى أبا القَنافذ –، فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له ؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده :

مِراض العيونِ خِماص البطون ... طِوال المتون قصار الُخطا
عِتاق[1] التحور دِقاق الثغور ... لِطاف الخصور خِدال[2] الشّوَى
عَطابيل[3] من كلّ رَقراقة[4] ... تلُوث الإزارَ بدِعص[5] النَقَا
إذا هُنّ مَنّيْننا نائلاً ... أبى البُخلُ منهنّ ذاك الُمنَى
إلى النَفَر البِيضِ أهلِ البِطاح ... وأهلِ السَّماحِ طَلَبنا النّدَى
لهم سَطَواتٌ إذا هُيّجوا ... وحلمٌ إذا الجهلُ حَلّ الحِبا[6]
يَبين لك الخيرُ في أوجهٍ ... لهم كالمصابيحِ تجلو الدُّجى
سَعى الناسُ كي يُدركوا فضلَهم ... فقصّر عن سعيهم مَن سَعَى
سعَى للخلافة فاقتادَها ... وبرّز في السَّبْق لمّا جرَى

قال فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنّيت فيها ، وأمر للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألفَ درهم ؛ وما خرج الناس يومئذ إلّا بهذه الأبيات .

حدّثني عمي قال حدّثني فَضل اليَزيديّ عن إسحاق قال :

كتبت الى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ بُجانَ بما التمست ،

(١) عتاق النحور : جيلاتها .

(٢) خدال : جمع خدلة وهي من النساء : الغليظة الساق المستديرتها . والشوى : الاطراف .

(٣) عطابيل : جمع عطبولة وعطبول وهي الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . قال ابن برى : ولا يقال : رجل عطبول إنما يقال : رجل أجيد، اذا كان طويل العنق .

(٤) جارية رقراقة : كأن الماء يجري في وجهها .

(٥) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

(٦) الحبا : جمع حبوة وهي الثوب الذي يحتبي به . ويكنى بحل الحبا عن القيام كما يكنى بعقدها عن القعود . يريد : أن للممدوحين حلماً اذا استفز الجهل أهل الجهل غضباً وطيشاً .

وكتب اليَّ : قد بعثتُ اليك بشرابٍ أصلبَ من الصَّخر ، وأعتقَ من الدهر ، وأصفى من القطر .

مكايدة عبد الله بن طاهر له :

حدَّثني جحظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ عن أحمد المكيّ قال :

لمَّا صنع إسحاقُ لحنَه في الرَّمَل :

أماويّ[1] إنّ المالَ غادٍ ورائـحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنّ حاتماً يريد ثراء المـال كان له وَفْرُ

وهو رَمَل نادرٌ، ابتداؤه صِياح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحة، وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدّة وذلك في أيام المأمون؛ فقال عبد الله لِلَميسَ جاريته : خُذي لحنَ إسحاق في :

أماويَّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ

فاخلعيه على :

وهبَّتْ شمالُ آخِرَ اللّيل قَرّةً[2] ولا ثوبَ إلّا بُرْدُها وردائيا

وألقيه على كلّ جارية تعلّمينها واشهَريه وألقيه على من يجيده من جواري زُبيدة، وقولي : أخذتُه من بعض عجائز المدينة ؛ ففعلتْ ، وشاع أمرُه حتى غُنّي به بين يدي المأمون ؛ فقال المأمون للجارية : ممن أخذتِ هذا ؟ فقالت : من دار عبد الله ابن طاهر من لميسَ جاريته ، وأخبرتني أنها أخذته من بعض عجائز المدينة . فقال المأمون لإسحاقَ : وَيلك ! قد صِرتَ تسرق الغناء وتدّعيه ، اسمع هذا الصوت ؛

(١) الشعر لحاتم الطائي، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها حاتم الى أهلها ، وله في ذلك معها حديث طويل .

(٢) قرة : باردة .

فسمعه فقال: هذا وحياتِك لحني، وقد وقع عليَّ فيه نَقْب من لصٍّ حاذق، وأنا أغوص عليه حتى أعرفه؛ ثم بَكَّرَ الى عبد الله بن طاهر فقال: أهذا حقي وحُرمتي وخدمتي! تأخذ لميسُ لحني في:

أماويَّ إنَّ المال غادٍ ورائحٌ

فتغنّيه في: « وهبَّتْ شمال »! وليس لي ذلك، ولكن لي أنها فضحتني عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذته من بعض عجائز المدينة؛ فضحِك عبد الله وقال: لو كنتَ تُكْثِر عندنا كما كنت تفعل لم تُقدِم عليك لميسُ ولا غيرُها؛ فاعتذر فقبل عذرَه، وقال له: أيَّ شيء تريد؟ قال: أريد أن تُكذِّب نفسها عند من ألقته عليها حتى يعلم الخليفة بذلك؛ قال: أفعل؛ ومضى إسحاقُ الى المأمون وأخبره القصّة؛ فاستكشفها من لميسَ حتى وقف عليها، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة.

حدّثني جحظة قال حدّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدّثتني شَهَواتُ الصَّنّاجة التي كان إسحاق أهداها الى الواثق:

أن محمداً الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأوّل:

صوت

يأيها القائمُ الأمين فدَتْ نفسَك نفسي بالمال والوَلَدِ
بَسَطْتَ للناس إذ وَلِيتَهُمُ يداً من الجود فوق كلّ يدِ

فأمر له بألف ألفِ درهم؛ فرأيتُها قد وصلتْ الى داره يحملها مائةُ فرّاش.

حدّثني جحظة ومحمد بن خَلَف بن المَرزُبان قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنّيتُ الواثقَ:

صوت

عَفَا طَرَفُ القُرَيَّةِ فالكَثِيبُ ... الى مَلْحاء ليس بها عَرِيبُ
تأبّد رسمها وجرى عليها ... سَوافي الريح والتُّربُ الغريبُ

– ولحنه ثقيلٌ ثانٍ – قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرْمة في البيتين ، فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما؟ قال قلت : قوله : « التراب الغريب » ، يريد أنّ الريح جاءت الى الأرض بتراب ليس منها وهو غريب جاءت به من موضعٍ بعيد ؛ فقال : صدقتَ وأحسنتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبِّر ، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ اسحاقَ :

صوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ[1] ينظُر حسرةً ... الى الماء عطشاناً وقد مُنِع الوِرْدَا

وقال ابن المُدبِّر : زد فيه :

وأمسيتُ كالمساوبِ مهجةَ نفسه ... يرى الموتَ في صدّ الحبيب اذا صدّا

لحنُ اسحاق في هذا البيت من الثقيل الاول بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر .

حدّثني الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثني شيخ من وَلَد المهلّب قال :

---

(١) الحومان : العطشان، من حام يحوم اذا عطش . ويروى : « كالحيران »، ولعل صوابها « الحرّان »، والحرّان : الشديد العطش .

دخل مَروانُ بن أبي حَفصة يوماً على ابراهيمَ الموصلي، فجعلا يتحدّثان الى أن أنشد اسحاقُ بن ابراهيم مروانَ بن أبي حَفصة لنفسه :

إذا مُضَرُ الحمراء(١) كانت أرُومَتي وقام بنصري خازمٌ وآبنُ خازمِ
عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يداي الثُّريّا قاعـداً غيرَ قائمِ

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له : مالَـكَ لا تجيبني ؟ قال : إنك والله لا تدري ما أفرَغ آبنُك هذا في أذني .

حدّثني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشر قال :

كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزهة، فمرّ بنا أعرابيّ، فوجّه إسحاقُ خلفَـه بغلامه زيادٍ الذي يقول فيه :

وقُولا لساقِينا زِيادٍ يُرِقّها فقد هَدّ(٢) بعضَ القومِ سَقيُ زِيادِ

قال : فوافانا الأعرابيّ، فلمّا شَرب وسمِع حَنينَ الدّواليب قال :

صوت

بَكَرتْ تَحِنُّ وما بها وَجدي وأحِنُّ من وَجـدٍ الى نَجدِ
فدموعُها تَحيـا الرّياضُ بها ودموعُ عيني أقرَحتْ خَدّي
وبساكِني نجدٍ كَلِفتُ وما يُغني لهم كَلَفي ولا وَجدي
لو قِيس وجدُ العاشقين الى وَجدي لزاد عليه ما عندي

(١) قيل لمضر : مضر الحمراء لان أباهم مضر لمـا اقتسم هو وربيعة الميراث أعطى مضر الذهب (وهو يؤنث) وأعطى ربيعة الخيل، فقيل لهذا : مضر الحمراء ولذاك ربيعة الفرس . ويقال : لأنه كان شعار مضر في الحروب العمائم والرايات الحمر .

(٢) هدّه الأمر : بلغ منه وأعياه .

قال : فما أنصرف إسحاق الى بيته إلا محمولا سُكراً، وما شرب إلا على هذه الأبيات . والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنصر .

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيي عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال :

دخلتُ على الفَضل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنجِردِيٍّ(١) ستيني مُذهب يلمع عليه مكتوب : « مما أمر بصنعته حَمَّاد عَجرَد » ؛ فقال لي : أتدري مَن حَمَّاد عَجرد ؟ قلت : لا ؛ قال : حَمَّاد عجرد كان واليَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثلَه قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ؛ ثمَّ قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أيَّ شيء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُه لي ؛ قال : لا أفعل ؛ قلت : إذاً أغضبُ ؛ قال : ما شئتَ أفعَلْ ؛ فخرجتُ مُتغاضباً ؛ فلمَّا وافيتُ منزلي اذا برسوله قد لَحِقني بالبساط ؛ فكتبتُ اليه بيتين لحمزة بن مُضَر :

ولقد عددتُ فلستُ أحصي كلَّ ما قد نِلتُ منك من المتاع المُونِقِ
بخديعتي فأراك مُنخدعاً لها وفُكاهتي وتَغَضُّبي وتملُّقي

— قال ابن أبي سعد في خبره : — فلمَّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لي : البيتان خير من البساط ، فالفضلُ الآن لك علينا .

أخبرني يحيي بن عليّ وأحمد بن جعفر جَحظة عن أبي العُبَيس بن حَمدون عن عمرو بن بانة قال :

رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً ؛ فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

---

(١) سوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

شعره في الواثق :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال :

قدمتُ على الواثق في بعض قَدَماتي ، فقال لي : أما اشتقتَ إليّ ؟ فقلتُ : بلى والله يا أمير المؤمنين، وأنشدتُه :

أشكو الى الله بُعدي عن خليفته وما أعالج من سُقمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رحيلاً إن هَممتُ به يوماً اليه ولا أقوى على السَّفَرِ
أنوي الرَّحيلَ اليه ثمّ يمنعني ما أحدثَ الدهرُ والأيامُ في بصَري

قال : وقال وقد أشخصه اليه قصيدتَه الداليّة :

صوت

ضَنّتْ سعادُ غداة البَيْن بالزادِ وأخلفتْكَ فما تُوفي بميعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تودِّعنا والحزنُ منها وإن لم تُبدِه بادي

لإسحاقَ في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى، يقول فيها :

لمّا أمرتَ بإشخاصي اليك هَفا قلبي حنيناً الى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ ولم أحفِل ببَيْنهمُ وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحمّادِ
كم نعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردني بها وعمّ بأخرى بعد إفرادِ
فلو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم لما أحاط بها وَصفي وتَعدادي
لأشكرنّك ما ناح الحمامُ وما حدا على الصبح في إثر الدُّجى حادي

قال عليّ بن يحيي : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال الخليفة لإسحاق : أحضرني فَضلاً وحمّاداً أليس كان قد افتضح من دمامةِ خَلقهما وتخلّف شاهِدِهما .

حدّثني جَحظة قال حدّثني هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهديّ قال :

كتب أبي الى إسحاقَ في شيء خالفه فيه من التَّجزئة والقسمة : « الى من أحاكمك والناس بيننا حَمِير ! » .

قصته في تل عزاز :

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثنا إسحاقُ قال :

كنتُ مع الرشيد حين خرج الى الرَّقّة، فدخل يوماً الى النساء، وخرجتُ فمضيتُ الى تَلّ عَزاز[1]، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقتني شراباً لم أرَ مثلَه حُسناً وطيباً وطيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش وريحانٍ غَضّ، وبرزت بنتٌ لها كأنّها خُوط[2] بانٍ أو جَدْل عِنان، لم أرَ أحسنَ منها قدّاً، ولا أسيلَ خدّاً، ولا أعتقَ وجهاً، ولا أبرعَ ظَرْفاً، ولا أفتن طَرْفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتمّ تماماً؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بي رُسُله، فدخلتُ عليه وهو غضبان؛ فلما رأيتُه خطرْتُ في مِشيتي ورقصتُ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُكر، وغنّيتُ :

صوت

إنّ قلبي بالتَّلّ تَلِّ عَزازِ	عند ظبي من الظِّباء الجوازِي[3]
شادنٍ يَسكُنُ الشَّآمَ وفيه	مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقومي لِبنت قَسٍّ أصابتْ	منك صفوَ الهوى وليست تُجازِي

(١) عزاز : بالرقة .

(٢) الخوط : الغصن الناعم . والجدل : الحبل المفتول .

(٣) الجوازي (أصله بالهمز) : جمع جازئة، وهي من الظباء التي استغنت بالرطب عن الماء .

حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعــدَ وليست تجود بالإنجازِ

– الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة – قال إسحاق: فسكَن غضبُه، ثم قال لي: أين كنتَ؟ فأخبرتُه؛ فضحك وقال: إنّ مثل هذا اذا اتّفق لَطيِّبٌ، أعِدْ غناءك، فأعدته، فأُعجِب به، وأمرني أن أعيده ليلةً من أوّلهــا الى آخرها؛ وأخذها المغنّون منّي جميعاً وشربنا الى طلوع الفجر، ثم انصرفنا فصلّيت الصبحَ ونمت؛ فما استقررنا حتى أتى إليّ رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبتُ ومَضَيت؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّانٍ[1] في الدار لغَلَبة السُّكر عليه، ثم قال: أتدري لِمَ دُعينا؟ فقلت: لا والله؛ قــال: لكنّي أدري، دُعينا بسبب نَصرانيّتك الزانية، عليكَ وعليها لعنــةُ الله؛ فضحكتُ. فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصة، فضحك وقــال: صدَق، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ الى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني؛ فعُدنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا.

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يَزيد بن محمد المُهلّبيّ قال:

كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيَّه واحتجَر[2] من حضور دار السلطان. فبلغه أنّ المأمون وَجد عليه من ذلك وتنكّر؛ فكتب إسحاقُ اليه وغنّى فيــه بعد ذلك:

صوت

يابنَ عمِّ النبيِّ سمعاً وطاعهْ قد خلعنا الرِّداء والدُّرّاعهْ
ورجعنــا الى الصِّناعــة لمّا كان سُخطَ الإمام تركُ الصِّناعهْ

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو – وقد ذكر الغَلابِيّ أن هذا الشعر

(١) الدكان: مقعد يدك ويجلس عليه وهو يشبه ما يسمى بالمصطبة الآن.

(٢) احتجر: امتنع.

لأبي العَتاهية، قـاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر – وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال :

قال لي محمد بن الحسن بن مُصعَب، وكان بصيراً بالغناء والنَّغم : لحنُ إسحاق في « تَشَكَّى الكميتُ الجريَ » أحسنُ من لحن ابن سُريج، ولحنُه في « يوم تُبدي لنا قُتَيلة » أحسنُ من لحن مَعبد، وذلك من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاقَ بقوله، فقال : قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعزعتُهما[1] وأنختُ بهما فما بلغتُها . فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن، فقال : هو والله يعلم أنه بَرّز عليهما، ولكنه لا يدع تعصُّبه للقدماء .

وأخبرني جَحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق :

أنّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنّ الناس قد كثّروا في صوتيك : « تشكّى الكُميتُ الجريَ » و « يوم تُبدي لنا قُتَيلة »، وقالوا : إنهما أجود من لَحنَي ابن سُريج ومَعبد، قال أبي : وَيحك ! رُميت في هذين الصوتين بمعبد وابن سُريج وهُما هُما، فقرُبت ووقع القياسُ بيني وبينهما، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وانتصفتُ منهما .

تحليل غنائه :

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن – أظنه ابن مصعَب – ذكر إسحاقَ الموصليّ فقال :

كانت صنعتُه مُحكمةَ الأصول، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان، وكان يتصرّف في جميع بُسُط الإيقاعات، فأيّ بِساط منها أراد أن

(١) زعزعها : ساقها سوقاً عنيفاً .

يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البساط حُذّاق القدماء فعارَضَه: وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل، ويسلُك سبيلَهم، ويقتحم طُرُقهم؛ فيَبني على الرّسم فيصنعه، ويحتذي على المِثال فيَحكيه؛ فتأتي صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين: القوّة في الطّبع وسهولةَ المسلك، وحُسْناً بين كثرة النّغَم وترتيبها في الصِّياح والإسجاح؛ فهي بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات؛ فأما المتأخرون فأحسنُ أحوالهم أن يَرووها فيردّوها. وكان حسنَ الطبع في صياحه، حسنَ التلطُّف، لتنزيله[1] من الصياح الى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله؛ حتى تعتدلَ وتتّزن أعجازُ الشعر في القسمة بصدوره. وكذلك أصواتُه كلُّها، وأكثرها يبتدئ الصوت فيصيح فيه – وذلك مذهبه في جُلّ غنائه؛ حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه الملسوع؛ لأنه يبدأ بالصّياح في أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه – ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحاً وينزّلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشدّة الى ما يوازيها من اللين، ثم يَعود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شدّة الى لين ومن لين الى شدّة؛ وهذا أشدّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصّنعة. قال يحيي بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي ألّف في أخباره وزاد في بعض ما صنعه: «وكان إسحاق أعلمَ أهل زمانه بالغناء، وأنفذَهم في جميع فنونه، وأضربَهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودَهم صنعةً، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارَض ابنَ سُريج ومعبداً فانتصف منهما؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبلُغه فيها، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه».

تشبيهه لصوت له:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني إبراهيم ابن عليّ بن هشام:

قال إسحاق وذكر صوته:

---

(١) التنزل: النزول في مهلة.

صوت

كان افتتاحَ بلائيَ النّظرُ　　فالحَينُ سبّبَ ذاك والقَدَرُ
قد كان بابُ الصّبرِ مُفتتَحاً　　فاليومَ أغلقَ بابَهُ النّظرُ

— الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه لأحمد بن المكيّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولعريبَ ثاني ثقيلٍ ، جميعاً عن الهشاميّ — قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتي هذا إلّا بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطّبْطابة[1] وأهلُ الميدان جميعاً خلفَه ، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ عن ابن المكيّ عن إسحاق قال :

صنعتُ هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ ؛ فلمّا كان في أيام محمد غنّيته ، فاشتهاه واشتهر به ، وبعث الى يحيى بن معاذ وأنا أغنّيه :

اسقني وابنَ نَهيكٍ　　وابنَ يحيى بنِ مُعاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت :

فاسقِني واسقِ نَهيكاً　　واسقِ يحيى بنَ مُعاذِ

فبعث اليه محمد فأحضره فقال : لتشربنّ أو لأعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه[2] وأمر له بمال ، وسُرّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفت الى

---

(١) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة .

(٢) غلفه : طيبه بالطيب . وكان من أخلاق الملك تفرده بالتطيب والتجمل ونحوها ولا تشركه في ذلك بطانته وندماؤه .

البيت ؛ فجاءني رسول يحيي بن معاذ فصِرتُ اليه ، فلم يزل يستحلفني ألّا أعودَ في هذا الصوت قُدّامَ محمد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله، ولم أعُدْ فيه .

نسبة هذا الصوت

صوت

يومُنـــا يومُ رَذاذِ وأصطباحٍ والتذاذِ
فأسقني وأبنَ نَهيكٍ وأبنَ يحيي بن مُعاذِ
من كُميتٍ[١] عُتّقت للشيخ كِسرى بن قُباذِ
ليس للمرء من الهمّ سواهـــا من مَلاذِ

الشعر لعليّ بن هِشام ، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم الهاشميّ قال حدّثني أبو عبد الله الهلاليّ قال :

كنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشّت السماء رشّاً وطشّت ؛ فأنشأ عليّ يقول :

يومُنـــا يومُ رذاذِ وأصطباحٍ وألتذاذِ

— وذكر الأبيات الأربعة — ثم قال لغلامه : اذهب الى أحمد بن يحيي بن معاذ وقل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب ، فتعالَ أنتَ وغلاماك بُنان وعثعث ؛ فجاء الى بابه الرسولُ وعليه غُرَماء له ، فنعوه الدخولَ عليه ؛ فقال لهم : كم لكم عليه ؟ قالوا : مائتا ألف درهم؛ فرجع الغلام الى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدّين ؛ فقال له : احملْ اليه مائتي ألفِ درهم وجئْ به وبغلامَيه

---

(١) الكميت : الخمر التي فيها سواد وحمرة .

الساعةَ فحملها ؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعليّ بن هشام : لِمَ تحمّلت هذا لي ! أنا والله مُنتظر مالا يجيء فأُعطيهم ؛ فقال له : مالي ومالُك واحدٌ . فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال أكثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرْبَ) ؛ فأكلتُ وغسلت يديّ ؛ فقال لغلامه سِراج : احمِلْ مع أبي عبدالله الهلاليّ ثلاثين ألفَ درهم ؛ فانصرفتُ وهي معي .

شعر صباه :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا سليمانُ المدائنيّ عن ابن المكيّ عن أبيه قال حدّثني إسحاق قال :

تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها :

هل الى أن تنام عيني سبيــلُ   إنّ عهدي بالنوم عهــدٌ طويلُ
غــاب عنّي مَن لا أُسَمِّي فعيني   كلّ يوم عليــه حُزناً تَسيلُ

— الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريبَ خفيفُ رَمَــلٍ آخر . وفيه لمحمد بن حمزةَ وَجه القَرعة خفيفُ ثقيلٍ ، وقيل : إنه لابن المكيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب الى عَلّويه والى حسين بن مُحرز — قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كَبِرتُ واعتلّتْ عليّ عيناي ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولّى . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المهلّبيّ عن إسحاق ؛ وليس هذا على التمام .

أخبرني جَحظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال :

دعا المأمونُ بإسحاق فأحضرَه ، فأمر أن يُغنّي في هذا الصوت فغنّى :

هل الى أن تَنامَ عَيني سبيلُ

فغنّاه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى

شعره ، فقال المأمون : فإنّا نردّ الحكمَ الى مَن هو أعلم بذلك منك ؛ فبعث الى أبي (يعني يحيى المكيّ) فجيء به ، فخبّره بما قلتُ وما قال ، وأمر إسحاق بردّ الصوت فردّه ؛ فقال يحيى : أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسنَ أبني في أستحسانه ، إلّا أنّ هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلق إسحاق؛ فضحِك المأمون ، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله . قال : ولم يكن في إسحاق شيء يُعاب إلّا حَلقُه ، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذقه .

ضعف بصره :

قال : وأما السبب في علّة عين إسحاق وضعفِ بصره ، فأخبرني به محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني به أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ :

ان إبراهيم بن أخي سَلمة الوصيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من الغناء، فردّ عليه، فشتمه ، فردّ عليه إسحاقُ وأربى في الردّ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أميرِ المؤمنين ! فقال له : اسكتْ فإنك من مَوالي العِيدَينِ ؛ فقال له الرشيد : وأيُّ شيء موالي العيدينِ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، يُشتَرى للخلفاء كلُّ صانع وكلّ ضربٍ في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحجّامُ والحائك والسائس؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلمّا جاز عليه مُنصرفاً ضرب رأسه بمِقرَعةٍ فيها مِعوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيدَ الخبرُ ، فأمر بأن يُحجَبَ عنه إبراهيمُ ، وحلف ألّا يدخلَ عليه ؛ فدسّ الى الرشيدِ من غنّاه :

صوت

مَنْ لعبدٍ أذلّه مولاهُ ‍ ‍ ‍ مالَه شافعٌ اليه سواهُ
يشتكي ما به اليه ويخشا ‍ ‍ ‍ هُ ويرجوه مثلَ ما يخشاهُ

— الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم أبن أخي سلمة الوصيف خفيفُ رمل . وفيه لعريبَ ثقيلُ أولُ . وقيل : إن لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر — فلمّا غُنّي الرشيدُ بهذه الأبيات ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفه ، فحلف ألّا يرضى عنه حتى يرضى إسحاقُ ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضيتُ عنه يا سيّدي رضاء حسناً ، وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله؛ فرضي عنه وأحضِر وأمره بترضّي إسحاقَ ففعل .

وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

جاء إبراهيم أبن أخي سلمة الى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إني أحبّ أن تشرّفني بأن تكون نَوْبتي ونوبةُ إسحاقَ الموصليّ في مكان ، وأن يكون دخولي اليك ودخوله في مكان ، فإن رأيتَ أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلتَ ؛ قال : قد فعلتُ ؛ ولم أكن حاضراً لمسألته . فلمّا كان يومُ دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقًّا عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه ؛ فقلتُ له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قل له اخرج أنت ؛ فساء ظنّي واغتممتُ ، فخرجتُ اليه فقلت له ما الخبر؟ قال : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألّا تدخل الدارَ إلّا معي بعد أن أوجّه اليك فتركب إليّ وتمضي معي ؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقيّةَ يومي على تلك الحال . ثم ركبت الى الفضل بن الرّبيع فشكوتُ ذلك اليه ؛ فقال : ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلّك هذا المحلّ ، قم بنا اليه ؛ فقمت معه ؛ فدخل الى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقداره أن تجعله مضموماً الى إبراهيم ابن أخي سلمة؛ قال : لا والله ما فعلتُ هذا ؛ قال : إنه قد جاءني يبكي ويحلِف إن جرى عليه هذا تاب من الغِناء وتركه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ اليه ؛ فقال : ويحك ! والله ما جرى من هذا شيء ، إلّا أنّ إبراهيم ابن أخي سلمة جاء فقال : تشرّفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامة ؛ فأخبرني فرجعت . فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم

إليّ ففعل مثلَ فعله ؛ فقلت لغلامي : اخرج اليه فقل له : ولا كرامةَ لك يا زاني يابْنَ الزانية ، لا أجيء معك ولا أدَعُك تجيء معي أيضاً ، وشتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى اليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يتجرّأ عليه إلّا بعدَ توثّق فخجل، فقال له : قل له : ومَن أكرهك على هذا ! إنما أحببتُ أن نصطحبَ ونتآنس في طريقنا ، فإن كرِهتَ هذا فلا تفعله ؛ وانصرف ولم يعاودْني بعدها .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنــا أبو أيّوب المدينيّ عن ابن المكيّ عن أبيه قال :

كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلحيته ويبكي :

إذا المرء قاسى الدهرَ وابيضَّ رأسُه ... وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُــهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ خسيسةٍ ... تُباعده طوراً وطوراً تُقاربُهْ

الشعر لزَبّان بن سيّار الفَزاريّ ، حدّثني بذلك الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير ابن بكّار عن عمه . والغناء لإسحاقَ رمَلٌ بالوسطى .

جفاه المأمون :

أخبرنا محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال :

أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أوّلَ من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستراً متشبّهاً في أول أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربعَ حِجج ، ثم ظهر الى النُّدماء والمغنّين . وكان حين أحبَّ السماعَ سأل عنّي ، فجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أميرُ المؤمنين في رجل يَتيه على الخلافة ! قال المأمون : ما أبقى هــذا من التيه شيئاً إلا استعمله . فأمسك عن ذكري ، وجفاني من كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأضرّ ذلك بي ؛ حتى جاءني علّويه يوماً فقال لي : أتأذَن لي في

ذكرك؟ فإنا قد دُعينا اليوم؛ فقلت: لا! ولكن غَنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا؛ فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء؛ فقال: هات، فألقيتُ عليه لحني في شعري:

صوت

يا سَرْحةَ[1] الماء قد سُدَّتْ موارِدُه   أما اليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ حامَ حتى لا حِيامَ[2] له   مُحَلَّإٍ عن طريق الماء مطرودِ

— الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو — قال: فمضى عَلّويه، فلما استقرّ به المجلس، غنّاه بالشعر الذي أمرتُه؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا عَلّويه! لمن هذا؟ قال: يا سيّدي، لعبد من عبيدك جفوتَه وأطرحته من غير جُرم؛ فقال: أإسحاقَ تعني؟ قال: نعم؛ قال: يحضر الساعةَ؛ فجاءني رسوله فصرت اليه. فلما دخلتُ عليه قال: ادنُ فدنوت، فرفع يديه مادّهما، فانكببتُ عليه واحتضنني بيديه، وأظهر من بِرّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لَبَرّه.

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجانيّ قُرَيض قال: قال لي أحمد بن أبي العلاء:

غنّيت المعتضدَ يوماً وهو أميرٌ صوتَ إسحاق:

يا سرحةَ الماء قد سُدّت موارِدُه   أمـا اليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً، وقال: هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللحم والدم.

---

(١) سرحة الماء: كنى بها هنا عن المرأة.

(٢) ويروى: «لا حوام له» و«لا حراك به». والمحلأ: المطرود عن الماء، يقال: حلأه عن الماء: اذا طرده ومنعه وروده.

كان الناس يتهادون ألحانه :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو العُبَيس بن حَمدون قال أخبرني أبي قال :

لمّا غنّى إسحاق في شعره هذا :

صوت

لأسماءَ رَسمٌ عفا باللِّوَى أقامَ رَهيناً لطُول البِلى
تَعاورَهُ الدهرُ في صَرفِه بكَرّ الجديدَينِ حتى عفا

— الشعر لإسحاقَ من قصيدة مدَح بها الرشيدَ ، والغناء له ثاني ثقيلٍ بالوسطى وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بن المهديّ — قال : فكان الناس يتهادَونه كما يتهادون الطُرفةَ والباكورةَ . وقال أبو العُبَيس حدّثني ابن مُخارِق : أنّ الواثق بعث الى أبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ الصوت ليُلقيَه عليه ، فصادفه عليلاً — ولم يكن أحد يَلقَنُ عن إسحاق طَرحَ الغناء كما يَلقَنُه مُخارق — فأعاد اليه الرسولَ ومعه مِحَفّة ، وقال : لا بدّ أن يجيء على كل حال ؛ فتحامل وصار اليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثةَ الباهليّ عن أخيه أبي معاوية :

أن إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُرُوسية ويحبّ أن يُنسَب اليها ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه ؛ فقال أخوه طَيّاب فيه :

وأنت تكلّفتَ ما لا تُطيق وقلتَ أنا الفارسُ المَوْصِلي
فلمّا أصابتك نُشّابةٌ رجعتَ الى سنّك الأوّلِ

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال :

قال حمزة الزيّات القارى[١] : يا موصليّ ، إنّ لي فيك رأياً ، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطعَم على مَطعَم !

شعر الاصمعي فيه :

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكَّريّ قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمّه يقول لإسحاق :

أأنْ تغنّيتَ للشَّربِ الكرامِ «ألا ردّ الخليط جمالَ الحيّ فأنفرقوا»
وقيل أحسنتَ فأستدعاك ذاك الى ما قلتَ ويحكَ لا يَذهَبْ بكَ الخرَقُ
وقيل أنت حُسانُ الناس كلّهمُ وأبن الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا
فما بهــذا تقوم النادباتُ ولا يُثنى عليك إذا ما ضَمّكَ الخِرَقُ

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُروَى لأبن المُنذِر العَروضي وللأصمعيّ .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشيد معايبَه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخله وضَعَة نفسه وأن الصَّنيعة لا تَزْكو عنده ، ووصف له أبا عُبَيدة مَعمَر بنَ المُثنّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضل بن الرَّبيع وأستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعيّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا الى أبي عُبيدة مَن أقدمه .

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس :

---

(١) يلاحظ أن حمزة الزيات القارى (صاحب قراءة القرآن المعروفة) توفي سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور بمدينة حلوان وهي في أواخر سواد العراق مما يلي بــلاد الجبل وأن إسحاق الموصلي ولد سنة خمسين ومائة، فكيف يعقل أن يكون بينهما مثل هذا الحديث وإسحاق في هذه السن .

كأنه في الجُلِ[١] وهو سامي مُشتمِلٌ[٢] جـاء من الحَمَامِ
يَسُورُ[٣] بين السَّرج واللِّجامِ سَوْرَ القَطـامي[٤] الى اليَمامِ

قال: ودخل الأصمعيّ فسمعني أنشدها، فقال: هاتِ بقيَّتها؛ فقلت له: ألم تقل إنه لم يبقَ منها شيء؟ فقال: ما بقي منها إلّا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها، فغاظني فعله؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة[٥] وبخله بما عنده؛ ووصفتُ له فضلَ أبي عُبَيدة مَعمَر بن المُثنّى وعلمه ونزاهته وبذلَه لما عنده وٱشتاله على جميع علوم العرب، ورَغّبتُه فيه، حتى أنفذ اليه مالًا جليلًا وٱستقدمه؛ فكنتُ سبب مجيئه به من البصرة.

أخبرني عمي قال حدّثنا فَضْل اليزيديّ عن إسحاق قال:

جاء عطاء المُلك بجماعة من أهل البَصرة الى قُرَيب أبي الأصمعيّ، وكان نَذلًا من الرجال، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في الشمس، فركضه برجله وصاح بـه: يا قُرَيب، قم ويلك! فقال له: هل لقيتَ أحـداً من أهل العلم قطّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدِّثين؟ قال: لا والله؛ قال: ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا والله؛ فقـال لمن حضر: هذا أبو الأصمعيّ، فأشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يَقُلْ لكم غداً أو بعده: حدّثني أبي أو أنشدني أبي؛ ففضَحه. قال الفضل: ثم مرض الأصمعيّ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ ٱنفرجت؛ فعـاده أبو رَبيعة، وكان يرغب في الأدب ويَبَرّ أهلَه؛ فقال له الأصمعيّ: أقرِضْني خمسة آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأيّ شيء تشتهي سوى هذا؟ فقـال: أشتهي أن تُهدِي اليّ فصّاً

(١) الجل للدابة: كالثوب للانسان تصان به.
(٢) اشتمل الرجل: تلفف بثوبه وأداره على جسده كله.
(٣) يسور: يثب ويثور.
(٤) القطامي: الصقر.
(٥) العارفة: المعروف.

حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرْداً حسناً وسرجاً مُحَلًّى؛ فقال: أفعل، وبعث بذلك اليه لمّا عاد الى منزله. وبلغ ذلكَ إسحاقَ فقال:

أليس من العجائب أنّ قِرداً أُصَيبِعَ باهلياً يستطيلُ
ويزعُم أنه قد كان يُفتي أبا عمرٍو[1] ويسأله الخليلُ[2]
إذا ما قال قال أبي عجبنا لِما يأتي به ولِما يقولُ
وما إن كان يَدري ما دَبيرٌ[3] أبوه إن سألتَ وما قَبيل
وَجلّله عطاءُ المُلكِ عاراً تزول الراسياتُ ولا يزول
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهدِي وبعضُ النصح أحياناً ثقيلُ
فقل لأبي رَبيعةَ إذ عصاني وجارَ به عن القصد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فاْحتسِبْها وضاع القَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَونِ زَيناً له في إثْره جَزَعاً صهيلُ
وأمّا الخمسةُ الآلافِ فاعلمْ بأنَّك غَبنَها لا تستقيلُ
وأنّ قضاءها فتعَزَّ عنها سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

حدّثني محمد بن مَزْيَد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خُوطُ بانٍ، أحسنُ مَن رأته عيني قطُّ، تَقدُمُ عِدّةَ وصائفَ بأيديهن المَذابُ[4] والمناديل ونحوُ ذلك، فنظرتُ اليها نظرَ دَهِشٍ وهو يَرمُقني. فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال: مالكَ يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك!

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والادب. مات سنة أربع وقيل: سنة تسع وخمسين ومائة.

(٢) هو الخليل بن أحمد اللغوي النحوي العروضي، الذي ابتدع علم العروض. مات سنة سبعين ومائة وقيل: سنة خمس وسبعين.

(٣) يقال: فلان لا يعرف ما قبيله وما دبيره: أي لا يعرف ما قدامه وما خلفه.

(٤) المذاب: جمع مذبة وهي ما يذب به كالمروحة.

فتلجلجتُ؛ فقال لي: رمتْك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك! فقلت: غيرُ ملوم؛ فضحك ثم قال: أنشدْني في هذا المعنى؛ فأنشدتُه قولَ المرّار:

أَلِكْني[1] اليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى ... بآية ما قالت متى هو رائحُ
وآيةِ ما قالت لهنّ عَشِيّةً ... وفي السِّتر حُرّاتُ الوجوه ملائحُ
تَخيّرْنَ أرماكُنّ فارمِينَ رميةً ... أخا أسدٍ إذ طرّحتْه[2] الطوارحُ
فلَبّسنَ مِسلاسَ الوِشاحِ كأنها ... مَهاةٌ لها طِفلٌ برُمّانَ راشحُ[3]

فقال له الواثق: أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ، إصنع فيها لحناً؛ فإن جاء كما نريد وأطرَبنا فالوصيفةُ لك؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنّيته إيّاه، فاصطبح عليه وشرب بقيّة يومه وليلته حتى سكِر، ولم يقترح عليّ غيرَه، وأنصرفتُ بالجارية.

حدّثني عمي قال حدّثني فَضْل اليزيديّ عن إسحاق قال:

دخلت على الواثق يوماً وهو خاثِرُ[4] النفس، فأخذتُ عوداً من الخزانة ووقفت بين يديه فغنّيته:

من الظباء ظباءٌ هَمُّها السُّخُبُ ... ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
أهوى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها ... وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يَغتذِينَ ولا يسكُنّ باديةً ... وليس يَعرِفن ما صَرٌّ[5] ولا حَلَبُ
وفي الذين غَدَوْا، نفسي الفداءُ لهم، ... شمسٌ تَبَرقعُ أحياناً وتَنتقِبُ
يا حسنَ ما سرَقتْ عيني وما انتهبتْ ... والعينُ تَسرِق أحياناً وتنتهب

---

(١) ألكني الى فلان: أبلغه عني وتحمل اليه رسالتي.

(٢) لعلها «طوّحته الطوائح». وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف ورمت به الحوادث.

(٣) قصر الرمان: بنواحي واسط القصب، وهي التي خربها الحجاج وسمي باسمها «واسط الحجاج». والراشح: الصغير اذا قوي ومشى مع أمه وسمى خلفها.

(٤) خاثر النفس: ثقيلها غير طيب ولا نشيط.

(٥) يروى: «ما ضرع».

إذا يد سَرَقت فالقطعُ يلزمها والقطعُ في سَرَق العينين[1] لا يجبُ

قال: فهشّ إليّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم. وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكَرْخيّ عن إسحاق، فذكر مثله؛ وقال فيه: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال:

كان إسحاق الموصليّ يدخل في مُبَطَّنة وطيلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذَن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداء وطيلَسان أسود؛ فتبسّم المأمون وقال له: ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة الف درهم حتى لا تغتمّ، وأمر بحملها اليه فحُملت.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عُبيد الله بن عبد الله قال حدّثني هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أبي خالد الأسلَميّ:

أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضّله ويعظّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفرِطاً، فقال: ما قولكم في رجل محدَث تَشبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنّى فيه ونَسبه اليه، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِن لما فعل أحد إلا من حصّل شعرَ ذي الرمّة كلّه ورواه؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال:

ومَدرَجةٍ[2] للريح تَيهاءَ لم تكن لِيَجشَمَها زُمّيلةٌ غيرُ حازمِ
يَضِلّ بها الساري وإن كان هادياً وتَقطَعُ أنفاسَ الرياح النواسمِ

(١) يروى: «في سرق بالعين».
(٢) المدرجة: الطريق. والتيهاء: المفازة التي لا يهتدى فيها. والزمّيلة: الضعيف الجبان.

تَعسَّفتُ أَفري جَوزَها(١) بشِمِلَّةٍ   بعيدةٍ ما بين القرا والمَناسمِ
كأنّ شِرارَ المَرْوِ(٢) من نَبذِها به   نجومٌ هوَتْ أُخرى(٣) الليالي العواتمِ

حدّثني عمي وأحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا فَضل اليزيدي عن إسحاق قال:

غنّيتُ المأمون يوماً هذين البيتين:

لأحسنُ من قَرْعِ المَثال ورجعِها   تَواتُرُ صوتِ الثغر يُقرَعُ بالثغرِ
وسكرُ الهوى أروى لعظمي ومَفصِلي   من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمرِ

فقال لي المأمون: ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن؟ الفراغُ والشباب والجِدَة.

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:

كان لإسحاق غلام يقال له فَتح، يستقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً؛ فقال إسحاق: قلت له يوماً: أيُّ شيء خبرُك يا فتح؟ قال: خبري أنه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك؛ قلت: وكيف ذلك؟ قال: أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء؛ فاستظرفتُ قوله وضحكتُ منه، ثم قلت له: فأيّ شيء تحبّ؟ قال: تُعتقني وتَهب لي البغلين أستقي عليهما؛ فقلت له: قد فعلت.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسَديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال:

كان لأبي البَصير الشاعر قِيانٌ، وكان يتكلّم في الغناء بغير علم ولا صواب فيُضحَك منه، فقال أبي فيه:

---

(١) جوز الشيء: وسطه ومعظمه. والشملة: الناقة السريعة. والقـرا: الظهر. والمناسم: الأخفاف.

(٢) المرو: حجارة بيض رقاق برّاقة.

(٣) ويروى: «احدى الليالي».

سكتُ عن الغناء فما أُمارِي بصيراً لا ولا غيرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجَنّ فيه نفسي كما قد جُنّ فيه أبو البصيرِ

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

نهاني الرشيدُ أن أغنّي أحداً غيرَه، ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أُغنّيه ففعل، واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذٍ بعَقِب علّة قد عُوفي منها وليس يشرَب؛ فقال لي الفضل: انصرفْ إليّ الليلة حتى أَهبَ لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إنّ الرشيد قد نهاني ألّا أغنّي إلا له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبري، وأنا متّهم عنده بالميل إليكم، ولست أتعرّض له ولا أعرّضك، ولم أُجبه . فلما نَكَبهم الرشيد قال : إيهِ يا إسحاق، تركتني بالرَّقة وجلستَ ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنّي ما جالستُه قطُّ إلا على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعني قطّ أغنّي إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَن في الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدّثنه بمثل ما ذكرتُه له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه . فلما دخلت عليه ضحِك إليّ ثم قال : قد سألتُ عن أمرك فعرفتُ منه مثل ما عرّفتني، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل .

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول : الإسناد قيدُ الحديث؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له، فسئل عن إسناده، فقال : هذا من المُرسَلاتِ عُرفاً .

حدّثني الصوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون عن أبيه ، وحدّثني عمي عبد الله ابن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :

أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الحجناء نُصَيبٍ مولى المهديّ فيهم :

صوت

عند الملوكِ مَضَرَّةٌ ومنافــعٌ   وأرى البرامِكَ لا تَضُرُّ وتنفعُ
إنْ كان شرٌّ كان غـيرُهم له   أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمـعُ
إنَّ العروقَ إذا استسرَّ[1] بها الثرَى   أَشِرَ[2] النباتُ بها وطابَ المَزرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من امرئٍ أعراقَه   وقديمـه فانظر الى ما يصنعُ

قال فقال: كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ، قد كنّا وصلناه بثلاثين ألف درهم، وإذا نُجدِّد له الساعةَ صلةً له ولك معه لحفظك الأبياتَ، فوصلنا بثلاثين ألفَ درهم.

وأخبرني الصوليّ قال حدّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال:

عتَبَ المأمونُ على إسحاق في شيء؛ فكتب اليه رُقعةً وأوصلها اليه من يده؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه:

لا شيءَ أعظمُ من جُرْمي سوى أملي   لحسنِ[3] عفوكَ عن ذنبي وعن زَلَلي
فإنْ يكن ذا وذا في القَدْرِ قد عَظُما   فأنت أعظمُ من جُرمي ومن أملي

فضحِكَ ثم قال: يا إسحاقُ، عذرُكَ أعلى قدراً من جُرمك، وما جال بفكري، ولا أخطِرْتُهُ بعد انقضائه على ذكري.

حدّثني عمي قال حدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال:

---

(١) استسر: خفي.

(٢) أشر النبات: مرح وطال.

(٣) يروى: «وحسن...».

خرجنا مع الواثق الى القاطول(١) للصيد، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنِّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلُّويه ومُخارق وعَقيد، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأخرجه معه؛ فتصيَّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً، ثم أمر بالبُكور الى الصَّبوح فباكرْنا واصطبحنا. فغنّى عمرو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصليّ:

صوت

باوتُ أمورَ الناس طُرًّا فأصبحتْ مُذَمَّمةً عندي بَراءٌ من الحمدِ
وأصبح عنـدي من وَثِقتُ بغَيْبه بَغيضَ الأيادي كلُّ إحسانه نَكْدُ(٢)

— ولحنه خفيفُ رمَلٍ بالوسطى — فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غيَّره. فقال الواثق لإسحاق: أتعرف هذا اللحنَ؟ فقال: نعم، هذا لحنُ أبي ولكنه مما زعَم إبراهيمُ بن المهديّ أنه جَندَره وأصلحه فأفسده ودَمَر(٣) عليه؛ فقال له: غنّه أنت، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدًّا؛ فغمّ ذلك عمروَ بن بانة فقال لإسحاق: أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهديّ حتى تقول هذا فيه! قال: لا والله ما أنا مثله، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه، وليس هذا مما نحن فيه؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي، لا قمتَ بأداء غناء فضلاً عن أن تميّز بين المحسنين؛ وإلّا فغنِّ أيَّ صوت شئت مما أخذتَه عنه وعن غيره كائناً مَن كان، فإن لم أوضح لك ولمن حضر أنه لا يَسلَم لك صوت من نقصانِ أجزاء وفساد صنعةٍ فدمي به رهنٌ؛ فأساء

---

(١) القاطول: اسم نهر يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، حفره كسرى أنوشروان العادل. وهو اسم نهر آخر أيضاً كان حفره الرشيد في موضع «سر من رأى» قبل أن يعمرها المعتصم، وكان يأخذ من دجلة أيضاً.

(٢) النكد: قلة العطاء وألا يهنأه من يعطاه. وفي هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الرويّ.

(٣) يقال: دمر عليه (من باب نصر) دمراً ودموراً اذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ.

عمرو الجوابَ وأغلظ في القول ؛ فأمضَّه الواثق وشتمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم . فلمَّا كان من الغد دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده :

وَمجلسٍ باكرْتُه بُكورَا ... والطيرُ ما فارقتِ الوُكورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا ... على غَديرٍ لم يكن دُعْثُورا (١)
لم تَرَ عيني مثلَه غَديرا ... يجري حَبابُ مائه مَسجُورا (٢)
عَلى حصًى تَحسَبُه كافورا ... تسمع للماء به خَرِيرا
يَنسِجُ أعلى مَتْنِه سطورا ... نسيمُ ريحٍ قد وَنَتْ فُتورا
حتى تَخالَ متنَه حَصيرا ... والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا
وأمروا الساقيَ أن يُديرا ... كأسَهمُ الأصغرَ والكبيرا
وأعملوا البَمَّ معاً والزّيرا ... وجاوبتْ عيدانُهم زَميرا
وقرّبوا المُغنِّيَ النِّحريرا ... مُقدَّماً في حِذْقه مشهورا
فهم يطيرون به سرورا ... ولا ترى في شُربهم تقصيرا
ولا لِصفْوِ عيشهم تكديرا ... ولا لِخُلْقٍ منهمُ نظيرا
إلّا رُجَيلاً منهمُ سِكّيرا ... مُعَرْبِداً مُوَضَّحاً شِرّيرا
مُدّعِياً للعلم مستعيرا ... يروم سعياً كاذباً مغرورا
وأن يكون عالماً بصيرا ... مُفضَّلاً بعلمه مذكورا
غمزْتُه ولم يكن صَبورا ... فعاذ منّي هارباً مذعورا
بمَعْشرٍ تَحسَبُهم حَميرا ... أشدَّ منهم حُمُقاً كثيرا
لا ينطِقون الدهرَ إلّا زُورا ... حتى إذا كسَّرتُه تكسيرا
كالليث لمّا ضَغَمْ (٣) الخنزيرا ... ولّى انهزاماً خاسئاً مدحورا
معترفاً بذُلّه مقهورا ... وكنتُ قِدْماً ضيغماً هَصُورا

---

(١) الدعثور : الحوض المثلم، وقيل : هو الحوض الذي لم يتنوّق في صنعته ولم يوسع .

(٢) المسجور : المنظوم المترسل .

(٣) ضغمه : عضه ملء فيه .

معتلياً لِقِرْنِـه عَقُـورا وما أخـاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا قد عَزَّ مَن كان له نصيرا
إمامُ عَـدلٍ دَبَّرَ الأمورا برأيه ولم يُرِدْ مُشـيرا
ترى من الحقِ عليـه نورا تَقَبَّلَ(١) المهـدِيَّ والمنصورا
وَجدَّه الأدنى تُقًى وخيرا ورَّثـه المعتصمُ التدبـيرا
فأصبح الملـك به مُنـيرا وأصبح العـدلُ به منشورا
قد أَمِنَ الناسُ بـه المحظورا إذا عـلَا المِنبَرَ والسريرا
رأيت بدراً طالعاً منـيرا بحراً ترى الغنيَّ والفـقيرا
يرجون منـه نائلًا غزيرا واللهِ لا زلتُ له شكورا
لا جاحِدَ النُّعمَى ولا كَفُورا وكنتُ بالشكر له جديرا

أشعار في الفروسية :

حدّثني الصوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاقَ يقول :

أنشدني الأصمعيّ قولَ الأعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا أو تـنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت له : أيّ شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ — وكان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا — فأنشدني لرَبيعة بن مَقروم الضَّبّي :

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها(٢) بسَليم أَوْظِفَـةِ(٣) القوائم هَيكلِ

---

(١) تقبل الرجل أباه : أشبهه .

(٢) أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس، ألا ترى أنه قـال : يوم طرادها . والطراد من الفرسان : حمل بعضهم على بعض .

(٣) الأوظفة : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر من الفرس . ولكل ذي أربع ثلاثة مفاصل في رجليه : الفخذ والساق والوظيف ثم الحافر او الخف او الظلف . وفي يديه ثلاثة مفاصل : العضد والذراع والوظيف ثم الحافر او الخف او الظلف . والهيكل : الضخم .

فدعَوا نَزالِ (١) فكنتَ أوّلَ نازل　　وعــلامَ أركبُه إذا لم أنزِلِ

حدّثني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعــد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال :

اجتمعنا يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر، ودخلنا ودخل الينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظُ تُغنّينا وقد قامت الصلاة، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومَن عندكم ؟ فأخــبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرّفوها من أنا فيُخرجها التصنّع لي والتحفّظ منّي عن طبعها، ولكن دعوها وهواها حتى ننتفع بها ؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أوّلاً، وابتدأت وغنّت — والصنعة لفُلَيح بن أبي العَوراء، ولحنُه رمَلٌ . هـكذا أخبرنا إسحاق أنّ الغناء لفليح — :

صوت

إنّي تَعلّقتُ ظبياً شادناً خَرِقاً　　عُلِقتُــه شِقوةً منّي وما عَلِقا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب :

سأشرب ما دامت تغنّي ملاحظُ　　وإن كان لي في الشَّيب عن ذاك واعِظُ
ملاحظُ غنّينــا بعيشك وليكن　　عليك لما أستحفظتُه منك حافظُ
فأقسم ما غنّى غِنــاءك مُحسِنٌ　　مُجيدٌ ولم يَلفِظ كلَفظك لافظُ
وفي بعض هذا القولِ منّي مَساءةٌ　　وغيظٌ شديد للمغنّين غــائظُ

---

(١) نزال : بمعنى انزل وهو معدول من المنازلة لا بمعنى النزول الى الارض .

حدث الرشيد عن البرامكة :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق قال :

قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيء يتحدّث الناس ؟ قلت : يتحدّثون بأنك تَقبِضُ على البرامكة وتُولّي الفضلَ بن الرّبيع الوزارة ؛ فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك وَيلك ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا ؛ فكان أوّل شيء غنّيته :

صوت

إذا نحن َصدَقْناكَ فضرّ عندك الصدقُ
طلَبنا النفعَ بالباطِلِ إذ لم يَنفع الحقُّ
فلو َقدّم صبّاً في هواه الصبرُ والرِّفقُ
لقُدّمتُ على الناس ولكنّ الهوى رزقُ

— في هذه الأبيات خفيفُ رمَلٍ بالوسطى يُنسب الى إسحاق والى ابن جامع ، والصحيح أنه لإسحاق . وقيل : إن الشعر لأبي العتاهية — . قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صِرتَ حَقُوداً .

أخبرني الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ على المعتصم يوماً بسُرَّ من رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارقٌ ؛ فغنّاه مخارق صوتاً فلم ينشَط له، ثم غنّاه عَلّويه فأطربه . فلما رأيتُ طرَبه لغناء عَلّويه دون غناء مُخارق اندفعتُ فغنّيته لحني :

صوت

تَجَنَّبَتَ ليلى أن يَلِجَّ بك الهوى   وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعَلّويه بخمسائة دينار ، ولم يأمر لمخارق بشيء .

نسبة هذا الصوت

صوت

تَجَنَّبَتَ ليلى أن يَلِجَّ بك الهوى   وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ
ألا إنّمـا غادرتِ يا أمَّ مالكٍ   صَدًى أينا تَذهَبْ به الريحُ يَذهَبِ

الشعر للمجنون . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ باطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وغنّى أبنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافها اليها ليسا من هذا الشعر ، هَزَجاً بالبنصر . والبيتان المضافان :

بَرَى اللّحمَ عن أحناء عظمي ومَنكِبي   هَوًى لسُلَيمى في الفؤاد المعذَّبِ
وإني سعيدٌ أن رأتْ لـكَ مرّةً   من الدّهر عيني منزلًا في بني أبي

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال :

غنّى عَلّويه بين يدَي الواثق يوماً :

صوت

خليلٌ لي سأهجُرُه   لذنبٍ لستُ أذكرُهُ
ولكنّي سأرعـاه   وأكتُمه وأستُرُهُ
وأظهِـرُ أنني راضٍ   وأسكتُ لا أخبّرُهُ

لكي لا يعلمَ الواشي ... بما عندي فأُكْبِرُهُ

— الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى — قال: فطرِب الواثقُ طرباً شديداً، وآستحسن اللحن، وأمر لعَلّويه بألف دينار؛ ثم قال: أهذا اللحنُ لك؟ قال: لا يا أميرَ المؤمنين، هو لهذا الهِزَبْرِ (يعني إسحاق) — قال: وكان إسحاقُ حاضراً — فضحك الواثق وقال: قد ظلمناه إذاً، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم.

أخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه عن أبيه قال:

كان إسحاق عند الفتح بن الحجّاج الكَرْخيّ وعَلّويه حاضرٌ؛ فغنّاه عَلّويه:

صوت

عَلِقتُكِ ناشئاً حتى ... رأيتِ الرأسَ مُبيَضّا
عـلى يُسْرٍ وإعسارٍ ... وفَيْضِ نوالِكم فَيْضا[1]
ألا أُحبِبْ بأرضٍ كنـ ... ـتِ تحتلّينها أرضا
وأهلكِ حبّذا ما هم ... وإن أبدَوْا ليَ البُغضا

— الشعر لآبن أُذَينةَ. والغناء لآبن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر، عن إسحاق أيضاً. وفيه للأبجر ثقيلٌ أوّلُ، ولإبراهيمَ الموصليّ رَمَلٌ، جميع ذلك عن الهشاميّ —. قال: فغنّاه إيّاه الثقيل، ثم غنّاه هَزَجاً؛ فقال له الفتحُ: لمَنِ الثقيلُ؟ فقال: لآبن سُرَيج، قال: فلمَنِ الهَزَجُ؟ قال: لهذا الهِزَبْرِ (يعني إسحاقَ)؛ فقال له الفتحُ: وَيلك يا إسحاق! أتُعارضُ ثقيلَ آبن سُرَيج

(١) ويروى: «وقبض نوالكم قبضا».

بهزجك ؟! قال : فقبض إسحاقُ على لحيته ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتني إلا بتحريكه الذَّقَنَ .

أخطأ المعتصم في شعر لأبي خراش فصوّبه له :

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني إسحاق قال :

دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعب ، واستدناني فدنوتُ منه ، واستدناني فتوقفتُ خوفاً من أن أكون مُوازياً في المجلس لإسحاق ابن إبراهيم ؛ ففَطِن المعتصمُ فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ ، وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ الى قول أبي خِراش الهُذَليّ .

حَمِدتُ إلهي بعد عُروةَ إذ نجا ... خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ [1]

فأنشدها المعتصمُ الى آخرها ، وأنشد فيها :

ولم أدرِ مَن ألقَى عليه رداءه ... سوى أنه قد حُطّ [2] عن ماجدٍ محضِ

والروايةُ « قد بُزّ عن ماجد محض » ؛ فغلطتُ وأسأتُ الأدبَ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكُتّاب وما أُخذ عن المعلّم ؛ والصحيح « بُزّ عن ماجد محض » ؛ فقال لي : نعم صدقتَ ، وغمزني بعينه ، يحذّرني من إسحاق ؛ وفَطِنتُ لغَلَطي فأمسكتُ ، وعلمتُ أنه قد أشفق عليّ من بادرة تبدُر من إسحاق ؛ لأنه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيل حبسَه ، كائناً من كان ؛ فنبّهني — رحمه الله — على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهتُ .

---

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبي خراش الهذلي يرثي بها أخاه عروة بن مرة ويذكر نجاة خراش ابنه . وكان من أمرهما أن خرجا مغيرين فأسرا فقتل عروة، وقبض لخراش من ألقى عليه رداءه وهيأ له أسباب الهرب .

(٢) رواية الحماسة : « على أنه قد سل » .

أخبرنا يحيي بن عليّ بن يحيي قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة :

كنّا عند المأمون ، فقال : ما أقلّ الَهزَج في الغناء القديم ! وقال إسحاق : ما أكثره ! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً في الَهزَج القديم . فقلت لأصحابي : هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية !

أخبرنا يحيي قال حدّثنا أبي عن إسحاق قال :

قال لي العبّاس بن جَرير ، قاتَلك الله ! مذكَّرُ فِطنةٍ ، ومؤنّث طبيعة ، ما أمكرك !

حدّثنا يحيي بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال :

أنشدتُ بعضَ الأعراب شعراً أقول فيه :

أجرَتْ سوابقُ دمعِك الُمهراقِ لمَّا جرى لك سانـحٌ بفِراقِ
إنّ الظعائنَ يومَ ناصِفـةِ(١) اللِّوَى هاجتْ عليـك صبابةَ الُمشتاقِ
لم أنسَ إذ ألمَحنَنا في رِقبةٍ منهنّ بيضَ ترائبٍ وتَراقِ
وأشرْنَ إذ ودَّعنَنا بأناملٍ حُمْرٍ كهُدّاب الدِّمَقسِ رِقاقِ
ورَمَتك هندٌ يوم ذاك فأقصَدَتْ(٢) بأغرَّ عَذْبٍ باردٍ بَرّاقِ
وتنفّست لمَّا رأتك صبابةً نَفَساً تصعَّد في حَشًى خَفّاقِ
ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسلَّماً حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشّاقِ
إنّ الخلافة أثبتتْ أوتادُها لمَّا تحمّلهـا أبو إسحـاقِ
مَلِـكٌ أغرُّ يلوح فوق جَبينه نورُ الخلافة ساطـعَ الإشراقِ

---

(١) الناصفة : مجرى الماء، وقيل : الرحبة في الوادي . وقد ذكر ياقوت في الكلام على ناصفة : ناصفة الشجناء، وناصفة العمقين وغيرهما، وقال : إنها مواضع، ولم يذكر ناصفة اللوى هذه .

(٢) أقصدت : أصابت ولم تخطئ .

كُسِيَ الجلالَ مع الجمال وزانَه هَدْيُ[1] التُقى ومكارمُ الأخلاقِ
صَحَّتْ عروقُك في الجياد وإنما يجري الجوادُ بصحّة الأعراقِ
ذُخر الملوكُ فكان أكثرُ ذُخرهم للمُلك ما جمعوا من الأوراقِ[2]
وذَخرتَ أبناء الحروب كأنهم أُسدُ العَرين على مُتون عِتاقِ
كم من كريمةِ مَعشرٍ قد أنكحتْ بسيوفهم قَسْراً بغير صَداقِ
وعزيزةٍ في أهلها وقَطينها[3] قد فارقتْ بَعلًا بغير طلاقِ

قال فقال لي : أفليتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له : وما أفليت ؟ قال : رَعَيتَ فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك .

ذعر المغنين منه :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدِّثني عن إسحاق كيف كان يصنع اذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهِبٌ وحلوقكم ليس مثلُها في الدنيا ؟ فقال : كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب .

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثنا إسحاق قال :

دخلتُ على الفضل بن الرَّبيع فقال لي : يا إسحاق، كَثُر والله شَيبُك ! فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف :

الشيبُ إن يَظهرْ فإنّ وراءه عمراً يكون خِلالَه مُتنفَّسُ
لم يَنتقِصْ مني المشيبُ قُلامةً ولَنحنُ حين بدا ألبُّ وأكيسُ

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً، أكتُبها لي لأتسلّى بها .

(١) الهدي : الطريقة والسيرة .
(٢) الاوراق : الدراهم .
(٣) القطين هنا : الإماء والحشم .

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال :

قال الفضل بن يحيى لأبي : ما لي لا أرى إسحاق، عرِّفني ما خبرُه؟ فقال : خير . ورأى في كلامه شيئاً يُشكِك، فقال : أعليلٌ هو؟ فقال : لا، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجبه نافذٌ الخادم ولحِقتْه جَفوةٌ؛ فقال له : فإن حَجَبه بعدها فَلْيَنِكْهُ . فجاءني أبي فقال لي : إلقَه، فقد سأل عنك؛ وخبَّرني بما جرى . وجئتُ فحُجِبتُ أيضاً؛ وخرج الفضل ليركبَ؛ فوثبتُ اليه برُقْعة وقد كتبتُ فيها :

جُعِلتُ فداءك من كلّ سوء الى حسن رأيك أشكو أُناسا
يحولون بيني وبين السلام فما إن أُسلِم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرَك في نافذٍ فما زاده ذاك إلا شِماسا

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب، ثم قال : أوَ قد فعلتَها يا فاسق؟! فقلت : لا والله يا سيِّدي، وإنما مَزَحتُ؛ فخجِل نافذٌ خجلًا شديداً، ولم يَعُدْ بعد ذلك لمساءتي .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال :

ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال : تعالَوا حتى نقولَ ما يصنع في هذا الوقت؛ فقال قوم : يلعب بالنَّرْد، وقال قوم : يغنّي؛ فبلغتني النوبة، فقال : قل يا إسحاق؛ قلت : إذاً أقول وأُصيب؛ قال : أتعلم الغيبَ؟ قلت : لا، ولكنّي أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته؛ قال : فإن لم تُصِبْ؟ قلت : فإن أصبتُ؟ قال : لك حُكمك، وإن لم تُصِبْ؟ قلتُ : لك دمي؛ قال : وجَبَ؛ قلت : وجَبَ؛ قال : فقل؛ قلت : يتنفّس؛ قال : فإن كان ميتاً؟ قلت : تحفظ الساعةُ التي تكلّمتُ فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتَني؛ فقال : قد أنصفتَ؛ قلت : فالحُكم؛ قال : احتكم ما شئتَ؛ قلت : ما حُكمي إلّا رضاك

يا أمير المؤمنين؛ قال : فإنّ رضاي لك، وقد أمرتُ لك بمائـة الف درهم، أترى مَزيداً؟ فقلت : ما أَولاكَ بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال : فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيداً؟ قلتُ : ما أحوجني الى ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال : فإنها ثلثمائة الف، أترى مزيداً؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال : يا صفيقَ الوجه! ما نَزيدك على هذا شيئاً.

مدح سفينة للأمين :

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيوب قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال :

عمِل محمدُ[1] المخلوعُ سفينةً فأُعجب بها، وركِب فيها يريد الأنبارَ. فلمّا أمعنَ وأنا مُقبلٌ على بعض أَبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق، فوثبتُ فدنوتُ منه؛ فقال لي : كيف ترى سفينتي؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين، عمّرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاء وقال لي : قـلْ فيها أبياتاً، فقلت، وخرج فقمتُ بالأبيات؛ فأشتهاها جداً وقال لي : أحسنتَ يا إسحاق، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وسّع الله عليك! فضحك ودعا بها على المكان. ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ في شعر قلتُه وأنا عنده بسُرّ مَن رأى وقد طال مُقامي وأشتقت الى أهلي، وهو :

صوت

يا حَبّذا ريحُ الجنوبِ اذا بدتْ   في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ

(١) هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد، سمي المخلوع لان أهل مكة والمدينة وكثيراً من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان.

قد حُمِلتْ بردَ النّدى وتحمّلتْ عَبقاً من الجَنْجاثِ[١] والبَسباسِ

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «يا حبّذا ريحُ الجنوب»: «يا حبّذا ريحُ الشّمال»، ألم يكن أرقَّ وأعذى[٢] وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وَخامةً وأطيبَ للأنفس؟ فقلت: ما ذهب عليَّ ما قاله أميرُ المؤمنين، ولكن التفسيرَ فيما بعدُ؛ فقال: قل؛ فقلت:

ماذا تَهيج من الصّبابة والهوى للصّبِّ بعد ذهوله واليأسِ

فقال الواثق: إنما استطبتَ ما تجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ، واليهم اشتقتَ لا اليها؛ فقلت: أجلْ يا أمير المؤمنين؛ وقتُ فقبّلتُ يده؛ فضحك وقال: قد أذِنتُ لك بعد ثلاثة أيام، فامضِ راشداً؛ وأمر لي بمائة ألفِ درهم. لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الاول.

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال:

لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى؛ كانت له فُتوّةٌ وظَرفٌ وأدبٌ وحسنُ غناء وضربٌ بالطبل، وكان يأخـذ بأجزلِ حظٍّ من كل فنٍّ من الأدب والفتوّة. فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لي: إنه نائمٌ، فانصرفت؛ فلقيني جعفرُ ابن يحيى فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائمٌ؛ فقال: قِفْ مكانَك؛ ومضى الى دار أمير المؤمنين فخرج اليه الحاجب فأعلمه أنه نائم؛ فخرج إليّ وقال لي: قد نام أمير المؤمنين، فسِرْ بنا الى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيّةَ يومنا وتغنّيني وأغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا؛ قلت نعم، فصرنا الى منزله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعِمنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لِتَبرُزنَ؛ فليس عنـدنا من تحتشِمنَ منه. فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلوق فتخلّق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنّيني وأغنّيه؛ ثم دعا الحاجب فتقدّم اليه وأمره بألا

---

(١) الجنجاث: شجر أصفر مرّ طيب الريح تستطيبه العرب وتكثر ذكره في أشعارها.

(٢) أعذى: أطيب.

يأذن لأحدٍ من الناس كلهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أَعلَمَه أنه مشغول؛ وأحتاط في ذلك وتقدّم فيه الى جميع الحُجّاب والخَدَم؛ ثم قال: إن جاء عبدُ الملك فأذَنوا له – يعني رجلًا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خَلَواته – ثم أخذنا في شأننا؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبة إذ رُفع السِّتر، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أقبل، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى. وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشُّف وفي الأمتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل، وكان أميرُ المؤمنين قد أجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه. فلمّا رأيناه مقبلًا، أقبل كلُّ واحد منّا ينظر الى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشقّ غيظاً. وفهم الرجلُ حالَنا، فأقبل نحوَنا، حتى اذا صار الى الرّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنسيتَه فرمى بها مع طَيلَسانه جانباً؛ ثم قال: أطعِمونا شيئاً؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً فطعِم، ثم دعا برِطل فشربه، ثم أقبل الى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضادَتَي[1] الباب ثم قال: اشركونا فيما أنتم فيه؛ فقال له جعفر: ادخل؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلوقٍ فلبس وتخلّق، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرب عدّة أرطال، ثم أندفع ليغنّينا، فكان والله أحسنَنا جميعاً غناء. فلما طابت نفسُ جعفر وسُرّي عنه ما كان به التفت اليه فقال له: ارفع حوائجك؛ فقال: ليس هذا موضعَ حوائجَ؛ فقال: لَتفعلنّ، ولم يزل يُلحّ عليه حتى قال له: أمير المؤمنين عليّ واجدٌ، فأُحِبّ أن تترضّاه؛ قال: فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك، فهاتِ حوائجك؛ فقال: هذه كانت حاجتي؛ قال: ارفع حوائجك كما أقول لك؛ قال: عليّ دَينٌ فادحٌ؛ قال: هذه أربعة آلاف الف درهم، فإن أحببتَ أن تقبضها فاقبضها من منزلي الساعة، فإنه لم يمنعني من إعطائك إياه إلا أنّ قدرَك يجلّ على أن يصلك مثلي، ولكنّي ضامنٌ لها حتى تُحملَ من مال أمير المؤمنين غداً؛ فسَلْ أيضاً؛ قال: ابني، تُكلّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوّه بأسمه؛ قال: قد ولّاه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه ابنته العاليةَ ومهرها ألفَي ألفِ درهم. قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد

---

(١) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه.

سَكِر الرجل (أعني جعفرا). فلما أصبحتُ لم تكن لي هِمّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكَّر، ووجدتُ في الدار جَلَبة، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دُعِي بهم، ثم دُعِي بعبد الملك بن صالح وابنه فأُدخِلا على الرشيد؛ فقال الرشيد لعبد الملك: إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضِيَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف الف درهم، فاقبِضها من جعفر بن يحيى الساعة. ثم دعا بابنه فقال: اشهدوا أني قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفَيْ ألفِ درهم من مالي ووليته مصر[1]. قال: فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر؛ فقال: بَكَّرتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منّا وما كنّا فيه حرفاً حرفاً، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنع؛ فعَجِب لذلك وسُرّ به؛ ثم قلت له: قد ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً؛ فقال: ما هو؟ فأعلمتُه؛ قال: أَوْفِ له بضمانك، وأمر بإحضاره؛ فكان ما رأيتَ.

أخبرني عمي قال حدّثني فَضْل اليزيديّ عن إسحاق قال:

لمّا صنعتُ لحني في:

هل الى نظرة إليكِ سبيلُ

ألقيتُه على عَلّويه، وجاءني رسول أبي بطبَق فاكهة باكُورة؛ فبعثتُ اليه: برّك الله يا أبةِ ووَصلكَ! الساعةَ أبعث اليك بأحسنَ من هذه الباكورة؛ فقال: إني أظنّه قد أتى بآبِدةٍ[2]؛ فلم يلبث أن دخل عليه عَلّويه فغنّاه الصوتَ؛ فعَجِب منه وأُعجب به، وقال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدةٍ. ثم قال لولده: أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبّتي له، والله لو كان ابنَ غيري لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابني؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلا به. وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه في:

(١) الذي ذكر في كتب التاريخ أن الذي ولي مصر من قبل الرشيد هو عبد الملك بن صالح ولم يدخلها وانما استخلف عليها عبد الله بن المسيب الضبي.

(٢) الآبدة: الغريبة.

غَيضنَ من عَبَراتهن وقلن لي

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه .

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال :

سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ، فقال : دَعني منه، فليست له رواية ولا دِراية ولا حكاية .

رثاؤه هشيمة الخمارة :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق قال :

كانت هُشَيمةُ الخمّارة جارتي، وكانت تخصّني بأطيب الشراب وجيّده؛ فماتت فقلت أرثيها :

أضحتْ هُشَيمةُ في القبور مقيمةً وخلتْ منازلُها من الفِتيانِ
كانت إذا هجَرَ المحبَّ حبيبُه دَبّت له في السرّ والإعلانِ
حتى يَلينَ لما تُريد قيادُه ويصيرَ سيّئه الى الإحسانِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سألني إدريسُ بن أبي حَفصة حاجةً، فقضيتُها له وزدت فيما سأل؛ فقال لي :

إذا الرجالُ جَهلوا المكارما كان بها ابنُ الموصليّ عالما
أبقاك ذو العرش بقاءً دائما فقد جُعلتَ للكرام خاتما
إسحاقُ لو كنتَ لقِيتَ حاتما كان نَداه لنَداك خادما

قال حمّاد : وقال لي أبي : كان إدريسُ سخيّاً من بين آل أبي حَفصة؛ فنزل به ضيفٌ، فتنمّرت امرأتُه عليه؛ فقال لها :

مِن شرِّ أيامك اللاتي خُلقتِ لها … إذا فقدتِ نَدَى[١] صوتي وزُوّاري

أخبرني محمد بن مَرْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمد بن أبي عُيَينة، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ من يُعاديني؛ فسألوا ابن أبي عُيَينة أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه الى الخُلفِ؛ فكتب إليّ:

يا مَليئاً بالوعد والخُلف والمَطْـــل بَطيئاً عن دعوة الأصحابِ
لَهِجاً بالأعراب إنّ لدينـــا بعضَ ما تشتهي من الأعراب
قد عرَفنا الذي شُغِلت به عنّا وإن كان غيرَ ما في الكتاب

قال: فكتبتُ الى الذي حمل ابن أبي عيينة علـى هذه الأبيات — قال حمّاد: وأظنه إبراهيم بن المهديّ —:

قد فَهِمتُ الكتابَ أصلحك الله وعندي عليـه ردُّ الجوابِ
ولعَمْري ما تُنصفون ولا كا … ن الذي جاء منكمُ في حسابي
لستُ آتيك فاعلمنّ ولا لي … فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتابِ

قال حمّاد: قال أبي: وكتبت الى عليّ بن هشام وقـد اعتللتُ أياماً فلم يأتني رسوله:

أنا عليلٌ منـذُ فارقتَني … وأنت عمّن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا … فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ اليه رُقعتي ركب إليّ وجاءني عائداً.

أخبرني محمد بن مَرْيَد قال حدّثنا حمّاد قال:

---

(١) ندى الصوت: صداه.

لمّا خرج أبي الى البصرة خَرْجته الأولى وعاد، أنشدني في ذلك لنفسه :

صوت

ما كنتُ أعرف ما في البين من حَزَنٍ حتى تَنادَوْا بأن قد جيء بالسُّفُنِ
قامتْ تودّعني والعينُ تَغلبها فجَمْجَمتْ[1] بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت عليّ تُفدّيني وتَرْشُفُني كما يَميل نسيمُ الرّيح بالغُصُنِ
وأعرضت ثم قالت وهي باكيةٌ يا ليت معرفتي إيّاك لم تكنِ
لمّا افترقنا على كُرْهٍ لفُرقتها أيقنتُ أنّي رهينُ الهمّ والحَزَنِ

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدني شَدّاد بن عُقبة لجميل :

قِفي تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخطّةِ التي تُطيلين تحويفي بها ووعيدي
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضينا بحكمٍ منكِ غيرِ سديدِ

قال : فأنشدتُ الزُّبير بن بَكّار هذين البيتين، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُها غُنْمًا . وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً :

بُثَيْنَ سَليني بعضَ مالي فإنّما يُبَيَّن عند المال كلُّ بخيلِ
فإني وتَكراري الزيارةَ نحوكم لَبَيْنَ يَدَيْ هجرٍ بُثَيْنَ طويلِ

قال أبي : فقلت لشدّاد : فهلا أزيدك فيها؟ فقال : بلى؛ فقلت :

فيا ليتَ شِعري هل تقولين بعدنا إذا نحن أزْمَعنا غداً لرحيلِ
ألا ليت أيّاماً مَضَيْنَ رواجعٌ وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميلِ

---

(١) جمجم الكلام : لم يبينه .

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ! وإن هذا الشعر لضائعٌ ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : نفيتَه عن نفسك بتسميتك جميلاً فيه، ولم يَلحق بجميل، فضاع بينكما جميعاً .

عند إسحاق المصعبي :

حدّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال :

دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهما من المغنّين؛ فبينا هم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال : أجبْ ؛ فقال : السمع والطاعة ؛ ودعا بثيابه فلبسها . ثم التفت الى محمد بن راشد الخَناق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس، فاحفظ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان ، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني ؛ فقال : نعم ، أصلح الله الأمير . ومضى الى المأمون ، فأمره بالشخوص الى بابك[1] من غدٍ ، وتقدّم اليه فيما يحتاج اليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يا محمد، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به اليك ؟ قال : قد أحكمتُه أعزّك الله ؛ ثم أخبره بما شرب القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ مما حفظه له حتى يَستوفيَ ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأصواتَ . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد عملتُ في مُنصرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها؛ فقلت : هاتِها أعزّ الله الأمير ؛ فأنشدني :

صوت

أَلا مَنْ لقلبٍ مُسلَمٍ للنوائبِ أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ

(١) هو بابك الخرّميّ، وكان قد خرج على دولة بني العباس، وظهر بأذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه اسحاق وصلبا .

تَبَيّنَ يومَ البَينِ أنَّ اعتزامه ... على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

صوت

حرامٌ على رامي فؤادي بسهمه ... دمٌ صبَّه بين الحشى والترائبِ
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه ... فهل بدَمي[1] من ثائرٍ أو مُطالبِ

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ ؛ فقال لي : فاصنع فيه ؛ فصنعت فيه لحناً ؛ وأحضرني وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛ وقال : إنما أردتُ أن أتسلّى به في طريقي وتُذكّرني به الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته . فكان كلما ذكرَ أتاني بِرُّه ، إلى أن قدم ، عدّةَ دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر ، والذي وجدتُ فيه لعبد الله بن طاهر خفيفُ رمَلٍ ، ذكره ابنه عُبيد الله عنه . ولمخارق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

لما كفّ بصره :

حدّثني جَحظة قال حدّثني أبو عبد الله محمد بن حمدون قال :

سأل المتوكل عن إسحاق الموصليّ ، فعرف أنه قد كُفّ وأنه في منزله ببغداد؛ فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قُدّامَ السرير، وأعطاه مِخدّة، وقال له : بلغني أن المعتصم دفع اليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم؛ فأمر أن يُسقى؛ فلما شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمد عوداً فجيء به؛ فاندفع يغنّي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

(١) ويروى : « فهل يدري ذا من ثائر أو مطالب » .

صوت

ما علّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ[١] تَغرورِقان بدمعٍ ثم تَنسكِبُ

– قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ على الخَيْر[٢] إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل – فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكل : يأبنَ حمدون ، أتحسن أن تغنّيني هذا الصوت ؟ فقلت : نعم ؛ قال : غنّه ؛ فترنّمت به ؛ فقال إسحاق : من هذا الذي يَحكيني ؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون ؛ فقال : وَدِدتُ أنه يُحسن أن يَحكيني ؛ فقلت له : أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل الى رَقّةِ[٣] بُوَصرَ ؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها ، فغنّى إسحاقُ :

صوت

أأن هتفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى على غُصْنٍ غَضِّ الشباب من الرَّندِ
بكيتَ كما يبكي الحزين صبابةً وشوقاً وتابعتَ الحنينَ الى نجدِ

فضحك المتوكل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فَعلتك بالواثق لمّا غنّيته بالصالحيّة[٤] :

طَربتُ الى الأُصيبِيَة الصِّغارِ وذكّرني الهوى قربُ المزارِ

فكم أعطاك لمّا أذِن لك في الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم ؛ فأمر له بمائة

(١) يقال : عيناه تدمعان بأربعة، أي تسيلان بأربعة آماق، وذلك أشدّ البكاء .

(٢) الخير : اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعة آلاف الف درهم .

(٣) الرقة : كل أرض الى جنب واد ينبسط عليها الماء .

(٤) الصالحية : قرية قرب الرها من أرض الجزيرة، اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمي .

ألف درهم ، وأذِن له بالانصراف الى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به ، لأن إسحاق توفّي بعد ذلك بشهرين .

حدّثني جَحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت على الواثق أستأذِنه في الانحدار الى بغدادَ فوجدته مصطبحاً ؛ فقال : بحياتي غنِّ :

صوت

ألا إن أهلَ الدار قد ودّعوا الدارا   وإن كان أهلُ الدار في الحيّ أجْوارا [1]
وقد تركوا قلبي حزيناً متيّاً   بذكرهم ، لو يَستطيع لقد طارا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إياه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر لي بثلاثين ألفَ درهم وأذِن لي فانصرفت ؛ ثم كان آخرَ عهدي به . الشعر لمطيع بن إياس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عبد الله ابن الفرج قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال :

كنت في بيتي وعَلّويه يُغنّيني :

صوت

أعرَضْنَ من شَمَطٍ [2] في الرأس لاح به   فهُنّ عنه إذا أبصرْنَه حِيدُ
قد كُنّ يَعهدْنَ منّي مَنظراً حَسَناً   وجُمّة [3] حَسَرتْ عنها العناقيدُ

(١) الأجوار : جمع جار وهو الذي يجاورك في دار أو غيرها .

(٢) الشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده .

(٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً؛ فبعثت اليه بدَن مع غلام لي؛ فلما توسّط الغلامُ به الجسرَ زُحِم فكُسِر؛ فرجع الغلام الى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسألتي التجافي عنه؛ فكتب إليّ:

يا أحمد بن معاويَهْ إنّي رُميت بداهيَهْ
أشكو اليك فأشكِني كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
يا ليتها سلمتْ وكا ن فداءها ابنُ الزانيَهْ

فبعثتُ اليه بأربعة أدنان، وأعتقتُ الغلام بشفاعته في أمره.

أخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيَد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق الموصليّ قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله:

لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ:

صوت

قِفْ بالديار التي عفا القِدَمُ وغيّرتها الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّا وقفْنا بها نُسائلها فاضتْ من القوم أعيُنٌ سُجُمُ
ذِكراً لعيشٍ مضى إذا ذكرت ما فات منه فذكره سَقَمُ
وكلُّ عيش دامتْ غضارتُه مُنقلِعٌ مرّةً ومُنصرِمُ

— ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ — أعجب به المعتصم والواثق جميعاً؛ فقال له المعتصم: بحياتي ارْدُدْه على مخارق وعَلّويه والجماعةِ ليأخذوه عنك، وانْصَحْهم فيه؛ فإنهم إن أحسنوا فيه نُسب اليك إحسانُهم، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم؛ فردّه عليهم أكثرَ من مائتي مرّة، وكانوا يقصدونه الى منزله ويَرُدُّه عليهم، ومات وما منه علم الله إلّا رَسْمُه. الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أوّل.

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

خرجنا مع الرشيد يريد الرّقة ؛ فلمّا صِرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا ، وخرج يتصيّد وخرجنا معه ، فأبعد في طلب الصيد ؛ ولاح لي دَيْر فقصدته وقد تعبتُ ، فأشرفتُ على صاحبه ؛ فقال : هل لك في النزول بنا اليوم ؟ فقلت : إي والله ، وإني الى ذلك لمحتاج ؛ فنزل ففتح لي البابَ وجلس يحدّثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أميّة ، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومَواليهم وجيوشهم ؛ وعرَض عليَّ الطعامَ فأجبتُه ؛ فقدّم إليَّ طعاماً من طعام الدّيارات[1] نظيفاً طيّباً ، فأكلتُ منه ، وأتاني بشرابٍ وريحان طَريّ فشربتُ منه ، ووكّل بي جاريةً تخدُمني راهبةً لم أرَ أحسن وجهاً منها ولا أشكَل؛ فشربتُ حتى سَكِرتُ ، ونمتُ وٱنتبهتُ عِشاء ؛ فقلتُ في ذلك :

صوت

بدَيْرِ[2] القائم الأقصى غزالٌ شادِنٌ أحوَى
بَرَى حُبّي له جِسمي ولا يَعلَـمُ ما ألقى
وأكتُمُ حبّه جُهـدي ولا واللهِ مـا يَخفَى

وركبتُ فلحِقتُ بالعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَـد . وأُخبِرتُ بذلك، فغنّيتُ في الأبيات ودخلتُ اليه؛ فقال لي : أين كنتَ ؟ وَيحك ! فأخبرته بالخبر وغنّيته الصوتَ ؛ فطرب وشرب عليه حتى سَكِر ، وأخّر الرحيلَ في غدٍ ، ومَضينا الى الدّير ونزله ، فرأى الشيخَ وٱستنطقه ، ورأى الجارية التي كانت تخدُمني بالأمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأمر الجاريةَ التي كانت بالأمس تخدُمني أن تتولّى خدمتَه وسَقيَه ففعلتْ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أمر للدّير بألف دينار، وأمر بٱحتمال خراجه له سَبعَ سنين ؛ فرحَلنا .

---

(١) الديارات : جمع دير .

(٢) دير القائم الأقصى : على شاطئ الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة .

قال حمّاد: فحدّثني أبي قال: فلما صِرنا بتلّ عَزاز من دابِق[1] خرجتُ أنا وأصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها، فأقمنا بها أياماً، وطلبني الرشيدُ فلم يجدني. فلمّا رجعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع؛ فقال لي: أين كنتَ؟ طلبك أميرُ المؤمنين؛ فأخبرته بنُزهتنا فغضِب. وخِفتُ من الرشيد أكثر مما لقيت من الفضل؛ فقلت:

صوت

إنّ قلبي بالتّلّ تلّ عَزازِ عند ظَبْيٍ من الظِّباء الجوازي
شادنٍ يسكُنُ الشآمَ وفيه مع ظَرْف العراق شَكْلُ[2] الحجازِ
يا لَقَوْمي لبنت قَسٍّ أصابتْ منك صفوَ الهوى وليست تُجازي
حلَفَتْ بالمسيح أن تُنجِزَ الوعـدَ وليستْ تَهُمُّ بالإنجازِ

وغنّيتُ فيه؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغضَبٌ؛ فقال: أين كنت؟ طلبتُك فلم أجِدْك؛ فاعتذرتُ اليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنّيته إياه؛ فتبسّم وقال: عذرٌ وأبيك وأيُّ عذر! وما زال يشربُ عليه ويَستعيدُنيه ليلتَه جَمعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر. فلما وصلتُ الى رَحلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يَدعونا؛ فوافَيتُ فدخلتُ، وإذا ابنُ جامع يتمرّغ على دُكّان في الدار وهو سَكرانُ يتململ؛ فقال لي: يابنَ الموصليّ، أتدري ما جاء بنا؟ فقلت: لا والله ما أدري؛ فقال: لكني والله أدري دِرايةً صحيحةً، جاءت بنا نَصرانيّتُك الزانية، عليك وعليها لعنة الله. وخرج الآذِنُ فأذِنَ لنا، فدخلنا. فلمّا رأيتُ الرشيد تبسّمت؛ فقال لي: ما يُضحكك؟ فأخبرته بقول ابن جامع؛ فقال: صدَق؛ ما هو إلا أن فقدتُكم فاشتقتُ الى ما كنّا فيه، فعُودوا بنا، فعُدْنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا.

---

(١) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(٢) الشكل (بالكسر والفتح): الدل.

لحنُ إسحاقَ :

بدَيرِ القائمِ الأقصى

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه في :

إنّ قلبي بالتّلّ تلّ عَزازِ

خفيفُ رمَلٍ .

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كوّرتها على رأسي ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كانك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا اليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنّون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بشدّة حرير أحمر ، ولبستُ لباساً مُشتهراً ، وأخذت بيدي صَفّاقتَين وأقبلتُ أخطِر وأضرب بالصَّفاقتَين وأغنّي :

اسمعْ لصوتٍ مليحٍ من صنعة الأنباري
صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ يطيرُ في الأوتارِ

فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيّةَ يومه ، وما أستعاد غيرَه ، وأمر لي بعشرين الف درهم . لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج .

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال:

كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَن كان عنده :

صوت

كلُّ شيء منكِ في عيني حَسَنْ ونَصيبي منكِ همٌّ وحَزَنْ
لا تَظُنّي أنه غيّرني قِدَمُ العهد ولا طولُ الزمنْ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنبوريّين ؛ فقال : لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

مع جارية في الطريق :

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

لمّا خرجنا مع الرشيد الى طُوس كنتُ معه أسايِرُه، فاستسقيتُ ماء من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة[1]، فخرجتْ الينا جاريةٌ كأنها ظبيــةٌ، فسقتني ماء؛ فقلت هذا الشعر :

صوت

غزالٌ يرتعي جَنَباتِ وادٍ　　بسَحْنَةَ قد تمكّنَ في فؤادي
سقاني شَربةً كانت شِفاء　　لِعلَّةِ حائمٍ حَرّان[2] صادي

وغنّيته الرشيدَ ؛ فقــال لي : أتحبُّ أن أزوّجكها ؟ فقلتُ : نعم والله يا سيّدي؛ قال : فاخطُبها والمهرُ عليّ وما يُصلحها؛ فخطبتُها، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم. لحنُ إسحاقَ في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال :

قال لي أبي : ما اغتممتُ بشيء قطُّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتُه في هذا الشعر :

صوت

كان لي قلبٌ أعيشُ به　　فاكتوى بالنارِ فاحترقا
أنا لم أُرزَقْ محبّتَهــا　　إنما للعبــد ما رُزقا
مَن يكن ما ذاق طعمَ رَدًى　　ذاقــه لا شكّ إن عَشِقا

فإنّي صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أردّده في جَناحٍ لي سَحَراً ؛ فأظنّ أنّ إنساناً من العامّة مرّ بي فسمعه فأخذه؛ فبكّرتُ من غدٍ الى المعتصم لأغنّيه، فإذا أنا بسوّاط

(١) وتقال : « صحنة » وهي موضع بين الدينور وهمذان .

(٢) ويروى : « غرثان » . والغرثان : الجائع . والحائم : العطشان .

يَسوطُ[١] الناطِفَ[٢] وهو يغنّي اللحنَ بعينه إلا أنــه غناء فاسدٌ. فعجبتُ وقلتُ: تُرى من أين لهذا السَّوّاط هذا الصوت! ولعلّي إذا غنّيتُه أن يكون قــد مرّ بي هذا فسمعني أغنّيه؛ وبقيتُ متحيّراً، ثم قلت: يا فتى، ممن سمعت هــذا الصوت؟ فلم يجبني والتفتَ الى شريكه، وقال: هذا يسألني ممن سمعته! هذا غنائي، والله لو سمعه إسحاق الموصليّ لَخَرِئَ في سراويله؛ فبادرتُ والله هارباً خوفَ أن يمرّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأفتضح؛ وما علم الله أني نطقت بذلك الصوتِ بعدها.

جوابه عن أحجية:

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:

كتب إبراهيمُ بن المهديّ الى أبي: أيّ شيء تصحيفُ: «لا يُريحُ مثلُ الأسنّةِ». فكتب اليه أبي: تصحيفُه: «لا يَرِثُ جميلٌ إلا بُثينةَ»؛ فكتب اليه: ويْ منك!.

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شفتيّ تتحرّكانِ بشيء كنتُ أعمله؛ فقال: أتدعو أم تصنع ماذا؟ فقلتُ: بل أمدح؛ قال: قل؛ فقلت:

صوت

وكنتُ اذا إذنٌ عليكَ جرى لنا   تجلّى لنــا وجهٌ أغــرُّ وسيمُ
علانِيــةٌ محمــودةٌ وسريرةٌ   وفِعــلٌ يَسُرُّ المعتفينَ كريمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ، وقال: زدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً؛ فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سكِر.

تطفله على بيت:

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه أنه حدّثه قال:

(١) ساط الشيء: خلطه.
(٢) الناطف: ضرب من الحلواء لانه ينطف قبل استفرابه، أي يقطر قبل خثورته.

غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركبتُ بُكرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراء وأتفرَّجَ؛ فقلتُ لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أني بكَّرتُ في بعض مُهمَّاتي، وأنكم لا تعرفون أين توجَّهتُ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي، ثم عُدتُ وقد حَمِي النهارُ؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرّم[1] في فِناء ثخينِ الظلِّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ. فلم ألبَثْ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكِبةٌ، تحتها مِنديلٌ دَبيقيٌّ وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً؛ فَخرَصْتُ[2] عليها أنها مُغنِّية، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابَّانِ جميلانِ، فاستأذنا فأُذِنَ لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظنَّا أن صاحب الدار دعاني وظنَّ صاحبُ الدار أني معهما؛ فجلسنا، وأُتِيَ بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنَّتْ وشرِبنا؛ وقمتُ قومةً، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنِّي فأخبراه أنهما لا يعرفاني؛ فقال: هذا طُفَيليٌّ، ولكنه ظريفٌ، فأجمِلوا عِشرتَه. وجئتُ فجلستُ؛ وغنَّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي:

ذكَرتُكِ أن مرَّتْ بنا أمُّ شادِنٍ أمامَ المطايا تَشرئِبُّ وتَسنَحُ
من المؤلِفاتِ الرمل أدماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضحى في مَتنِها يَتوضَّحُ

فأدَّته أداءً صالحاً وشَرِبت. ثم غنَّتْ أصواتاً شتّى، وغنَّت في أضعافها من صنعتي:

الطُّلولُ الدوارِسُ فارقَتها الأوانِسُ
أوحشتْ بعد أهلِها فهي قَفرٌ بَسابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الاول. ثم غنَّتْ أصواتاً من القديم والحديث، وغنَّت في أثنائها من صنعتي:

قُلْ لِمن صَدَّ عاتِباً ونأى عنكَ جانِباً
قد بَلغتَ الذي أرَدْ تَ وإن كنتَ لاعِباً

(١) محلة ببغداد بالجانب الشرقيّ.
(٢) خرصت: ظننت وخمنت.

فكان أصلحَ ما غنّته؛ فاستعدْتُه منها لأُصحّحه لها؛ فأقبل عليّ رجل من الرجلين وقال: ما رأيتُ طُفَيليّاً أصفقَ وجهاً منك! لم ترضَ بالتطفيل حتى اقترحتَ، وهذا غايةُ المثل «طُفَيليٌّ مُقترِحٌ»؛ فأطرقتُ ولم أُجبه؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّي فلا يَكُفُّ. ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلاً، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحتُه إصلاحاً محكماً، وعدتُ الى موضعي فصلّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدتِه عليّ وأنا صامتٌ؛ ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجسّته وأنكرتْ حاله وقالت: مَن مسّ عُودي؟ قالوا: ما مسّه أحدٌ! قالت: بلى! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتمكّن من صناعته؛ فقلتُ لها: أنا أصلحتُه؛ قالت: فبالله خُذه واضرِب به؛ فأخذتُه وضربتُ به مَبدأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صَعباً، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلا وثَبَ على قدميه وجلس بين يديّ؛ ثم قالوا: بالله يا سيّدَنا أتُغنّي؟ فقلتُ: نعم، وأُعرّفكم نفسي، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ، ووالله إني لأَتيهُ على الخليفة إذا طلبني وأنتم تُسمِعُونَني ما أكره منذ اليوم لأني تملّحتُ معكم؛ فوالله لا نطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرجوا هذا المُعَرْبِدَ المَقيتَ الغثَّ؛ فقال له صاحبُه: مِن هذا حَذِرتُ عليك؛ فأخذ يَعتذِرُ؛ فقلتُ: والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخرَجَ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأتُ وغنّيتُ الأصوات التي غنّتها الجاريةُ من صنعتي؛ فقال لي الرجلُ: هل لك في خَصلةٍ؟ قلتُ: ما هي؟ قال: تُقيمُ عندي شهراً، والجاريةُ والحمارُ لك مع ما عليها من حُليّ؛ قلت: أفعل، فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدري أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يَطلُبني في كلّ موضع فلا يَعرفُ لي خبراً. فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إليّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ؛ فجئتُ بذلك الى منزلي، وركبتُ الى المأمون من وقتي؛ فلمّا رآني قال: إسحاقُ! وَيحك! أين تكون؟ فأخبرتُه بخبري؛ فقال: عليّ بالرجل الساعةَ؛ فدللتُهم على بيتِـه فأحضر؛ فسأله المأمونُ عن القصة فأخبره؛ فقال له: أنت رجل ذو مروءةٍ وسبيلُك أن تُعاوَنَ عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تُعاشِرَنَّ ذلك المعربِدَ النّذلَ ألبتّةَ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال: أحضرني الجاريةَ، فأحضرتُها فغنّته؛ فقال لي: قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم

ثلاثاء تُغنّيني وراء الستارة مع الجواري؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحتُ والله بتلك الرَّكْبة وأربحتُ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ أمام المطايا تشرئبّ وتَسنَحُ
من المؤلفاتِ الرمل أدماءُ حُرّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتنِها يَتوضَّحُ

الشعر لذي الرُّمّة. والغناء لإسحاقَ ثقيل أوّل بالسبّابة والوسطى، عن ابن المكيّ. ومن أغاني إسحاق:

صوت

قل لمن صَدّ عاتِباً ونأى عنك جانِباً
قد بلَغتَ الذي أردتَ وإن كنتَ لاعِباً

الشعرُ والغناء لإسحاقَ. وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار.

صوت

الطُّلولُ الدَّوارِسُ فارقَتْها الأوانِسُ
أوْحشتْ بعد أهلها فهي قَفرٌ بَسابِسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

أخبرني عمي قال حدّثني يزيدُ بن محمد المهلّبيّ قال:

كنتُ عند الواثق؛ فغنّتْه «شجى» التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ؛ فقال لمخارق وعَلّويه: والله لو عاش مَعبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ؛ فقالا له: إنه لحسنٌ يا أميرَ المؤمنين؛ فغضب وقال: ليس عندكما فيه إلا هذا! ثم أقبل على أحمدَ بن المكيّ فقال: دعني من هذين الأحمقين؛ أوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ كلمات: «الطلول» كلمة، و«الدوارس» كلمة، و«فارقتها» كلمة،

و « الأوانس » كلمة ؛ فانظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يَتصرّفُ فيه المغنّي لم يُدخِله في هذه الكلماتِ الأربعِ ! بدأ بها نشيداً ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صِياحاً ، وإسجاحاً ، وترجيحاً للنَّغَم ، واختلاساً فيها ، وعمِل هذا كلّه في أربع كلمات ، فهل سمعتَ أحداً تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أميرُ المؤمنين ، قد لحق مَن قبله وسبق مَن بعده .

في دير مريم :

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال حدّثني إسحاق قال :

لمّا خرجت مع الواثق الى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بِدياراتها ؛ فرأيتُ ديرَ(١) مريمَ بالحِيرة ، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه ؛ فقلتُ :

نِعمَ المحلُّ لمن يسعى لِلَــذّته ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أَسَنٍ وقاصِراتٌ(٢) كأمثال الدُّمى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نصطبح والله غداً إلا فيه ؛ وأمر بأن يُعدّ فيه ما يَصلُح من الليل ؛ وباكرناه فأصطبحنا فيه على هذا الصوتِ ؛ وأمر بمالٍ ففُرّق على أهل ذلك الدّيرِ ، وأمر لي بجائزة . لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال :

أخرج إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتَيْ شعرٍ في رُقعة وقال : هــذان البيتان وجدتُها على بِساطٍ طَبَرِيّ(٣) أُصبَهْبَذِيّ أُهدي إليّ من طَبَرِسْتانَ ، فأحبُّ أن تُغنّيني فيهما ؛ فقرأتُها فإذا هما :

لَجّ بالعــيْن واكفُ مِن هَوًى لا يُساعِفُ
كُلّما كفّ غَربُهـا(٤) هَيّجتْــه المعازفُ

---

(١) دير مريم أو دير مارت مريم : يطلق على ديرين، أحدهما : دير قديم من بناء المنذر حسن الوضع بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف .

(٢) القاصرة من النساء : التي لا تمدّ عينيها الى غير بعلها .

(٣) طبري : نسبة الى طبرستان وهي بلدان واسعة كثيرة، قصبتها آمل . وأصبهبذي : نسبة الى أصبهبذان : مدينة في بلاد الديلم بينها وبين البحر ميلان .

(٤) الغرب : الدمع .

قال: فغنّيت فيهما وغدوتُ بهما اليه، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصِلة سنيّة، وكان يَشتهيه ويَقترحه، وطرحتُه على جميع جواريه، وشاع خبر إعجابه به. فبينا المعتصم يوماً جالسٌ يُعرَضُ عليه فرشُ الربيع، إذ مرّ به بساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما:

إنمـا الموتُ أن تفا ... رقَ مَن أنت آلِـفُ
لـك حُبانِ في الفؤا ... د تَليـدٌ وطارِفُ

فأمر بالبساطِ فحُمِل الى عبد الله بن طاهر، وقال للرسول: قل له: إني قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر، فلما وقع البساط أحببتُ أن أتِمّ سرورك به. فشكر عبدُ الله ما تأدّى اليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه، وقال لي: والله يا أبا محمد لسَرُوري بتمام الشعر أشدُّ من سروري بكل شيء، فألحِقْها في الغناء بالبيتين الأوّلين، فألحقتها.

نسبة هذا الصوت

صوت

لجّ بالعيـن واكفٌ ... مِن هوًى لا يُساعِفُ
كلّما كفّ غَربُهـا ... هيّجتْـه المعازِفُ
إنما الموتُ أن تُفـا ... رِقَ مَن أنت آلِفُ
لـك حُبّان في الفؤا ... دِ تَليـدٌ وطارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرْتُه في هذا الخبر. والغناء لإسحاقَ هزجٌ بالوسطى.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن ابن المكيّ عن أبيه قال:

قلت لإسحاق يوماً: يا أبا محمد، كم تكون صنعتُـك؟ فقال: ما بلغت مائتين قطُّ.

مرضه ووفاته:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال:

قال لي وكيل بن الحَرُونيّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتي : ما لك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس ؟ قال : لأنّي إنما أنقُر في صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو ، طرحتُها لذلك ؛ وله أخبار أُخر حسُن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع .

وتوفّي إسحاق[1] ببغداد في أوّل خلافة المتوكِّل . فأخبرني الصُّوليّ قال ذكرَ إبراهيمُ ابن محمد الشاهينيّ :

ان إسحاق كان يسأل اللهَ ألّا يبتليَه بالقُولَنج[2] لِما رأى من صعوبته على أبيه فرأى في منامه كأنّ قائلًا يقول له : قد أُجيبت دعوتك ولستَ تموت بالقولنج ، ولكنك تموت بضدّه ، فأصابه ذَرَبٌ[3] في شهر رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدّق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضَعُف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات في شهر رمضان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال :

نُعي إسحاقُ الى المتوكِّل في وسط خلافته ، فغمّه وحَزِن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نُعي اليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد — وما كنت آمَنُ وثْبَتَه عليّ — مقامَ الفجيعة بإسحاق ؛ فالحمد لله على ذلك .

حدّثني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرُبُل قال حدّثني أبي عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلًا يقول لي :

مات الحُسان ابن الحُسا نِ ومات إحسانُ الزمانِ

---

(١) الذي في ابن خلكان والنجوم الزاهرة أن مولده كان في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعيّ ومات فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما، فتكون سنه خمساً وثمانين سنة .

(٢) القولنج : مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، ويفسد فيها فلا تمسكه .

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصلي .

ما رثاه به الشعراء :

وقال إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

سقى اللهُ يا ابنَ الموصليّ بوابلٍ ... من الغيث قبراً أنت فيه مُقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرام فإنني ... بعَبرته يبكي عليك كريمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنني ... وإن كنت شيخاً بالعراق يتيمُ

وقال محمد بن عمرو الجُرماني يرثيه :

على الجَدَثِ الشرقيّ عُوجاً فسلِّما ... ببغداد لمَّا ضنّ عنه عوائدُهْ
وقولا له لو كان للموت فِديةٌ ... فَداك من الموت الطَّريفُ وتالِدُهْ
أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمى ... بك الموتُ وِرْداً ليس يَصْدُرُ وارِدُهْ
إذا هزَلَ اخضرّتْ فنونُ حديثه ... ورقّتْ حواشيه وطابت مَشاهِدُهْ
وإن جَدّ كان القول جِدّاً وأقسمتْ ... مَخارجُه ألّا تَلينَ مَعاقِدُهْ
فبَكِّ على ابن الموصليّ بعَبْرةٍ ... كما ارفَضّ من نَظم الجُمان فرائدُهْ

وقال مصعب بن عبد الله الزُّبيري يرثيه — نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدامة، وذكر أن حمّاد بن إسحاق أنشده إياها، ونسختُه أيضاً من كتاب الحَرَميّ ابن أبي العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمه مصعب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق — :

أتدري لمن تَبكي العيونُ الذّوارفُ ... ويَنْهَلّ منها واكِفٌ ثم واكِفُ
نعم لامرئٍ لم يبقَ في الناس مثلُه ... مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهّز إسحاقٌ الى الله غادياً ... فللّه ما ضُمّتْ عليه اللفائفُ
وما حمل النعشَ المزجّى عشيّةً ... الى القبر إلا دامعُ العين لاهِفُ
صدورهمُ مَرضى عليه عَميدةٌ ... لها أَزْمةٌ[1] من ذكره وزَفازِفُ
ترى كلّ محزون تَفيض جفونُه ... دموعاً على الخدّين والوجهُ شاسِفُ[2]
جُزيتَ جزاءَ المحسنين مُضاعفاً ... كما كان جَدْواك النّدى المتضاعفُ

(١) أزمة : ضيق وشدة . وزفازف (واحدها زفزفة) وهي في الاصل حنين الريح وصوتها في الشجر . يريد أنه يكون بصدورهم عند ذكره نشيج وزفير من الحزن عليه .
(٢) الشاسف : اليابس ضمراً وهزالا .

فكم لك فينا من خلائقَ جَزلةٍ ... سبقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ
هي الشهدُ أو أحلى الينا حلاوةً ... من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارِفُ
ذهبتَ وخلّيتَ الصديق بعَولةٍ ... به أسفٌ من حزنه متـرادِفُ
إذا خطَراتُ الذكر عاودْنَ قلبَه ... تتابـع منهنّ الشؤونُ النوازفُ
حبيبٌ الى الإخوان يَرزُون[1] مالَه ... وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارفُ
هو المنّ والسلوى لمن يستفيده ... وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِفُ
بكت دارُه من بعده وتنكّرتْ ... مَعالمُ من آفاقِها ومعارفُ
فما الدار بالدار التي كنت أعتري ... وإنّي بها لولا افتقاديك عارفُ
هي الدار إلّا أنّها قد تخشّعتْ ... وأظلم منها جانبٌ فهو كاسِفُ
وبان الجمال والفَعال كلاهما ... من الدار واستَنّت[2] عليها العواصفُ
خلت دارُه من بعده فكأنّما ... بعاقبةٍ لم يُغنِ في الدار طارفُ
وقد كان فيها للصديق مُعرَّسٌ[3،5] ... وملتمَسٌ إن طاف بالدار طائفُ
كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلفةٌ ... لمن جاء تُزجيه اليه الرواجِفُ
صِحابتُه الغرّ الكرام ولم يكن ... ليَصحبَه السُّودُ اللئام المقارِفُ[4]
يَؤول اليه كلّ أبلجَ شامخٍ ... ملوكٌ وأبناء الملوك الغطارفُ
فلُقّيتَ في يمنى يديك صحيفةً ... اذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائفُ
يَسُرّ الذي فيها اذا ما بدا له ... ويَفترّ منها ضاحكاً وهو واقفُ
بما كان ميموناً على كلّ صاحب ... يُعين على ما نابه ويُكانِفُ
سريعٌ إلى إخوانه برضائه ... وعن كلّ ما ساء الأخلّاء صارِفُ

(١) يرزون : أصله يرزءون، سهلت همزته ثم حذفت لإسناد الفعل الى ضمير الجمع .

(٢) استنت : انصبت .

(٣) المعرّس : موضع التعريس وهو نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر، وقيل : التعريس النزول في المعهد أيّ حين كان من ليل او نهار .

(٤) المقارف : الأنذال، وهم أيضاً الذين أمهم عربية وأبوهم غير عربي .

(٥) ويروى : « نال » .

أرى الناسَ كالنَّسناس[1] لم يبقَ منهمُ خلافَك إلا حُشوةٌ[2] وزَعانِفُ

أخبرني يحيى بن عليّ قال: أنشدني أبو أيّوبَ لأحمد بن إبراهيم يَرثي إسحاقَ في قصيدة له:

لقد طاب الحِمامُ غداةَ أَلْوى بنفس أبي محمدٍ الحِمامُ
فلو قُبِلَ الفِداء إذاً فَدَتْه ملوكٌ كان يألفها كِرامُ
فلا تَبعَد فكلُّ فتًى سيَثْوي عليه التُّربُ يُحثى والرِّجامُ[3]

قال وقال أيضاً يرثيه:

لله أيُّ فتًى الى دار البِلى حَمَل الرجالُ ضُحًى على الأعوادِ
كم من كريم ما تَجِفُّ دموعُه من حاضرٍ يبكي عليه وبادِ
أمسى يؤبِّنه ويعرف فضلَه من كان يَثْلِبه من الحُسَّادِ
فسقتْكَ يابْنَ الموصليّ روائحٌ تُروي صداكَ بصَوبها وغَوادِ

وقد بقيتْ من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بني هاشم، وأخباره مع إبراهيم بن المهديّ وغيرها، فإنها كثيرة، ولها مواضع ذُكرت فيها وحَسُن ذكرها هنالك، فأخّرتُها لذلك عن أخباره التي ذُكرت هاهنا، حسبما شرطنا في أوّل الكتاب.

ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم:

صوت

ألا قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحلّةٍ وقاتلَ دُنيانا بها كيف ذلّتِ
غَنِينا زماناً باللِّوَى ثم أصبحتْ عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تخلّتِ

عَروضه من الطويل. الشعرُ للصِّمّة القُشَيريّ، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مجراها.

(١) النسناس: خلق في صورة الناس، مشتق منه لضعف خلقهم.
(٢) يقال: هو من حشوة بني فلان، أي من رذالهم.
(٣) الرجام: الحجارة التي تجمع على القبور.

فهرس

المجلد الخامس من كتاب الأغاني

علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة** — ميدان السور — بيروت

مصر والسودان :	**شركة توزيع الاخبار**	— ميدان التحرير	القاهرة
مصر والسودان :	**مكتبة الخانجي**	— شارع عبد العزيز	القاهرة
العراق :	**مكتبة المثنى**	— قاسم الرجب	بغداد
افريقيا الشمالية :	**دار الكتب**	— الدار البيضاء	مراكش
الكويت :	**مكتبة الطلبة**	— عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي :	**المكتبة الوطنية**	— ابراهيم محمد	البحرين
المملكة السعودية العربية :	**مكتبة الثقافة**	— مكة المكرمة	المملكة السعودية
فرنسا :	**المكتبة الشرقية**	— باريس	

ولنا وكلاء في كافة البلاد العربية — وفي اوربا — وفي الاميريكتين .

بدل الاشتراك

٣٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها بدل اشتراك ٢٤ جزءاً (يضاف اليها اجور البريد للخارج)

يراجع بخصوص الاشتراكات **الناشر**

دار الثقافة ص . ب ٥٤٣ — تلفون ٣٠٥٦١ — بيروت

وعموم الوكلاء

اطلب المجلدات الاولى لأنها اصبحت محدودة جداً . المجلد الاول نافد

ثمن المجلد **٥٥٠** غ . ل او ما يعادلها : غلاف عادي

« « **٧٥٠** غ . ل او ما يعادلها : تجليد لف قماش ومبصوم بالذهب